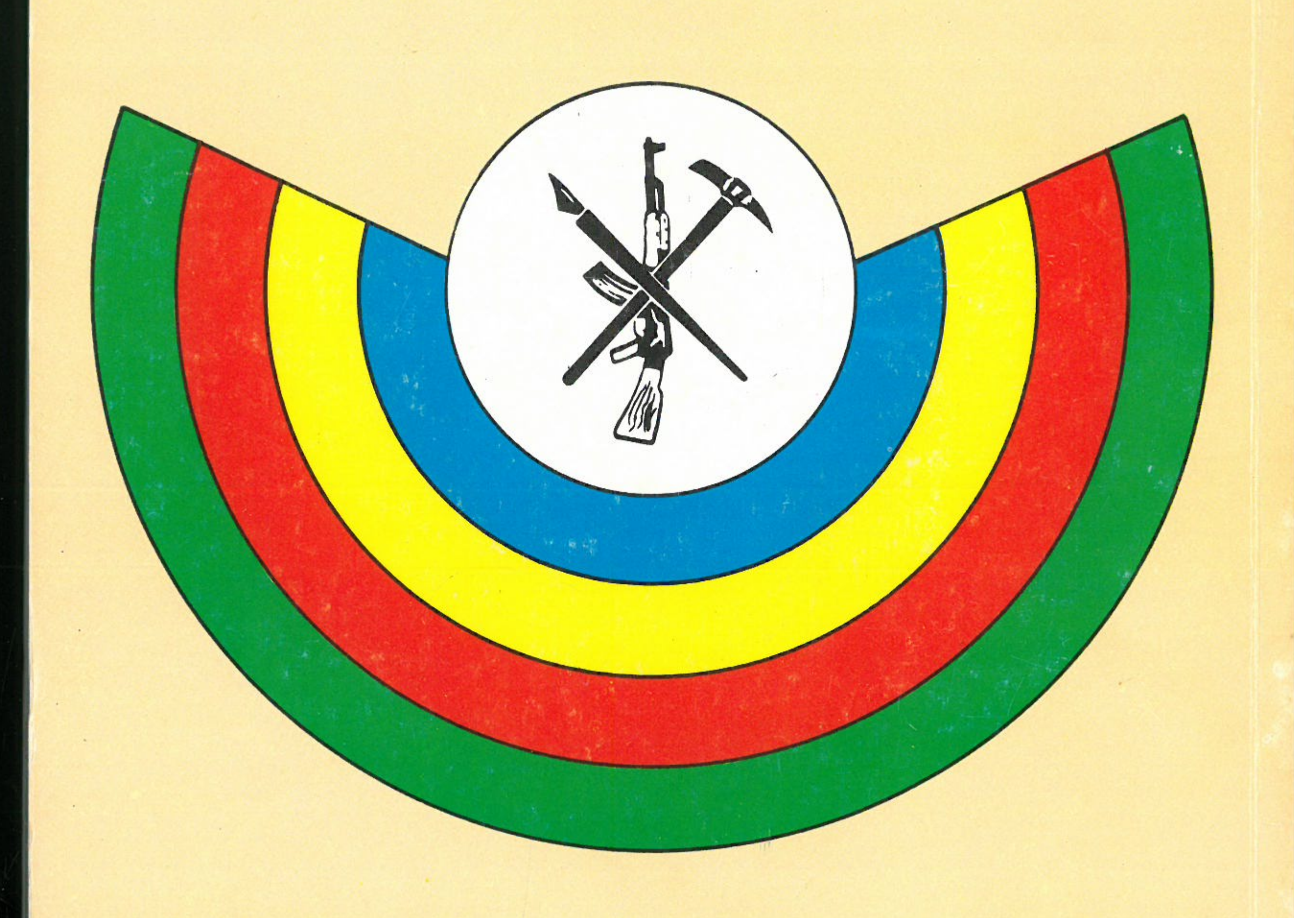
المقدم الركن
رياض حامد تقي الدين

التجربة العسكرية الدرزية ومسارها التقدمي



هدية إلى الجامعة اللبنانية الاميركية - فرع بيروت
٢٩/١٢/٩٨
المؤلف

المقدم الركن
رياض حامد تقي الدين

التجربة العسكرية الدرزية ومسارها التقدمي

الطبعة الاولى
١٩٨٧

تنفيذ وطبع شركة مطابع الجبل الأخضر



الإهداء

إلى روح الشهيد كمال جنبلاط

التزاماً بعهدٍ ووفاءً لوعد

رياض

المقدمة

يحمل الفكر العسكري نظريتين متعارضتين الأولى تقول بأن القاعدة تسبق التطبيق، والثانية تقول بأن التطبيق يسبق القاعدة.

ينصر المقولة الأولى الذين يؤمنون بوجوب وجود قاعدة وعلم عسكري في يد الجيش قبل خوضه المعركة ليتمكن من السيطرة على خصمه، ومن كان أعلى كعبا في العلم توفرت له الفرص الأفضل للنجاح. يشد ارز هذا المنحى التطور التكنولوجي الهائل للعتاد وما استتبعه من تطور في التقنية لتأمين حسن الاستعمال وتوفير المردود الأقصى للوسائل. لقد طغى التطور التكنولوجي في بعض الأحيان على دور التكتيك والاستراتيجية وظهر هذا الأمر جليا في مجال أسلحة الدمار الشامل فرسّخ هذا التفكير.

أما المقولة الثانية فقد عضدها من ثبّت قدمه في أرض العمل العسكري وكانت له خبرة في الممارسة واستطلع خبايا التاريخ ودرس حروبه ومعاركه الكبرى. إن دراسة وقائع الماضي وعبره تثبت بأن القاعدة العسكرية تولد أثناء التطبيق من الحاجة التي تفرض نفسها ومن المعطيات المتوفرة. أنها تلبية لضرورة ملحة وجواب على تحد وحل لمشكلة قائمة.

رجحت كفة هذه المقولة عند الخبراء في العلم العسكري على كفة المقولة الأولى بسبب المعطيات والوقائع التي تدعمها، لكنه مهما يكن أمر هذه الأرجحية لا بد من الاعتراف بأن لوجهة النظر الأولى مقوماتها ولا يمكن اسقاطها نهائيا. إن الحل الصحيح لهذه المعضلة هو الخروج بصيغة مركبة من النظريتين توجب دخول المعركة بقاعدة ناظمة للتنفيذ تؤمن التناغم

والتنسيق بين مختلف القوى والأسلحة وتوفر منطلقاً للتطور من خلال التجربة والتطبيق للوصول إلى قواعد ممارسة جديدة. إن الغاية من العمل العسكري ليست التفتيش على القاعدة الجديدة بل تحقيق النصر، وولادة القاعدة تأتي عرضا تفرضها ضرورات الممارسة والتنفيذ. تـؤمن القاعدة الجديدة الحلول الملائمة للمعاضل القائمة وتشكل المنطلق الأساسي لحروب المستقبل حيث يتأمن تطويرها من جديد. إن ثبات القاعدة أو سرعة تغييرها منوط بأمور كثيرة من تكنولوجية وتقنية وتكتيكية واستراتيجية فضلا عن قيمة الثبات الذي يكمن في القاعدة نفسها من حيث ملاءمتها للواقع وشمولها.

ننتقل من هذه التوطئة لنصل إلى موضوع كتابنا فنثبت ضرورة وضعه كعمل تاريخي يسجل وقائع الماضي، وكمنطلق مستقبلي تفيد تجربته وقواعده في ممارسات المستقبل السياسية والعسكرية مؤمنة الأداة ومفتاح التطور في آن معا. إن هذه الإفادة ليست محصورة بمن خاضوها فهي ملك عام يسترشد بها من أراد وتـؤمن لأصحابها وسيلة من وسائل النقد الذاتي وفحص الضمير. لهذه الأسباب أقدمت على كتابة بحثي هذا وعسى أن أنجح في قصدي والله ولي التوفيق.

بعقلين في ١٩٨٦/٦/١م
رياض

معدن المقاتل الدرزي التقدمي

إن مقومات القوة العسكرية متعددة العناصر ومتشعبة المنطلقات. لن نخوض شعابها هنا لأن الكثير منها يخرج عن دائرة بحثنا، ولكننا سنتطرق إلى ما هو داخل في نطاقه فقط. من هذا المنطلق يمكننا القول أن قوة أي جيش تستند إلى العنصر البشري والقيادة والعقيدة القتالية والتجهيز بالعتاد والتدريب. لن نفرد للتجهيز والتدريب أبوابا خاصة بها، بل سنعالج موضوعها في سياق البحث عند الحاجة للتطرق إلى ذلك، ولكننا سنفرد فقرات محددة لدراسة النقاط الأخرى مبتدئين بالعنصر البشري.

إن دراسة العنصر البشري كمعدن عسكري يقودنا إلى تحديد هوية هذا العنصر وتتبع خطواته عبر التاريخ لدرس عوامل شخصيته المتراكمة وقيمها المادية والمعنوية لأنها أساس في تكوين الشخصية العسكرية. هنا أسارع لأقول أن الإنسان التقدمي الآن هو شخصية مركبة وخليط من أكثر من مقلع بشري ولكن العنصر صاحب الأرجحية فيه هو العنصر الدرزي لأسباب عديدة منها قيادية ومنها جغرافية ومنها عددية ومنها بسبب التركيبة البنائية. لن نهمل باقي العناصر في سياق بحثنا ولكننا سننطلق من دراسة العوامل المكونة للعنصر الدرزي كونه القطب الذي تمحورت حوله شخصية المقاتل التقدمي بوجه عام.

إن هذا الواقع يدفعنا إلى المسارعة إلى الإعلان بأن درزي اليوم هو حفيد العربي اللخمي الذي استوطن لبنان على دفعات في أيام كل من معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي وأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد

الخليفتين العباسيتين، استوطن لبنان في مهمة عروبية اسلامية للدفاع عن الثغور وحماية الأرض من الغزاة. قام هذا اللخمي بواجبه وتقبل الدعوة التوحيدية ابان الحكم الفاطمي فصار بها مؤمنا ولها حافظا. لعب الدور العروبي في التاريخ الوسيط بصورة جازمة فكان السيف المشرع دائما للوفاء بما انتدب إليه. وعند بروز الأميرفخر الدين الثاني بعد وراثة المعنيين للإمارة التنوخية أبان السيطرة العثمانية على البلاد العربية طرأ بعض التحول في التعامل مع العمق الإسلامي وتشابكت المصالح وتعقدت الممارسات الأمر الذي يدعونا للإشارة إلى ذلك في حينه.

إن هذه العجالة تدعونا للمباشرة أولا في درس معدن المقاتل الدرزي في أبسط منطلقاته قبل السير قدما في معراج التاريخ ورصد قيمه التراكمية التي بلورت شخصيته الحاضرة. إن القيم الأساسية التي طبعت هذا المقاتل من الناحية الفردية هي العروبية والإسلامية والدرزية. سنتطرق لهذه القيم تباعا قبل أن نتابع مسيرتنا فتتوضّح لنا معالم تكوّن تلك الشخصية وتتحدد القيم الأخلاقية والمعنوية التي تنظم نهجها الفكري والعقائدي ومسار نضالها.

القيم العربية:

قلنا بأن أصل الدروز عامة يرجع لقبائل التحالف التنوخي اللخمي بشكل عام يضاف إليهم بعض قبائل عرب الحجاز الذين حملوا معهم عند مجيئهم إلى لبنان قيمهم وتراثهم الأخلاقي فتفاعلوا مع الأرض والمجتمع وانسجموا في جوهم الجديد مكونين شخصيتهم التراكمية المتطورة. إن القيم العربية التي كانت توجه خططهم العسكري والتي حملوها معهم من موطنهم الأصلي هي الفروسية وروح الثأر والعصبية والاستقلالية والروح الهجومية والإحساس العرقي.

كانت الفروسية تحكم روح العصر وقد تناقل أخبارها الرواة في حلقات السمر والتسلية وفي معرض الأمثال والقياس فجاءت مادة تثقيف وتوجيه وتربية. تناقل الدروز أخبار الأيثار والكرم والتضحية في سبيل الضيف

فرددوا قصة حاتم الطائي الذي ذبح فرسه إكراما لضيفه، كما رددوا أخبار الجريح الذي آثر أن يشرب زميله قبله موفراً له النزر اليسير من الماء. كذلك آمنوا بحماية المستجير وحفظ العهد وإغاثة الملهوف وتناقلوا قصة السموأل وحفظ دروع امرىء القيس وما جرت عليه من صعاب بسبب حفظه للعهد، وظلوا يعملون بهذا المفهوم فيما بعد فأجار سلطان الأطرش أدهم خنجر وواجه المستعمرين الفرنسيين بسببه.

آمن العرب بالإباء وعزة النفس ورفض الإذعان والذل فبقيت هذه الأخلاق تجري في دماء الدروز على مر العصور، تشهد على ذلك حياتهم ووقائعهم وممارساتهم في التعامل فيما بينهم ومع الآخرين.

طبع العرب بروح المفاخرة في أنسابهم وإحسابهم من خلال الروايات والإشعار فأخذ الدروز عنهم بعض ذلك في المفاخرة بأنهم أبناء معروف يكرمون الضيف ويجيرونه ويتعففون في القول وفي الفعل.

أحب العرب الاستقلالية وأبو الضيم فقال أحد الشعراء المتأخرين:

يقولون الحسين على اتفاق
فلا كان الحسين على اتفاق
وهل ضيم يراد بنا إذا ما
علونا فوق اكوار النياق

أخذ الدروز هذا النهج وطبقوه كثيرا في حياتهم فأسهم إلى حد بعيد في جعل قدرهم قلة محاربة مستنفرة دائما على مر التاريخ.

مارس العرب الغزو والروح الهجومية في تاريخهم الجاهلي وفي صدر الإسلام فتطبع الدروز بالروح الهجومية أثناء قتالهم عندما تنشب المعركة بينهم وبين خصمهم، فهم لا يحبون الاستكانة للدفاع وترك المبادرة للعدو. ومع أن الدروز لم يحبوا فكرة الغزو القديمة فقد اضطروا لمواجهتها في جبل الدروز عسكريا دفاعا عن أموالهم ومواشيهم وبيوتهم. كانوا يؤمنون بالروح الهجومية ولكنهم اعتنقوها من منطلق دفاعي واعتقدوا بأن النصر

يأتيهم عدنما يدافعون عن أنفسهم ووجودهم.

أما روح الثأر فهي قيمة متأصلة في فكر الجاهلي وقلبه وأسطع مثل عليها الحروب التي نشأت على أثر مقتل كليب وحمل أخيه الزير (المهلهل) لواء الثأر في حرب استمرت سنين طويلة.

طالت هذه اللوثة الفكر الدرزي ولكنها أخذت تزول تدريجيا وباستمرار عبر السنين لتحل مكانها قيم الدين الإسلامي والمذهب الدرزي وأفكار كمال جنبلاط ومعطيات الحضارة. تراجعت قيمة الثأر حقا في الفكر الدرزي أمام هذه القيم الأحدث ولكنها لم تزل تماما وبقيت آثارها تتسعر وتخبو حسب الظروف الموضوعية وحسب مستوى الفرد نفسه في مدرج التنوّر والتطوّر والحضارة.

طبع العرب القدامى على العصبية القبلية والعشائرية فقال شاعرهم:

وما أنا إلا من غزية أن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

أخذ الدروز هذه القيمة وتهذبت فيهم عبر الظروف والمعطيات باعتناقهم القيم الجديدة فانتقلت من الاطلاق والتعميم إلى التخصيص. وبعد أن كان الموقف الدائم يصفه بيت الشعر الآنف الذكر أصدق وصف أصبح محصورا إلى حد كبير في مجال الدفاع والحق المشروع ولكنه مع هذا تطور مع الزمان من عصبية عدنانية قحطانية إلى أخرى قيسية يمنية ثم يزبكية جنبلاطية إلى أن جاء القرن التاسع عشر وبعده القرن العشرين حيث أخذت تتراجع هذه العصبية بسبب التهديد الخارجي والمواجهة الوقائية مع الجيش المصري والحكم الشهابي أولا ثم الصدام العنيف مع فكرة القومية المسيحية التي تشكل المارونية رأس حربتها، وبعد ذلك الصراع مع الأتراك فالفرنسيين. كان تتويج هذه المرحلة في القضاء على العصبية اليزبكية الجنبلاطية هو فكر كمال جنبلاط التقدمي ولكن الأحداث الدائرة في لبنان عادت توفّر الآن المناخ الموضوعي لنمو عصبيات جديدة

فخرج الإنقسام الدرزي الداخلي من الساحة رغم محاولة بعض المتضررين لإحيائه ليحل مكانه انقسام يطال لبنان ككل، فيه من التقدمية والرجعية شيء وفيه من الطائفية والمذهبية شيء آخر وفيه من الأفكار الحزبية والأيدلوجيات الإقليمية والقومية والدولية أشياء وأشياء. وهذا الجو السائد ينذر بشر مستطير قد تحرق نيرانه لبنان كله.

أما الإحساس العرقي فقد لازم العرب منذ جاهليتهم بصورة تمايز عن الإعراق الأخرى وخاصة الأروام والأحباش والفرس ودفعهم لسلوك طريق المفاخرة بأنسابهم حيث تجلى ذلك بحفظ الشجرات العائلية وبالاعتداء بالأصل الأساسي وقد غذى هذا الأمر فيما بعد ظهور الدين الإسلامي في الجزيرة العربية ونزول القرآن بلسان عربي الأمر الذي دفع العربي إلى الاعتزاز بنفسه كونه عربيا خلافا لروح القرآن ونصه وزين للشاعر القول:

وكم أب قد علا بابن ذري شرف
كما علا برسول الله عدنان

أخذ آباء الدروز بهذه القيمة ولا تزال إلى حد بعيد تلتمع في تصرفاتهم رغم خبو نارها بسبب المساواة التي جاء بها القرآن الكريم (لا فضل لعربي على اعجمي) والتواضع الذي جاء به مذهب التوحيد والاشتراكية التي قال بها كمال جنبلاط. هذا ولا شك بأن الإحساس العرقي كان من أحد الأسباب النفسية لبروز فكرة الاقطاع الاجتماعي الذي شن عليه كمال جنبلاط حربا شعواء، ولكنه رغم احتضاره لا يزال يعشعش في اللاوعي العربي ويؤثر بطريقة غير مباشرة في التصرف المستعلي لبعض الفئات والأشخاص.

تطرقنا في بحثنا عن الدروز للحديث أحيانا عن أهل جبل الدروز في سوريا لسببين: أولهما هو أن تاريخ لبنان لم يجر يوما بمعزل عن محيطه العربي وبالتالي فالأحداث على الساحة العربية تمسه وتعنيه بطريقة أو بأخرى وتطبع شعبه بمؤثراتها وثانيهما أن دروز سوريا هم فرع من دروز لبنان انتقلوا إلى الجبل بكثافة ابتداء من معركة عيندارة بين القيسية

واليمنية مرورا بأحداث ١٨٦٠م المشؤومة حتى الضائقة المعيشية في الحرب العالمية الأولى. يضاف إلى ذلك روابط النسب المستمرة والإلتقاء الدائم في المشاعر والمشاركة المتواصلة في الأعمال الحربية وأظهرها في العصر الحديث الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م وأحداث ١٩٥٨م في لبنان وصدام سلطان الأطرش مع أديب الشيشكلي ثم أحداث ١٩٧٦م في لبنان.

إن جميع ما تقدم من ثوابت أخلاقية عربية كانت الأساس الذي بنى عليه المقاتل التقدمي صرح قيمه وشكل المعدن الأولي الذي صقلته القيم الحديثة ومعطيات الظروف والوقائع. تشكلت هذه القيم الأولية في إطار قاعدة راسخة قوامها الفروسية والاستقلالية والعروبة، وأصبحت جاهزة لتلقي مداميك البناء اللاحقة بصلابة واستقرار وانفتاح.

القيم الإسلامية:

جاء الإسلام ليشذب في أجداد الدروز ما حملوه في صدورهم وعقولهم من قيم وليؤكد على الصالح فيها ثم يزرع قيم الدين الجديد في النفوس. تلقن الآباء هذه القيم من القرآن الكريم ومن السنة والحديث ونهج الصحابة فأكبروا الحكمة في سلمان الفارسي والاندفاع في المقداد بن الأسود والعدالة والاشتراكية في أبي ضر الغفاري لدرجة أنهم اقتدوا في وقت متأخر بمسلك أبي ضر في تفادي التعامل مع السلطة في مجال الرزق والمال عندما أخذ الأتراك في التسلط على العباد وتوزيع ظلمهم يمينا وشمالا.

إن أهم ما استرشد به الدروز في فكرهم العسكري هو ما زرعته في قلوبهم آيات القرآن الكريم وتوجيهات الخلفاء الراشدين، ومن هذه الأفكار العينات الآتية:

★ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾.

سورة النصر

★ ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم بنعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾.

سورة الفتح آيات ١ - ٢ - ٣

★ ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيما﴾.

سورة الفتح آية ٤

★ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾.

سورة الحجرات آية ١٥

★ ﴿ولو قاتلهم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾.

سورة الفتح آية ٢٢

★ ﴿بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾.

سورة الروم آية ٥

★ ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾.

سورة آل عمران آية ١٦٠

★ ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.

سورة البقرة آية ٢٤٩

★ ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾.

سورة محمد آية ٤

★ ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾.

سورة محمد آية ٣١

★ ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

سورة آل عمران آية ١٦٩

★ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

سورة الاحزاب آية ٢٣

★ ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

سورة آل عمران آية ٥٤

★ ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.

سورة الانفال آية ٦٠

★ ﴿وانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

سورة التوبة آية ٤١

★ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾.

سورة الانفال آية ٤٥

★ ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.

سورة الانفال آية ٤٦

★ ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا لو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾.

سورة الانفال آية ١٩

★ ﴿ولو قاتلتم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾.

سورة الفتح آية ٢٢

★ ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.

سورة الانفال آية ١٩

★ ﴿فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾.

سورة الانفال آية ٦٦

★ ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

سورة الانفال آية ٦٥

★ ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾.

سورة آل عمران آية ١٤٦

★ ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾.

سورة هود آية ٤٩

★ ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

سورة هود آية ١١٥

★ ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

سورة يوسف آية ٩٠

★ ﴿وإن عاقبتم فعاقوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

سورة النحل آية ١٢٦

★ ﴿إن الله مع الصابرين﴾.

سورة البقرة آية ١٥٣

★ ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغيَّ عليه لينصرنه الله إن الله لعفوّ غفور.

سورة الحج آية ٦٠

★ ﴿إن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾.

سورة الحجر آية ٨٥

★ ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾.

سورة الانفال آية ٦١

★ ﴿وما للظالمين من نصير﴾.

سورة الحج آية ٧١

★ ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾.

سورة المؤمنون آية ٩٤

★ ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾.

سورة المؤمنون آية ٤١

★ ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾.

سورة الفرقان آية ١٩

★ ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾.

سورة القصص آية ٢١

★ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

★ إذا كنت في أدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى.

★ رب همة انقذت أمة.

★ ﴿والحسنة بعشر أمثالها﴾.

★ لا تلحقوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تمسوا النساء ولا الأولاد بسوء.

★ إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

★ وعلى الباغي تدور الدوائر.

★ انصر أخاك ظالما أو مظلوما.

هذه القيم التي جاءت بها آيات القرآن الكريم والتي مارسها الرسول

عليه السلام وصحبه الأوائل أخذها الآباء الأوائل وتمثلوها وأضافوها إلى القيم العربية فكان ملخصها في المجال العسكري هو أن النصر من عند الله وأن لا قيمة كبيرة للعدد طالما هناك إرادة ربانية تحكم مسار الحرب. يضاف إلى ذلك وجوب الاستعداد والحذر عملا بالآية الكريمة وبقول الرسول(ﷺ): «اعقل وتوكل». يرفد ذلك حب الاستشهاد والثبات والتضامن ومواجهة العدو وتفادي الإنسحاب أمامه مع تمجيد الإندفاع والصبر والمعاملة بالمثل. يتوج ذلك كله تفضيل الصفح وشجب الظلم وحب الجهاد في سبيل الإيمان والمعتقد.

هذه القيم الإسلامية أضافها المقاتل الدرزي إلى خزينته فهضمها وبنى بها مدماكا حضاريا راسخا في نفسه وأصبح مستعدا لتقبل القيم المستجدة التي يأتي بها المستقبل.

القيم الدرزية:

في بداية القرن الحادي عشر الميلادي وأثناء التشرذم والصراع الداخلي بين الدويلات الإسلامية ولدت الدعوة الدرزية. كانت الأرض في وادي التيم والشوف خصبة لتلقي بذور هذه الدعوة، وكل القلوب تهفوا إلى الوحدة والعودة إلى الينابيع. أثقلت هموم الإنقسام الناس وحطت من قدرهم وقوتهم العسكرية رياح التباعد وممارسات الأحقاد والدسائس والاستئثار. كثر التحزب والتشيع وواكبه ازدهار لمدارس التفسير التي رغم غناها من الوجهة الفكرية فقد كان مردودها من الناحية السياسية وبالاً على وحدة الإسلام وهيبته حيال الدول الأخرى.

لن أدخل في عمق فلسفة المذهب التوحيدي الدرزي هنا إلا بقدر ما يحتاج موضوع البحث. إن النظر إليه من الناحية التاريخية في إطار المناخ العام بعيدا عن مقاييس الصحة ومواقف الإيمان يظهر بأنه رقم يضاف إلى أرقام التشيع السابقة ونهج تفسير أخذ مكانه في غمرة ازدهار هذا العلم. أما الإلتفات إليه من الزاوية الأيديولوجية فيبرز بأنه حركة تصحيحية

تحمل بذور سياسية إذا جاز التعبير، وحدوية المنحى في النطاقين الإيماني والاجتماعي. لم تقتصر هذه الحركة على النظر إلى الواقع الإسلامي وحده وإلى الحياة الدنيا بل خرجت بصيغة شمولية تربط بداية الخليقة بنهايتها وتصوغ درر الأديان والالتماعات الروحانية الأولية في عقد تطوري منتظم متناسق من خلال نظرية التقمص والعدالة الربانية. ولم يكتف المذهب الدرزي بذلك بل تعدى واقع المادة إلى الغوص في لجج الماورائيات الروحية جاعلا العقل مقياسه وحاجز الفصل بين التخيير والتسيير.

لم يُنظِّر المذهب الدرزي للمسلمين وحدهم بل تعدتهم طموحاته الوحدوية إلى استقطاب مختلف أهل الكتاب فجاءت في تفسيراته أشياء من الهرمسية والموسوية والنصرانية التثليثية واليونانية والفلسفة الهندية والصينية في إطار بناء تفسيري منسّق العناصر يفتح الباب للجميع ويشعرهم بأن لهم في هذا الهيكل مكانا. إن هذه الصيغة رغم شموليتها قد تقيدت تقيدا صارما بوحدانية الرب وصمدانيته وتنزهه وارتفاعه عن كل وصف ومحاكاة.

هذا هو الإطار العام للمذهب الدرزي وهذه هي توجهاته الوحدوية وهذا هو مناخه وتطلعاته الإجتماعية السياسية إذا جاز التعبير. يبقى علينا أن نعرف صيغة انعكاس روح المذهب على القيم العسكرية الفردية والعامة.

سحبت القيم الروحانية للمذهب ملامحها على الفكر العسكري الدرزي وأضافت إلى تراثه العربي الإسلامي جواهر جديدة انبعثت من المسلمات الدرزية التالية:

* **الصدق**: وهو الفضيلة التوحيدية الأولى التي تفرض على الدرزي اعتناقها فهي صدق في اللسان والمعاملة وفي العزيمة القتالية والتحالف، وهي صدق في العبادة والتوجه والإيمان والممارسة.

* **حفظ الاخوان**: وهذه هي الفضيلة التوحيدية الثانية التي تفرض على الإنسان المحافظة على أخيه الإنسان بوجه عام وعلى أخيه في التوحيد بوجه خاص فتعطي للتعامل البشري بعدا أخلاقيا ينزع إلى المساواة

والعدالة ونصره المظلوم وعلى الأخص ذلك الشريك في الفكر والتطلع والنهج والقضية والمذهب.

* **البراءة من العدم**: وتنسحب توجيهات هذه الفضيلة على قطاعي الفكر الديني والمادة الأرضية. فالبراءة من العدم تعني الترفع عن بهرج الدنيا ومتاعها الزائل والتعلق بالرب الأزلي الأبدي وخيراته الروحانية الدائمة. إن هذه القيمة تدفع الدرزي إلى احتقار الدنيا لأنها متاع الغرور وتحضه على التعلق بالفضائل الروحانية. ولذلك كثر التنسك في هذا المذهب رغم ابتعاد الإسلام عنه بوجه عام وعمت البساطة حياة الدرزي في مأكله ومشربه وأسلوب عيشه فلا تغره المغريات الدنيوية المادية ولا تستثيره مظاهر العظمة الفارغة ولا تغريه المطامع الزائلة. لقد ولّدت هذه الفضيلة لدى الموحد الدرزي روح الاطمئنان والقناعة وأبعدته عن مهاوي الشهوات النفسية الأمارة بالسوء.

* **الرضى والتسليم**: وهذا قمة العلم والدين في آن معا حيث يرضى الانسان بما قسمه الله له من متاع الحياة الدنيا ويسلم أمره اليه فتطمئن نفسه ويرتاح ضميره لأنه أوكل أمره الى ربه الذي لا ينساه وهو القوي الحكيم القادر على حمايته من كل سوء وهو الذي يملك زمام قدره المحتوم الذي لا تغيره الظروف المادية ولا منطق الموضوعية.

لعبت هذه الفضيلة دورين في حياة الدرزي فكانت البرد والسلام الذي يحتضنه ويقيه من غوائل الحدثان في الشدائد والصعاب فيخوض المعارك مطمئن البال صابرا على مصائبه مسلما أمره للرب العلي القدير ينتظر قدره بغير جزع ولا ارتباك. هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فقد لعبت هذه القيمة كعامل إبطاء في مجال الاستنهاض والتعبئة لمن التبس عليه بيان الحد الفاصل العقلاني بين التخيير والتسيير وهذا يحصل عادة في بداية كل تحرك عسكري حيث تتأخر التعبئة عن اعطاء أكلها بحكم حب الاستقرار الانساني الذي عبر عنه المتنبي بقوله:

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا
لغادرت شيبي موجع القلب باكيا

وبحكم قيمتي البراءة من العدم والرضى التسليم الدرزيتين، اللتين تتباين التفسيرات الشعبية في تبيان حدودهما، وهذا ما لمسه كمال جنبلاط مرارا في أحداث عامي ١٩٥٨ و ١٩٧٥ م التي سنتكلم عنها فيما بعد.

* **سلوك المنحى الدفاعي:** جاءت هذه القيمة لتعزز القيم الاسلامية السابق ذكرها ولتسهم في لجم الهجومية العربية الجاهلية. عدلت هذه الفكرة من النهج العصبي العربي القديم ورسخت قناعة عدم خوض أية معركة الا في مجال الدفاع عن النفس والقيم معتبرة أن الحرب بمفهومها الذي يركز على المبادأة غير جائزة، وهذا ما ينحو بالفكر الدرزي نحو مفهوم العدالة في الحرب الذي عالجه بعض علماء الفكر المسيحي والذي عالجه الاسلام في نظرية الجهاد.

جمع الدروز في هذا الباب بين نظرية العدالة المسيحية ونظرية الجهاد في حل توفيقي فرفضوا المبادأة بالحرب وأقروا الهجومية والمبادرة في المعارك بعد اندلاعها. ولم تكن عندهم العدالة الدفاعية مبسطة ترتبط بالعمل العسكري الصرف وحده ولكنها ارتبطت بالممارسات الأخرى من دفاع عن الحق السليب الى دفع للضرر وحماية للارض والوجود الامور التي تسوغ حمل السلاح وتعتبر العمل العسكري دفاعيا حتى ولو كان الدرزي هو البادىء به.

* **التواضع وعدم الغرور:** تتصل هذه القيمة بقيمتي البراءة من العدم والرضى والتسليم وتتوجه جميع مفاعيلها الى الزهد بالدنيا، آخذة من قيمة حفظ الاخوان روح التواضع والمساواة متجهة نحو النسك بما يمثل من لجم للشهوات وتقوية للنفس وتحصين لها من الوقوع في المنزلقات.

ساهمت هذه القيمة مع الفكر الاسلامي في تعديل غلواء النهج العربي الجاهلي الذي يأخذ بالتفاخر ويعتد بالقوة لأن النصر من عند

الله. وظهرت نتائجها في النسك والبساطة في العيش والقناعة. كذلك برزت في السلوك والتصرف فترى الشيوخ مثلا عند التحدث عن النفس يستعيضون عن كلمة أنا بعبارة «العبد الفقير» للتذكير بأن الانسان يفتقر دائما الى رضى ربه ونصرته.

* **احترام المرأة:** وهذا نهج درزي مميز ظهرت ملامحه في الاقتران بامرأة واحدة عملا بالآية الكريمة وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة. كما ظهرت في كرههم لعودة المطلقة الى زوجها وذلك خلافا لنهج بقية الفرق الإسلامية. ان الاقتران بواحدة وعدم عودة المطلقة ينبعان من الاحترام الذي يكنه الدروز للمرأة ومن تقديسهم لعملية الزواج التي توجب ممارستها في نظرهم الجدية والروية وعدم التردد والتراجع وتغيير الرأي من وقت الى آخر.

احترم الدرزي المرأة فحاك حولها قيم العرض التي تدفعه الى التضحية بحياته في سبيل صيانته والى الحفاظ على عرض الآخرين ملتزما بذلك في شتى الظروف وأحلكها أكان ذلك في السلم أم في الحرب. من هنا تعززت القيمة الإسلامية لعدم التعدي على النساء والأطفال والشيوخ في الحرب وأصبحت قيمة ملزمة وكل خرق لها كان يقابل بالاستنكار الشديد العارم وبالمواجهة الجماعية الصارمة.

* **التقمص:** وهو قيمة تضع روح المرء في يد خالقه يدبر شؤونها وينقلها من قميص الى قميص في مسار التدرج البشري في معراج الارتقاء والاقتراب من الله عبر فتح جميع سبل الامكانات والاختيار العادل أمامها في اطار التخيير والتسيير اللذين يفصل بينهما العقل المدرك. هذا يؤكد أن العمر محتوم وكل ما هو خارج الادراك مقدر «ولا يصيبكم الا ما كتب الله لكم». هذه العقيدة تساعد الانسان على الاقدام واضعا روحه في يد خالقه مسلما أمره لقدره ولربه المسيّر لأن عمره محدود «محفور على جبينه». ولا يمكن لأي انسان أن يؤثر في طوله وقصره لأن العمر في يد الله ولكل أجل كتاب.

★ **الشجاعة**: وهي قيمة أساسية في حياة الدرزي تدور حولها حياته ويرتكز عليها مساره ونهجه في التصرف حيال الأخطار. رافقته طيلة حياته الجهادية وكانت له المنقذ في أحلك ساعاته. اختزنها الدرزي من تراث أجداده العرب وغذّاها باسلاميته نصا وممارسة وتمثلا بالامام علي كرم الله وجهه وبخالد بن الوليد وبالمقداد بن الاسود وزكاها من صميم مذهبه التوحيدي فعرف «أن الموحد الديان شجاع غير جبان» «ومن خاف من بشر مثله سلط عليه»، كما تمسك بتعاليم مذهبه التي تقول «معّشر الاخوان لا تكن خشيتكم من عدوكم مثل خشيتكم من باريكم».

على أية حال لقد أصبحت الشجاعة الهادئة غير المتهورة والصمود الصابر منهجا أساسيا في السلوك الدرزي وطابعا مميزا في التصرف والحياة نتيجة الممارسات عبر التاريخ.

هذه هي العناصر الأولية لمعدن المقاتل التقدمي فيها من العروبة شيء ومن الدين الإسلامي عامة والمذهب الدرزي خاصة أشياء وأشياء. ان هكذا قيم لا بد أن يكون لها تأثير على شخصية الانسان وعلى تصرفاته وعلى منهجه السياسي والاجتماعي. سنتلمس ذلك ما من شك عبر بحثنا خلال حنايا التاريخ الدرزي العسكري وسنبين مقدار تأثير تلك الصفات على القائد وعلى المقاتل وعلى العقيدة القتالية بوجه عام.

★ **القيم الجغرافية**: ما من شك أن الانسان ابن بيئته فمناخها وأرضها يطبعانه بطابعها المميز إن في قواه الجسدية أو نشاطاته الفكرية والاجتماعية، وهو على علاقة جدلية دائمة معها ومع الشعب الذي يحتك به فيتأثر ويؤثر في تفاعل مزدوج الاتجاه. والبيئة اللبنانية الجبلية الوعرة ميزت شعبها بالقوة البدنية والتحمل والصبر والنشاط والمغامرة والاستقلالية الى ما يلامس الانعزال أحيانا. ولم ينحصر تأثير البيئة اللبنانية الجبلية على الانسان الدرزي في ناحية الأخلاق والقيم الفردية ولكن الأمر تعدى ذلك الى القيم المجتمعية الداخلية والخارجية لما ينسحب على الموقع الجغرافي من تأثير مصالح التفاعل الاقليمي والدولي

وما يفعل فيه من تناقض مصالح المجتمعات الداخلية وتوافقها.

هذا الواقع هو الذي طبع مسار التاريخ الدرزي العسكري عبر العصور وأدخل قيما جديدة على معدن الأخلاق الفردي ذات أبعاد اجتماعية وقومية وسياسية. ان تتبع آثار هذا التفاعل الدائم هو بعينه التاريخ العسكري للمقاتل التقدمي يرصد مسار حركاته وتحولاته الى أن يظهر في حلته الحاضرة. هذا بالطبع اذا لم نهمل التلاحم والتفاعل مع قوى أخرى رفدت العنصر التقدمي بدمها وفكرها خاصة في مرحلة الحرب الأخيرة ابتداء من عام ١٩٧٥ م.

تطور الخصال العسكرية

قلنا أن القيم العسكرية الأساسية في معدن المقاتل الدرزي كانت الخصال العربية أولا ثم الثوابت الدينية الإسلامية فالقيم المذهبية الدرزية وأخيرا الخلال المطبوعة بطابع البيئة.

ان الخصال العسكرية العربية هي نتاج تراث متأصل ضارب في عمق التاريخ ومحصلة تفاعلات اجتماعية وممارسات حربية حملها جدود الدروز الأوائل معهم الى لبنان في هجرتهم من مواطنهم السابقة.

جاء الدروز الى بلاد الشام في أربعة مجموعات قبلية بوجه عام هي تنوح وتيم وكلب وربيعة وقد كانت الفئات التنوخية الأكثر عددا وذات الصفة الغالبة عامة سكن التنوخيون منطقة بيروت والجبال المشرفة عليها وسكنت تيم منطقة اقليم البلان وامتدت نحو الشوف فكان منها بنو جندل الذين انتشروا ما بين قلعة جندل في الاقليم وحارة جندل في الشوف، واشتهر فيهم الأمير الضحاك والامير شبيب صاحب قصر شبيب. أما بنو كلب فقد انتشروا بين مواطن القبائل السابقة وداخل دمشق ونزلت ربيعة بقيادة المعنيين في بلاد الشوف في جوار التنوخيين كما نزل الشهابيون المخزوميون القرشيون في منطقة حاصبيا.

ان بطون التاريخ تنبىء بعدة روايات عن نزول التنوخيون في لبنان، البعض يقول انه بعد مقتل النعمان الثالث ملك الحيرة عام ٦١٣م سار أحد أولاده بجملة من قبائل العرب ونزل سفح جبل لبنان الغربي حيث انشأ امارة توارثها أولاده من بعده. أما السجل الإرسلاني فيتحدث عن نزول اللخميين أجداد الارسلانيين في جبال لبنان الغربية عام ٧٥٩م

قادمين من معرة النعمان، بعد أن جاء أجدادهم لفتح بلاد الشام وشاركوا مع خالد بن الوليد في معركة اليرموك ثم في فتح كل من دمشق والقدس، وأسهموا مع أبي عبيدة عامر بن الجراح في فتح حلب، ثم قاتلوا عام ٧٥٠م في معركة الزاب الكبيرة. بعد هذا اختارهم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لمساندة حماة الاطراف وتعزيزهم، فانتقلوا الى البنان أثناء ثورة المنيطرة عام ٧٥٩م وشاركوا في صد التحرشات البيزنطية فيما بعد.

لقد جاءت هذه القبائل العربية الى لبنان لتحمل أعباء دور حضاري اجتماعي عنصري تمظهر بوجهه العسكري في مهمة حماية الثغور من الاغراب وصيانة حدود الدولة من الاعتداءات الخارجية البعيدة والقريبة. قامت هذه القبائل قبل اعتناقها الدعوة الدرزية بدورها بنشاط وشاركت في العمليات العسكرية ايام الخليفة الاموي معاوية بن أبي سفيان. وخاضت حروبها تحت لواء القيم والايديولوجيات العربية الاسلامية وعلى رأسها قيمة الجهاد. كان العمل العسكري في ذلك الحين ينفذ بأسلوب ذلك الزمان وأفكاره تحت شعار الامة المسلحة حيث يؤمن السلاح ووسيلة النقل على همة المقاتل نفسه. لم يكن التجهيز بالامر المعقد بل اقتصر على استعمال السلاح الابيض والخيول. أما التموين فقد كان يوفّر بطريقتين: الاولى تعتمد على الزاد الفردي (الزوادة) الذي يكفي لعدة أيام والذي يحمله المقاتل معه على ظهر جواده ويؤمنه من مؤونة بيته. والثانية وهي التموين الدوري بواسطة قيادة الحملة عندما تتعدى مدة المهمة الوقت القصير لتدخل في نطاق الواجب الطويل كمهمات حاميات الثغور ومخافر الاطراف. أما القيادات فكانت تعقد للامراء حسب الطريقة العربية القديمة وتتم التعبئة والتجييش حسب تلك القاعدة التي عدلها الاسلام جاعلا الوضع العسكري للامة أما دار حرب أو دار سلام. ففي دار الحرب يحمل الجميع السلاح ولا وجود لجيش نظامي متخصص فالكل سواسية في الأمة المسلحة. والجهاد واجب مقدس والجنة ملاذ الشهداء. لكن التعبئة الجزئية قد تكون ملائمة لتلبية بعض المواقف والظروف التي لا تتطلب تعبئة عامة

وعندها يمكن استنفار بطن أو فخذ معينين أو اشتراك الشبان دون الكهول في اداء الواجب المطلوب كما يمكن اعتماد طريقة الابدال بحيث يقسم المقاتلون الى عدة فئات يتناوبون على أداء مهمة القيام بالواجب.

هكذا سارت الأحوال مع أجداد الدروز فحاربوا بمفاهيم وأساليب واستراتيجية العصر العربي الاسلامي وأدوا الواجبات الملقاة على عواتقهم خير تأدية. وكرت الأيام والسنون وتغيرت الاحوال وزالت دول ونشأت أخرى بعد أن اعتنقوا مذهب التوحيد ولكن مهمتهم بقيت هي نفسها ودورهم بقي هو ذاته الا وهو المحافظة على اسلامية لبنان وعروبته.

كان دور الاجداد قبل انتشار مذهب التوحيد منسجما تمام الانسجام مع عمقه الاسلامي فلا اختلاف في الواجب ولا تناظر في الايديولوجية ولا تباين في العرق أو الاثنية، الكل في تلاحم وتوافق تامين، الهدف واحد والمصلحة واحدة. هذا الواقع الانصهاري لم يدم طويلا وبدأ عليه التغيير بعد شيوع المذهب التوحيدي ولكن الدور الاساسي بقي نفسه وبقي الدروز يقومون بواجب أجدادهم التقليدي لحماية اسلامية لبنان وعروبته في تواصل شبه دائم لم ينقطع خيط استمراريته اطلاقا.

دخل على أخلاقية الاجداد في ذلك الوقت احساس القيام بالواجب المتسم بالديمومة وشعور الانتماء الى جسم أم والى أيديولوجية دينية خاصة الامر الذي يفرض الانسجام والتنسيق والطاعة. لقد ترسخت هذه القيم في النفس الدرزية ما عدا قيمة الطاعة التي بقيت مهتزة الجذور لأن التبعية تتنافى مع أصالة ايديولوجية المساواة وأباء النفس والكرامة العربية.

تجربة الدعوة الدرزية:

أغنت تجربة الدعوة التوحيدية الايديولوجية العسكرية الدرزية ورفدتها من منبعين: الاول هو التوجهات الفكرية والعقائدية التي جاء بها المذهب والتي اعتبرناها مرتكزا ثابتا في الشخصية الدرزية وصنفناها في مقومات معدنها العسكري على قدم المساواة مع القيم العربية والإسلامية والبيئية

وقد شرحنا ذلك سابقا. أما المنبع الثاني فهو مستخلص من الممارسة على الأرض في خضم التفاعلات والتناقضات وذلك نضالا في سبيل البقاء والاستمرار. ان هذه التجربة الغنية رغم قصر عهدها هي التي رسخت القدم الدرزية في وجه رياح التعصب العاتية وتقلبات الاحداث وجور الزمان.

لم تدم دعوة التوحيد طويلا فقد امتدت من عام ١٠١٧م الى عام ١٠٤٣م فقط، ولكن سبقتها بعض النذر المبشرة بقدوم الدعوة لذلك نرى أنه لا بد من التطرق لتسلسل العملية بشكل مقتضب توضيحا للصورة وتمهيدا لاستخلاص العبر العسكرية والقيادية.

في عام ٩٩٦م تسلم الحاكم بأمر الله الفاطمي الخلافة في مصر وكان عمره حوالي احدى عشر سنة، وبعد ثلاثة أشهر من ارتقائه عرش الخلافة بدأ يبث النذر للتبشير بقدوم دعوة التوحيد في وقت محدد. كان النذير الاول أبا الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري فأخذ يهيء الناس لتقبل دعوة التوحيد ويشير الى الادوار اللاحقة وللنذير الذي سيليه بعد انقضاء سبع سنوات على تحرك السامري استلم راية الدعوة ابو عبدالله محمد بن وهب القريشي في عام ١٠٠٣م فانضم اليه أبو الخير سلامة ودعاته حيث استمرت الدعوة الجديدة سبع سنوات أخرى. وفي عام ١٠١٠م تسلم الدعوة لمدة سبع سنوات جديدة القائد العسكري أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي فانضم النذيران السابقان ودعاتها اليه وفي عام ١٠١٦م بين شهري تشرين الثاني وكانون الاول اتخذ الدعاة مسجد ريدان في ظاهر القاهرة مقرا يجتمعون فيه بكبير الدعوة الذي ظهر حينها وهو حمزة بن علي بن أحمد الزوزني، أما الأزهر الشريف ودار الحكمة فكانا مركزين ثقافيين يدعمان الدعوة.

في ٣٠ نوار عام ١٠١٧م أصدر الحاكم سجلا يعلن فيه بداية دعوة التوحيد ونودي بحمزة بن علي اماما للموحدين بعد أن كان صاحب

الرسائل والمكاتبات عند الخليفة الحاكم. سكن حمزة في مسجد ريدان اعتبارا من كانون الاول ١٠١٦م وهجر اليه دعاته تحضيرا لاطلاق الدعوة في أيار فسمي المسجد بدار الهجرة الجامعة. واكب هذا التحضير صدور سجل حاكمي يأمر باعتاق العبيد والغاء الرق. واقام الامام حمزة دورا للقضاء خاصة بالموحدين تختلف عن غيرها من دور القضاء. كذلك قبضت عن الموحدين ايدي أصحاب الشرط وجميع الايدي السلطانية.

استجاب لهذه الدعوة كثيرون بسبب رعاية الخليفة لها وحدبه على انصارها فأصبحت جريدة حمزة بن علي ستة عشر ألفا والجريدة هي فرقة الفرسان الذين لا مشاة فيهم. كذلك استجاب للدعوة كثيرون من أرباب الدولة والامراء والاعيان كالشريف فخر الدولة ابي يعلا حمزة بن أبي العباس الحسيني نقيب الطالبين في الشام وأبي الفضائل عبد الخالق بن محمد وأبي اسحق ابراهيم بن عبدالله أمير البيرة في غرب لبنان، وأبي الحسن يوسف بن مصبح والأمير أبي الفوارس معضاد بن يوسف الفوارسي من أعيان الغرب وزماخ بن دعفل بن جراح الطائي وأخيه جابر من أمراء الرملة والأمير عز الدولة أبي العلي رافع أبي الليل بن عليان وسلاطين الاحساء القرامطة الملقبين بالسادة.

كانت هذه الاستجابة الكبيرة للدعوة التوحيدية التي وجهت دعاتها الى لبنان وفلسطين وسوريا والاحساء وبلاد الهند نتيجة ثلاثة عوامل هي: ملاقاة المضمون التوحيدي هوى في نفوس المستجيبين في جو التشرذم الاسلامي والتناحر التشيعي وحدب الخليفة نفسه على أنصار الدعوة وتمييزهم عن غيرهم في القضاء وحمايتهم من أولي السلطان وأخيرا اعتاق العبيد والارقاء والعودة الى الينابيع الاسلامية الاصلية في المساواة بين بني البشر لأن لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى.

ان عجلة انطلاق الدعوة بهذا الاسلوب الذي يعتمد التحضير المتأني الوئيد والتدرج التصاعدي الحذر والذي سيظهر معنا حذره وحكمته أكثر

فأكثر عند متابعتنا لسير الاحداث ان هذا الأمر وضع بذورا أخلاقية عسكرية جديدة تلمست الاتصال والانفصال باسلاميتها في آن معا ووعت أهمية التنوع وعاشت روح الانفتاح البعيد عن التفرد والتزمت لأنها تأقلمت في اطار نظامين أصولي ومنفتح ونمت بجوار بنية اجتماعية دينية راسخة فأخذت من الاثنين معا وشربت من الينابيع الاصولية ومن روافد الانفتاح الجديد في آن واحد.

ان اشتداد عضد الدعوة الدرزية في وادي التيم رغم طراوة عودها في بداية عهدها أغري كُلّاً من أمير الاكراد تالشليل وولي عهد المسلمين والي دمشق عبد الحليم بن الياس اغراهما بمهاجمة المنطقة سيما وان رعاية الخلافة للدعوة كانت حذرة وئيدة كما أسلفنا. جيّش الطرفان قواهما الجمة وعاثا في المنطقة تقتيلا وفسادا. صمد الموحدون رغم قلة عددهم فافسحوا بذلك المجال أمام الخليفة لاتخاذ قرار نجدتهم تحت راية قمع الشعب وانصاف الرعية. حاول عبد الرحيم بن الياس الاستعانة بأمير الرملة حسان بن مفرج بن الجراح للوقوف في وجه قوة الحاكم ولكن الجرح الذي أحدثته عملية الغزو البشعة في ضمائر قوات عبد الرحيم بن الياس نفسها وفي نفوس الحملة الفاطمية دفعت بانصار عبد الرحيم الى الثورة عليه ومهاجمة دمشق بعد أن حاول الاستقواء بأهلها وأهل الغوطة فقتل مندوبه الى حسان بن مفرج الذي يدعى بابن الخرقاني وفر هو بعد أن دخل الجيش مقره في دمشق وخربه ولكن المقتني بهاء الدين عاد فأسره وأرسله مكبلا الى القاهرة داخل قفص من الحديد.

لهذه الحادثة مدلول مهم في بداية عهد الدعوة فهي تنم عن أن الطريق وعر صعب المسالك وليس مفروشا بالورود. كما تظهر اقبال الشاميين لتلبية نداء الدعوة وهذا ما ساعد على تحريض الجنود للثورة ونجدة أصحاب الدعوة الذين آزرتهم قوى شرعية تحت ستار الغيرة على الأصولية الإسلامية.

ان لهذا الخيار أهميته وبعده رغم انه ربما جاء تحت راية حماية

المستضعفين وتوفير الأمن للمواطنين لأنه يؤكد رعاية الدولة للموحدين عند اشتداد الأزمات بصورة لا لبس فيها.

لم تقتصر موجة الرفض لهذه الدعوة على بلاد الشام فقام أبو ركوة في صعيد مصر بالوقوف في وجهها ولكن أمره حسم قبل أن يستفحل. وامتد الموقف الى القاهرة العاصمة نفسها على يد نشتكين الدرزي الذي كان من الدعاة ولكنه غضب من تقديم حمزة بن علي عليه سيما وانهما من أصل فارسي واحد. بدأ نشتكين الدرزي بالدعوة لنفسه في عام ١٠١٧م واستفحل أمره نظرا للتساهل الذي اعتمده حيال المواقف الأساسية والمعتقدات الاخلاقية الأمر الذي دعا لاتخاذ موقف حاسم وأساسي حياله في مطلع عام ١٠١٨م فاعتكف الحاكم واعتزل حمزة الدعوة وترك الميدان للدرزي يصول ويجول ويؤلب الاتباع حتى سيطر اسمه على الدعوة نفسها وطمس أدوار الآخرين فأخذ يطلق اسم الدرزية خطأً على اتباع مذهب التوحيد. كان الاعتكاف والاعتزال اختبارا للمستجيبين المهتدين الذين صمدوا حيال اغراءات الدرزي ولكنهم اضحوا قلة على أية حال.

استفحل أمر دعوة الدرزي وتساهلاته الأخلاقية لدرجة جعلت أهالي القاهرة يتصدون له في ٨ نوار عام ١٠١٩م ويقتلون نحو أربعين عنصرا من أتباعه الأمر الذي دفعه للسعي لتحويل نقمتهم عنه نحو خصمه حمزة بن علي المعتزل في جامع ريدان، فسارت جماهير الشعب الغاضبة التي بلغ عددها حوالي ٢٠ ألفا لمهاجمة جامع ريدان المحصن الذي دافع عنه ثلاثة عشر رجلا فقط منهم خمسة لا يصلحون للقتال بسبب كبر سنهم، أما الباقون وكانوا حمزة نفسه والنذر الثلاثة اسماعيل بن محمد التميمي ومحمد بن وهب القرشي وسلامة بن عبد الوهاب السامري بالاضافة الى المقتني بهاء الدين علي بن أحمد الطائي وأيوب بن علي ورفاعة بن عبد الوارث ومحسن بن علي. صمد المدافعون القلائل الذين يدل عددهم على انفكاك الناس عنهم حتى حل المغرب فاطل الحاكم من على شرفة قصره على الجموع ففرقها

باشارة منه ثم أمر في صباح تلك الليلة بقتل الدرزي بأفعاله فاستقام الوضع واستؤنفت الدعوة.

وكما كان الاعتكاف اختبارا للمهتدين جاء التباطؤ في حل الحصار عن جامع ريدان اختبارا لصمود الدعاة وصدق عزيمتهم وثباتهم على الوعد. كانت هذه التجربة ناجحة وتأكدت عمليا الآية الكريمة القائلة: ﴿فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله﴾، وترسّخت في قلوب المؤمنين الدعوة التوحيدية.

وفي كانون الاول عام ١٠٢٠م صدر عن الامام حمزة بن علي تقليد للمقتني بهاءالدين يوكل اليه شؤون الدعوة ثم بعد غيبة الحاكم ليل ٢٢/٢٣ شباط عام ١٠٢١م اعتزل حمزة بن علي الدعوة وسلم مقاليدها الكاملة للمقتني بهاء الدين. ان غيبة الحاكم تعتبر الامتحان الجديد للاخلاص في نظر الموحدين الذين ستتكرر امتحاناتهم بشكل أو بآخر حتى يوم الدين. أما الحاكم فكان قد أخذ قبل غيابه عهودا ومواثيق على الأمير علي الفاطمي وعلى أرباب الحل والربط لمعاملة الموحدين بالعدل والحسنى وقيل أن عدد المواثيق بلغ نيفا وأربعين عهدا.

كُتِم اختفاء الحاكم حتى ٢٧ آذار ١٠٢١م حيث أعلن وبويع الأمير أبو الحسن علي بالخلافة ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله. لم يقبل الموحدون بإمامة أبي الحسن لأن الحاكم كان قد ثبتها لحمزة بن علي فحمل الخليفة عليهم وأعلن أن السيف هو الذي سيردهم عن غيهم، وبذلك ابتدأت المحنة الجديدة على الموحدين. استمرت هذه المحنة ما يقارب السبع سنوات وكان لصالح بن مرداس والي حلب دور كبير في تحريض الخليفة على التنكيل بالموحدين. لم يقو الموحدون على المجابهة العسكرية ولكنهم اتخذوا أربعة قرارات مصيرية في هذا الصدد كان لها الشأن الكبير في بقائهم وعدم انقراضهم كان القرار الأول اعتزال الإمام حمزة وغيبته مع بعض صحبه من الحدود الدعاة وكان القرار الثاني وقف مسيرة الدعوة والقرار الثالث

الصبر على المكاره وعلى صعوبة الاختبار عملا بالقاعدة التوحيدية «الرضى والتسليم» وكان القرار الرابع التغلغل في الجهاز الحاكم ومسايرة الخليفة مع الثبات والبقاء على العقيدة والمذهب انسجاما مع الإرشادات التوحيدية التي كانت تقول إذا جابهتم المصاعب استتروا بالمألوف واحفظوني في صدوركم إلى يوم الدين. اتبع هذه القاعدة الدعاة الكبار والأمراء فعمل المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد الضيف والأمير رافع أبو الليل قائدين لدى الخليفة الظاهر، الأمر الذي سهل لهما مساعدة الموحدين في السر وتخفيف وطأة المظالم عنهم لدرجة سمحت للمقتني بأن يقتص من صالح بن مرداس عام ١٠٢٣م عندما أرسله الخليفة لينقل الولاية منه إلى الوالي الجديد. كذلك سمحت هذه السياسة للأمير رافع أبي الليل أن يختط استراتيجية هامة يمكن تسميتها باستراتيجية الأقليات أو استراتيجية متسلقي الجبال وسنأتي على ذكر ذلك فيما بعد.

نفعت هذه الاستراتيجية وخفت حدة الاضطهاد عن الموحدين فأمر حمزة بن علي من مخبئة المقتني بهاء الدين باستئناف الدعوة عام ١٠٢٦م فامتثل للأمر واستأنف نشاطه من جديد. كانت هذه المحنة تجربة قاسية على الموحدين وعلمتهم المرونة والليونة تجاه الأعاصير العاتية وبذلك ولدت فكرة التقنية كحاجة لمتطلبات امنية فرضها الخصم المتشدد بالأصولية والبالغ تشدده حدود التزمت والجمود والعدوانية لدرجة تخويل النفس القيام بدور المحاسب مكان الله جل وعلا.

سياسة المقتنى بهاء الدين العسكرية:

قلنا ان سياسة الموحدين قد أخذت عند تولي الظاهر الخلافة منحى رباعي الأركان كان الحذر والصبر والسرية والتقية أهم مقوماته. كلف بتوجيه هذه الاستراتيجية على الأرض المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد الضيف وكانت مهمته عسيرة جداً، نجح في تطبيقها خير نجاح بما اتصف به من الإناة وبعد النظر والحذر والتعقل. ما من شك أن اختيار المقتنى لهذه المهمة بقطع النظر عن المعتقدات المذهبية قد جاء لثلاثة أسباب هي:

كفاءته السياسية والعسكرية والعقلية أولا وإمكانيات تقربه من الحكم المركزي والتعامل معه ثانيا وأصله الطائي ثالثا لما لقبيلته من شأن في الرملة وفي منطقة حلب الأمر الذي يوفر له حصانه ما ضد الاضطهاد الذي قد يلاقيه.

إن ملامح استراتيجية بهاء الدين تظهر من تتبعنا لخطواته السياسية والعسكرية ولنهجه في بث الدعوة التوحيدية. فبعد تلقيه من حمزة بن علي أمرا بمباشرة الدعوة من جديد عام ١٠٢٧م واستئنافه العمل وقع له مع أحد دعاته عام ١٠٢٩م ما وقع للإمام حمزة وهو أن ابن البربرية الذي طمع في الدعوة لنفسه أقام في سبسطاس (في مديرية الغربية) وأخذ يجمع حوله الأتباع فاضطر بهاء الدين للسعي للقضاء عليه حيث أخذ من الاسكندرية مقاما له ووجه رسالة إلى الموحدين يشهر بهذا المرتد فكفته تلك الرسالة عناء متابعته الطريق إلى سبسطاس ووفرت عليه مشقة العمل العسكري الذي كان له محاذيره تحت سلطة الخليفة الذي يعادي خط الموحدين إلى أبعد الحدود. كانت الرسائل في تلك الفترة تأخذ سبيل الحذر فتكتب بالرموز والألغاز ويكنى عن المضمون بالتعابير التجارية السائدة في ذلك الحين. إن إدراك المقتنى السياسي والعسكري جعله يطبق أسلوب التدرج مع ابن البربرية فنفعت الكتب وكان صدقها ملائما فلم يحتج إلى صدق السيف وبذلك حسمت المشكلة بسهولة ويسر دون أن تترك انعكاسا على العلاقة بين الموحدين والحكم المركزي.

أقام المقتنى في الإسكندرية بعيدا إلى حد ما عن عيون الحكم المركزي في المنطقة القريبة من المغرب العربي حيث يسهل الاتصال منها ببلاد الشام، وتابع بث دعاته ومكاتبة أنصار الدعوة التوحيدية. بأسلوب حذر إن في الاتصال أو في اختيار الدعاة. ومع ذلك فقد جوبه بحركة انفصالية جديدة عام ١٠٣٤م على رأسها ثلاثة دعاة مهمين هم لاحق بن الشرف العباسيّ ومسعود بن سكينة الكردي الملقب بسكين ومصعب التميمي. جاءت هذه الحركة خطيرة في حجمها ومضمونها لأنها ضمت عددا من الدعاة المختارين

فضلا عن اعتمادها التضليل في تفسير الدعوة من ناحية سوء فهم إبدال الفرائض التكليفية بالفرائض الروحانية بالإضافة للتساهل بالقيم الأخلاقية إلى درجة الإباحة الأمر الذي جمع حولها كثيرا من ضعاف النفوس والمستهترين والمظللين.

عالج المقتنى هذه الحركة بإرادة صلبة وبرودة وحكمة وحزم وطول إناة، فبادر إلى عزل لاحق بن الشرف من مركزه بسهولة لأنه لم يكن متسلما أية مسؤولية مرتبطة بولاية معينة أو بقوم معينين بل كان مساعدا للمقتنى مقدما على جميع الدعاة وليس له دار هجرة أو قرار. أما الوضع مع سكين فكان أخطر من ذلك لأن المقتنى كان قد قلده أمور الدعوة في جزيرة الشام العليا منذ عام ١٠٢٧م فركز إقدام دعوته المضللة في وادي التيم وأصبح من الصعب عزله بسهولة لكثرة اتباعه. عمل المقتنى لحل تلك المعضلة على خطين: الخط الأول إعلامي (إذا جاز التعبير بإطلاق هذا الإسم عليه) وهو يدور حول دحض أضاليل سكين بالرسائل المفندة لدعوته والخط الثاني تفاوضي قاده المقتنى بروية وصبر حتى بلوغه الطريق المسدود فحسم الأمر بالسيف.

كيف سارت الأحداث؟ عند استفحال أمر سكين استدعاه المقتنى إلى الإسكندرية للتفاوض وجاها عام ١٠٣٤م وأرسل في نفس الوقت أحد دعاته أبا اليقظان عمار إلى وادي التيم لإقناع مريدي سكين بخطل آرائه وحثهم على العودة إلى النهج القويم. عرج عمار في طريقه إلى المنشقين على قرية بكفيا وأودع سلاحه عند الشيخ أبي الخير سلامة بن جندل كبادرة لحسن النية والسلام المنشود وتوجه إلى قرية كوكبا مركز المنشقين حيث فشل في التفاوض معهم فلم يقتنعوا بتفسيرات المقتنى المكتوبة ولا بالحوار الذي قاده الداعي نفسه. ولم يكتف المنشقون بذلك بل أهانوا عمارا وضربوه وتبعوه حتى قرية إبل السقي حيث قتلوه ودفنوه في رجمة هناك.

وكما فشلت مهمة الداعي عمار في وادي التيم لم تنجح محاولات المقتنى في إقناع سكين بالعودة إلى جادة الصواب وطال الحوار معه في جو من

الصبر والروية. ولما وصلت أخبار اغتيال عمار إلى المقتنى أرسل بعثة حوار أخرى لمقابلة أنصار سكين رئستها السيدة سارة ابنة أخت المقتنى وصاحبها في مهمتها شقيق المقتنى نفسه الداعي أبو الحسن تقي بن احمد الطائي. نجحت مهمة السيدة سارة في اقناع كثر من مؤيدي سكين فما كان منه بعد أن وصلته الأخبار إلى الإسكندرية إلا أن عاد خفية إلى وادي التيم وأخذ في مناهضة مساعيها وعرقلة مهمتها. ولم يبق سكين وحدة في الميدان بل أنجده حليفه مصعب التميمي بالوشاية إلى الخليفة الظاهر بأن المقتنى قد عاد إلى سابق عهده في الدعوة الأمر الذي اجبر المقتنى على التوقف عن متابعة نشاطه وستر الدعوة خوفا على الموحدين من الظلم وفرض على نائبه في القاهرة أيوب بن علي التخفي خوفا من بطش الظاهر.

قضى الخليفة الظاهر نحبه في عام ١٠٣٦م أي بعد حوالي السنة على هذه الحادثة فارتفع الخطر عن الموحدين ببداية خلافة المستنصر ولكن الدعوة لم تستأنف إلا بعد أن عين المقتنى أستاذا في القصر وقاضيا ومفتيا في مطلع عام ١٠٣٧م.

بعد أن اطمأن المقتنى للوضع مع الخلافة استدعى السيدة سارة من وادي التيم وطلب من الأمير معضاد أبي الفوارس القاطن في قرية فلجين قرب عاليه ضرب الحركة السكينية بعد أن استفحل أمرها ولم تنفع معها معالجات الحوار طيلة ثلاث سنوات وبعد أن أمن المناخ الملائم في قصر الخلافة لضربها.

توجه الأمير معضاد إلى وادي التيم وهاجم سكينا في قرية يذما وأجهز على معظم أنصاره ففر سكين إلى قرية عرنة حيث قتلته إحدى الموحدات حرقا في التنور وكان ذلك عام ١٠٣٧م.

لم يستكن مصعب التميمي بل حاول إيغار صدر المستنصر على المقتنى ولكن المقتنى تمكن من الإفتاء بكفره فألقي القبض عليه وقتل وانتهت بذلك هذه الحركة الإنشقاقية الخطيرة.

إن إرسال المقتنى للسيدة سارة لإدارة المفاوضات في وادي التيم إنما يرمز إلى النهج التوحيدي في احترام المرأة ومساواتها بالرجل وليس أدل على ذلك من الفريضة التوحيدية التي توجب بأن يكون للمرأة نصف الثوب الذي في عنق الرجل.

قلنا أن المقتنى قد تقلد منصب الافتاء والقضاء لدى المستنصر وعين أستاذا في قصر الخلافة الأمر الذي وضع سلطة قوية في يده وسهل عليه اطلاق الدعوة من جديد ومساعدة انصاره ومريدي دعوته. اختار المقتنى خط التقرب عن درس واقتناع وأوعز بذلك إلى كل المتنفذين من أنصار دعوة التوحيد كالأمير رافع أبي الليل وغيره معتبرا أن الموحدين وديعة الإسلام إلى يوم الدين وسيف من سيوفه، ولا بد لذلك من العمل في كنف الإسلام والتكيف حسب معطيات السلطة الإسلامية بما يتلاءم والمحافظة على الوجود. كان هذا النهج البذرة الأولى لفكرة التنوع ضمن الوحدة التي حافظ عليها الدروز على مر العصور وبلورها كمال جنبلاط في تعاليم حزبه التقدمي الإشتراكي.

سياسة رافع بن أبي الليل العسكرية:

إذا اجاز لنا أن نعتبر المقتنى بهاء الدين الموجه وراسم الاستراتيجية السياسية للموحدين في ذلك الحين بعد أن نضع موقف الآمر الاساسي حمزة بن علي جانبا يمكننا أن نطلق على الأمير رافع بن أبي الليل اسم أب الاستراتيجية العسكرية الدرزية والمناور البارع الذي اتسم تصرّفه بحس المقياس وبعد النظر والمرونة التي لا يغيب عنها الهدف الأساسي.

ما هي استراتيجية الأمير رافع إذن؟ ستتوضح من خلال النظر في مناوراته العسكرية طيلة فترة الدعوة ومطابقتها للخط التوجيهي الذي انتهجه المقتنى بهاء الدين وتتحدد مناطق المطابقة ومكامن التباين في حال وجودها.

إن أول ظاهرة توافق بين الاثنين هي العمل مع الخليفة الظاهر في

المجال العسكري رغم اضطهاد الخليفة للموحدين والتنكيل بهم، وقد جاء ذلك بقرار من المقتنى وربما بقرار من حمزة بن علي نفسه للتخفيف من شدة المحنة وضبط غلوائها من الداخل. عمل المقتنى قائدا عسكريا ثم معلما وقاضيا ومفتيا وعمل الأمير رافع قائدا عسكريا. لقد كان لعمل رافع بن أبي الليل في صفوف الخليفة الظاهر الأثر الكبير في رفع الضيم عن الموحدين وفي الذب عن حياضهم، فكيف مارس ذلك الأمير مناورته؟

كان الأمراء صالح بن مرداس الكلابي وحسّان بن مفرّج بن الجراح الطائي وسنان بن عليان الكلبي ولاة على حلب والرملة ودمشق من قبل الخليفة الفاطمي الظاهر ولكن الأطماع راودتهم في الاستقلال بحكم إماراتهم فألفوا عام ١٠٢٥م حلفا عربيا ضد الخليفة وحاولوا استجلاب الأمبراطور البيزنطي باسيل الثاني إليهم ومساعدتهم عسكريا ولكنه رفض ذلك. حاولوا أن يكون الحكم في البلاد للحلف الثلاثي فيستقل حسان بن مفرج بفلسطين وصالح بن مرداس بحلب وما معها وسنان بن عليان بدمشق وملحقاتها.

خاف الخليفة الظاهر من هذا الحلف فهادنه أولا واستصلحه ولكن المتاعب والفتن ازدادت في وجهه فسير إلى الشام جيشا فاطميا بقيادة انوشتكين الدزبري حيث وقعت بينه وبين الحلف الثلاثي معركة كبيرة عام ١٠٢٥م هزم الدزبري على أثرها وانسحب إلى عسقلان. سيطر حسان بن مفرج على الرملة وجوارها وحاول الاستقلال بها كما سيطر صالح بن مرداس على حلب وحمص وبعلبك وصيدا وحصن ابن عكار في ناحية طرابلس، أما سنان بن عليان فلم يتمكن من السيطرة على دمشق ولكنه ضرب غوطتها وسبى ونهب ودمر.

كانت الدعوة التوحيدية منتشرة في منطقة دمشق وقد يكون ذلك من الأسباب التي دفعت الدمشقين للمقاومة لأن الموحدين لم ينسوا ظلم صالح بن مرداس لهم ودسائسه عليهم وهو أحد أركان الحلف الثلاثي. ويزيد في رجحان كفة هذا الظن ما كان للموحد أبي يعلى حمزة بن أبي العباس نقيب

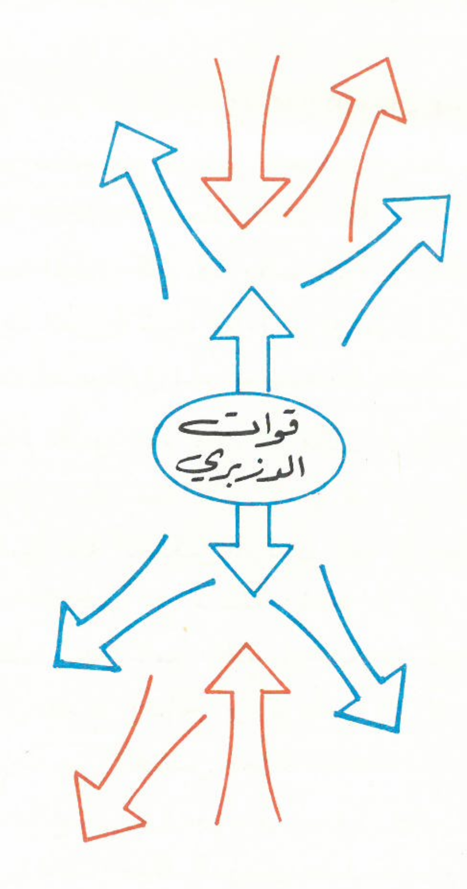
الطالبين من مواقف تحريضية على الدفاع وتحصين المدينة.

انطلقت رسل التفاوض بين الخليفة الظاهر وأركان الحلف الثلاثي فاشترط حسان بن مفرج زعيم الحلف لقاء الولاء للخليفة الفاطمي أن يحكم هو فلسطين كلها، ويتسلم صالح بن مرداس حلب كلها، وسنان بن عليان دمشق وتوابعها. لم توقف المحادثات واستمرت المناوشات العسكرية في دمشق فأصيب سنان بن عليان بجروح هدت من عزيمته القتالية فتدنى مستوى أورار الحرب لفترة طويلة. وفي عام ١٠٢٨م توفي سنان فاستلم إمارة الكلبيين ابن أخيه الأمير رافع بن أبي الليل فتغيرت بذلك أشياء كثيرة.

ربما يكون سنان من عداد الموحدين كما كان ابن اخيه وربما يكون إقدامه على التحالف مع صالح بن مرداس وحسان بن مفرج من باب الانتقام من الخليفة الظاهر لتنكيله بأصحاب الدعوة لكن ذلك لم يثبت سيما وأن أبا يعلى حمزة الموحد الموثوق كان قد وقف ضده في معارك دمشق. أما رافع فجميع المستندات الدرزية تثبت إنتاءه لفرقة الموحدين وتؤكد على أهمية دوره في رفع شأن الدعوة وإرساء قواعدها.

استلم الأمير رافع زمام الأمور عام ١٠٢٨م فكان أول ما أقدم عليه الإنسحاب من الحلف الذي أنشأه عمه الأمر الذي فت من عضد الحلف وسمح للخليفة الظاهر بتسيير حملة أنشتكين الدزبري عليه من جديد. وفي عام ١٠٢٩م عسكرت القوات الفاطمية في منطقة الأقحوانة على نهر الأردن قرب طبرية بعد أن انضم إليها الأمير رافع ورجاله فما كان من طرفي الحلف الباقيين حسان بن مفرج وصالح بن مرداس إلا أن أقدما على مهاجمتها من جانبين. دارت بين الفريقين معركة طاحنة انهزم فيها طرفا الحلف شر هزيمة وقتل صالح بن مرداس على أيدي رجال الأمير رافع فاحتز رأسه وأرسله إلى قائد الحملة الدزبري حيث أرسله بدوره إلى الخليفة في القاهرة. أما حسان بن مفرج فقد فر مع جماعته إلى الجبال حيث تعقبه الجيش الفاطمي وقتل من رجاله عددا كبيرا.

معركة الاقحوانة



قتل صالح بن مرداس وأحد أبنائه في الأقحوانة وفر ولداه الباقيان نصر وثمال من بعلبك وصيدا إلى حلب وهكذا انتصر القائد الفاطمي بفضل نجدة الأمير رافع ونزل عليه ضيفا في دمشق يرفل بمظاهر الأبهة والعظمة.

كان لهذه المعركة تأثيرها البالغ في خارطة التحالفات وفي مسار الحركة السياسية لانها أبقت القبيلتين الكبيرتين بني طي وبني كلاب خارج نطاق الولاء للخليفة فانحصر اعتماده على الأمير رافع أبي الليل وعلى أعوانه العرب الموحدين من قبائل كلب وتنوخ وتميم. مكن هذا الموقع المميز الأمير رافع من لعب دور عسكري وسياسي هام وساعده على توفير الضمانات الأمنية السرية لفرقته موقف الخلافة منه. لم يتهور الأمير رافع ويجاهر بتوحيده ويطلب الضمانات لإخوانه مباشرة بل عمل على « حفظ الاخوان » بصورة متأنية غير مباشرة تتسم بالكتمان والحذر والروية العاقلة.

لم يستقم الأمر بين الفاطميين والأمير رافع أكثر من سنة لاختلاف النوايا والأهداف. حالف الفاطميون رافعا للفت من عضد الحلف الثلاثي ولتسهيل ضرب الجميع وإعادتهم إلى بيت الطاعة الفاطمي صاغرين. لقد كان التحالف في نظر الفاطميين مرحليا لقضاء مهمة معينة فارتدوا بعدها ليباشروا بقص جناحي الأمير رافع ونزع العطاءات والأراضي التي تقلدها بعد المعركة لإبقائه صغيرا لا يشكل خطرا على نفوذهم. أما هو فقد كان دخوله في صفوف الجيش الفاطمي بهدف ضرب العدو الصغير القريب (المرداسيين) على يد العدو الكبير البعيد (الفاطمي) حفاظا على إخوانه الموحدين. اختار رافع مناورة ضرب الضيف بالتحالف مع القوى فنجح في معركة الأقحوانة، ولكن همه توجه فيما بعد للجم غلواء التسلط الفاطمي سيما بعد أن توجه نحوه بالذات ولم يزل نهائيا عن إخوانه في العقيدة.

ظن الفاطميون أنه من الصعب احياء الحلف القبلي لما بين الموحدين والمرداسيين من ثأر ولما تركته معركة الأقحوانة من شقاق بين أطراف

الحلف. لكن دهاء الأمير رافع ورجاحة عقله تغلبا على هذه العقبة بإقناع حسان بن مفرج بإحياء التحالف بينهما الأمر الذي دفع انشتكين الدزبري لمواجهة هذا الحلف عسكريا عام ١٠٣٠م في معارك عديدة قرب بصرى جنوبي دمشق كان النصر فيها سجالا، وفي النهاية انتصرت القوات الفاطمية فانسحب رافع أبو الليل وحسان بن مفرج شمالا وأمنا بذلك جانبهما. خلت الساحة الفلسطينية الدمشقية للفاطميين بعد انسحاب الأميرين ولكن عزلتهم عن الشعب تفاقمت بسبب إجماع الحلف القبلي الثلاثي ضدهم، خاصة أثر اتفاق نصر المرداسي مع البيزنطيين عام١٠٣١م، بعد عدة معارك بين الطرفين انتصر في احداها المرداسيون قرب حلب على الأمبراطور البيزنطي نفسه.

إن الاتفاق الذي ضم البيزنطيين والمرداسيين والكلبيين والطائيين عزل الفاطميين عن الشعب فأصبحوا حاكمين بالمظهر والآخرون حاكمين في الضمائر. ادى هذا الوضع إلى ارتخاء قبضة الحكم الفاطمي عن الشعب فنعم الموحدون في المنطقة الجنوبية تحت حكم امرائهم من بني تنوخ وجندل بالأمن والاستقرار.

في عام ١٠٣٢م توافرت الأسباب الموضوعية ليتحالف البيزنطيون والمرداسيون ضد الموحدين. فقد كان نصر بن صالح يضمر الشر للأمير رافع بسبب معركة الأقحوانة ومقتل أبيه وأخيه فيها كما كان يخشى من تعاظم قوة الموحدين السياسية والعسكرية في جبل السماق حيث احتلوا مواقع استراتيجية على ضفاف العاصي، وقوتهم بالتالي هي قوة للأمير رافع نفسه.

كان جبل السماق منطقةاستراتيجيةلكل من نصر بن صالح وللبيزنطيين. خاف البيزنطيون الأمير رافع كما خافه نصر لأن انحيازه للفاطميين في الأقحوانة لم يغب عن بالهم فاتفق الطرفان عام ١٠٣٢م. على ضرب الموحدين في جبل السماق فقبضا على المسؤولين فيه بالخديعة والاسترضاء وجردا حملة على الجبل نكلت بأهله تنكيلا كبيرا.

أدرك الأمير رافع خطورة الوضع وأن العمل موجه ضده لاستدراجه

وحلّل الموقف العسكري والسياسي فرأى أن من الأفضل السكوت والتغاضي عن الجريمة لكي لا يؤدي انفراط عقد الحلف القائم مع المرداسيين والبيزنطيين إلى ازدياد النفوذ الفاطمي في الشام فيتأثر بذلك موحدو وادي التيم والأشواف. صبر على الإهانة والضيم وكظم غيظه وتابع سياسة التحالف، فواجه في نفس العام الدزبري مرتين قرب افاميا وكان قد تقدم نحو حلب لتوسيع رقعة السلطة الفاطمية فهزمه وأعاده إلى دمشق خاسرا.

أدت هذه المعارك المثيرة الى خوف الخليفة الفاطمي من غزو البيزنطيين لجنوب سوريا فأعلن النفير العام استعدادا لغزو بلاد الروم لكن البيزنطيين أخذوا بمد خيوط الصلح للفاطميين عندما علموا بالأمر فحضر المحادثات مع البيزنطيين مندوبون عن نصر بن مرداس وحسان بن مفرج ورافع بن أبي الليل.

بقي الأمير رافع مع حليفيه العربيين مخاصما للخليفة الفاطمي الظاهر حتى موت الخليفة عام ١٠٣٦م الأمر الذي دفع الخلافة الى تشجيع حركات لاحق وسكين ومصعب التي مر ذكرها وذلك بغية تفتيت وحدة الموحدين من الداخل وضرب قواهم الناشئة في الجنوب بزعامة التنوخيين والجندليين وبزعامة الامير رافع في العمق السوري.

بعد موت الخليفة الظاهر واعتلاء المستنصر السدة عام ١٠٣٦م قرّب اليه المقتنى بهاء الدين كما أسلفنا، فأشار عليه المقتنى بالتقرب من الحلف العربي فقبل النصيحة. وجه المقتنى الامير رافع للاتفاق مع الخليفة الجديد حفاظا على مصلحة الموحدين فامتثل لتوجيهاته مما سمح للمقتنى بتصفية حركة سكين عسكريا وحركة مصعب افتائيا. نجحت فكرة المقتنى في تقرب الخليفة من الحف القبلي وسارت الامور التوحيدية على ما يرام فأطلقت الدعوة من جديد عام ١٠٣٧م وارتاح الموحدون في جميع مواطنهم الشامية.

وفي عام ١٠٣٨م تبين للروم وللقائد الفاطمي انشتكين الدزبري وأثر

تحريض له من جعفر بن كليد الكتامي والي حمص تبين أن نصر بن صالح الذي تقع ولايته (حلب) على الحدود بين الدولتين يلعب على الحبال ويداهن الطرفين ويدس بينهما للابقاء على نفوذه. فقرر القائد الفاطمي ضربه واتفق مع البيزنطيين الذين سمحوا بذلك، فسيّر اليه جيشا بقيادة رافع أبي الليل الذي كان يتحين الفرصة لتنفيذ هذه الامنية العزيزة على قلبه. اصطدم الجيشان قرب سلمية فهزم نصر وفر الى انسبائه بني نمير، ففتحت الطريق أمام رافع للمسير الى حلب. لم يستكن نصر لهذه الهزيمة فجيش قواه من جديد والتقى الجيشان عند تل فاس حيث هزم نصر وقتل في المعركة فاحتز الأمير رافع رأسه وأرسله الى القائد الدزبري.

بعد هذه الحادثة استقر وضع الدعوة التوحيدية واستمرت في العمل حتى عام ١٠٤٣م حيث أقفلها المقتني وغاب ملتحقا بالامام حمزة.

هذه هي مناورة الامير رافع العسكرية فيها من الصبر روح ومن الحكمة قبس ومن سلامة التقدير التماعه ومن التقية الشيء الكثير. ان توجهات الامير رافع ركزت على المحافظة على الهدف والسرية والحيطة والمناورة. وتناسب الغايات والوسائل والمرونة. كانت هذه المبادىء متأصلة في روح الامير وهي مع التقية دستور القوى القليلة التي تعرف كيف تتصرف ضمن اطار حدود طاقاتها المادية دون أن تفقد بوصلة الاهتداء الدائم هدفها الأساسي.

بهذه الحكمة المسترشدة بتوجيهات حمزة بن علي وخط المقتني السياسي وأسلوب رافع بن أبي الليل العسكري تحصنت دعوة التوحيد وتأصلت في نفوس المريدين وسارت بين ألغام التاريخ الشرق أوسطي التعصبي الذميم. بذلك لعب الموحدون دور الاقلية المحاربة في القرون الوسطى فوفوا هذا الاسم حقه وعاشوا رغم الاخطار التي تهددهم جماعة مميزة لها تراثها وأصالتها وخطها الفكري ودورها السياسي العسكري.

التجربة التنوخية:

كانت تجربة الموحدين الدروز العسكرية خلال فترة الدعوة غنية بالقيم والاختبارات السياسية والعسكرية. تأصلت بها القيم التوحيدية في نفوس المريدين فزادت على الخصال العربية والخلال الاسلامية مدماكا جديدا، وتهيأت للانفتاح على محيطها في اطار جديد يحافظ على الدور في تنفيذ المهمة العروبية الابدية ولكن في نهج من التميّز الذي أرسى قواعد التنوع ضمن الوحدة فيما بعد.

حافظ الدروز على دورهم أثناء الامارة التنوخية مسترشدين بتجربة نشر الدعوة لدرجة جعلت المؤرخ كمال سليمان الصليبي يقول: «ان الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين اقتصر على الدول السنية المتعاقبة على بلاد الشام وعلى حلفائهم من الباطنية في وادي التيم وعلى الدروز في جبل بيروت».

كيف سار تنفيذ مهمة التنوخيين العسكرية؟ بعد أن أصبح الدروز جماعة مميزة فكريا واجتماعيا وعصبية عسكرية فاعلة كانت منطقة الشرق العربي ترسف في أغلال التشرذم والتناقض بين الدويلات المختلفة التي ازدهر سوقها بعد هرم الخلافة العباسية في بغداد وضعف الخلافة الاموية في الأندلس.

واجه الدروز الذين نشأت دعوتهم كاعتراض اصلاحي على هذا الواقع وخاصة التنوخيين منهم واجهوا واقع التناقض والتنابذ هذا بروح فكر المقتنى بهاء الدين وتجربة رافع بن أبي الليل العسكرية ففتشوا على معادلة تقيهم غوائل الحدثان وتحفظ لهم دورهم وكيانهم المميز. لعبوا أوراق التوازن ومد الخيوط ففشلوا حينا ونجحوا أحيانا كثيرة وبذلك استمروا في الحياة الكريمة الفاعلة داخل حرم التنوع ضمن الوحدة وسلموا المشعل بعدهم للمعنيين.

بقيت الامارة التنوخية موقعا عسكريا متقدما يذب عن حياض الدولة، وقوة مستنفرة أبدا تمنع المفاجآت وتضحي في سبيل العمق

الإسلامي. ان الخلاف داخل العالم الإسلامي والشرذمة البشعة أجبرت التنوخيين الدروز على العمل منفردين فخاضوا أكثر حروبهم بالاصالة عن النفس والنيابة عن الغير ذلك الغير الذي لم ينجدهم الا لماما واعتبرهم مادة مستهلكة في سبيل تحقيق مصالحة الذاتية. وأدل شيء على ضعف الموقف الإسلامي العام هو عدم مقاومة الحملة الصليبية الاولى التي عبرت سنة ١٠٩٩م ساحل بيروت الى القدس ان من جهة الخلافة الفاطمية أو من جهة الولاة والامراء في الثغور.

أفاق التنوخيون من وهلة مرور الحملة المفاجئة دون مقاومة فتحضروا نفسيا لاحداث المستقبل بالاتفاق مع والي دمشق بعد أن أدركوا أبعاد مخاطر التوغل الفرنجي في البلاد وبعد أن لاحظوا تداعي الخلافة الفاطمية عسكريا وتلكؤها في مقاومة الخطر الجديد.

وفي عام ١١٠٠م تصدى التنوخيون بقيادة اميرهم عضد الدولة الى جانب حاكم دمشق السلجوقي شمس الملك دقاق للحملة الثانية. التي قادها (بلدوين) عند نهر الكلب ولكن الافرنج تمكنوا من الانتصار واكمال الطريق الى القدس. كانت العملية السلجوقية الدرزية بمثابة تجربة واستطلاع بالقوة لطاقات الافرنج العسكرية ولنواياهم المبيتة، لذلك جاءت الممارسة الحربية على شكل حاجز طيّار وجاء التقدم الافرنجي على شكل مرور عابر.

بعد هذه التجربة آنس الدروز في أنفسهم القوة لمواجهة الجيوش الاوروبية ووقعوا في فخ الاعتداد بالنفس من جهة وفي خطأ تقدير صدق الحليف الداخلي من جهة أخرى فتصدوا منفردين في منطقة نهر الكلب لحملة ريموند تولوز ولكن كثرة القوات الغازية واستنجادها ببلدوين المتمركز في فلسطين واحجام والي دمشق عن نجدة التنوخيين كل ذلك ادى الى تراجع قوات الأمير عضد الدولة أمام الزحف الافرنجي بعد أن قاتلت قتالا مشرفا وأبدت من الصمود ما أذهل المراقبين. تراجع التنوخيون الى بيروت وحصنوها في وجه الغازي حتى امتنع عليه فتحها. فتابعت الحملة

الصليبية طريقها إلى القدس. أعجب شمس الملك بالصمود التنوخي فكافأ الامير عضد الدولة مضيفا الى ولايته امارة صيدا وطلب منه تحصين كل من صيدا وبيروت تحسبا للمستقبل.

وفي عام ١١١٠م رأى الافرنج انهم في حاجة لتأمين الطريق الساحلي بينهم وبين موطنهم الام ولا يتأمن ذلك الا باحتلال بيروت وصيدا. قاد (بلدوين) حملة الاستيلاء على بيروت ولكن التنوخيين الدروز صمدوا فيها بمساعدة الاسطول الفاطمي، الأمر الذي دفع بلدوين الى الاستنجاد بالاسطول الجنوي وبقوات صليبية جديدة من القدس والشمال حيث عمل الجميع على غزو جبال بيروت أولا والتنكيل بالدروز ثم ضيقوا الحصار على المدينة نفسها فسقطت بعد شهرين من الدفاع المجيد وقتل الامير عضد الدولة دون أن يتلقى أية مساعدة من العمق الاسلامي الا الاسناد البسيط الذي قدمه الاسطول الفاطمي قبل ان يتراجع الى صور أمام الاسطول الجنوي.

تحول الحصار نحو صيدا فرأى أميرها مجد الدولة التنوخي من فرع آل عبد الله ان تجربة بيروت مع العمق الاسلامي، أثناء حصارها لم تكن مشجعة سيما بعد ابتعاد الاسطول الفاطمي وتدخل الاسطول الجنوي لصالح المهاجمين. رأى ذلك ففاوض على الصلح لقاء عشرين ألف دينار فدخل الافرنج صيدا وفر منها بعض أهاليها وعلى رأسهم مجد الدولة الى جبال بيروت (الغرب) ليتزعم في منطقته الأصلية وليقود عملية بنائها بعد أن هدمتها الغزوة الصليبية.

كانت هذه التجربة الثانية التي تورط فيها التنوخيون الدروز في مواجهة الصليبيين التزاما بدورهم التاريخي وحفاظا على استقلاليتهم ومركزهم الفكري والاجتماعي المميزين بعد أن تركهم عمقهم الإسلامي يواجهون قدرهم منفردين ولم تخرج مساندته لهم غالبا عن نطاق التأييد المعنوي غير الفعال.

أثر هذه الحادثة أخذ مجد الدولة يوطد أركان حكم فرع ال عبد الله التنوخي في امارة الغرب بينما التهى الحكم في دمشق عن مواجهة

الصليبيين في المناحرة مع الحكم الفاطمي المركزي في مصر الامر الذي انعكس على آل جندل الدروز الذين امتدت سلطتهم من قلعة جندل في اقليم البلان الى حارة جندل في الشوف. كان آل جندل موالين للحكم الفاطمي فاغتنم اتابك دمشق شمس الملوك اسماعيل فرصة ضعف الحكم في مصر وهاجم بلاد الجنادلة وانتزع منهم قلعة نيحا (شقيف تيرون) عام ١١٢٣م وولى مكانهم على المقاطعة أمراء آل شهاب.

وإذا ما نظرنا الى تجربة آل جندل والتنوخيين مع كل من دمشق والقاهرة نرى أن التجربة الدرزية ككل لم تخرج عن نهج المقتنى بهاء الدين والامير رافع بن أبي الليل في مد الخيوط والموازنة بين قطبي الصراع. هذا الأسلوب في التعامل يفرض على من اختار الانحياز الى الجهة التي تدور عليها الدائرة والتي يتراجع موقع نفوذها يفرض عليه دفع غرامة موقفه، ولكن خط المذهب العام يبقى سالكا بفضل نفاذ الفريق الآخر مع الذي يخرج منتصرا.

دفع الجنادلة ثمن انحيازهم للقاهرة ولكن مناورة التنوخيين كانت اعقد وأبرع. فحافظوا في آن واحد على انحيازهم الى والي دمشق وولائهم للقاهرة ووفروا مساندة الأسطول الفاطمي البسيطة وامنوا جانب الوالي الدمشقي، وهو وان لم ينصرهم ضد الافرنج فقد بقي على تأييدهم في ادارة شؤون مناطقهم وهذا شيء مهم في مسار تأصل النهج التوحيدي الدرزي وتجذره.

اعاد الأمير مجد الدولة بناء الامارة التنوخية وأيده في سعيه ظهير الدين اتابك دمشق فاقره على امارته وعزز مركزه العسكري وانجده بقوات جديدة من آل معن نزلت في بلاد الشوف ومن آل تلحوق ونكد نزلت في الغرب والمناصف. تلاحمت القوى القديمة والجديدة في حلف مصاهرة ومبدأ مذهبي ودور عسكري ففتحت الباب أمام مجد الدولة للانتقال من موقع الدفاع المستكين الى موقع الدفاع النشيط فأخذ يشن الغارة تلو الأخرى على مراكز الصليبيين منغصا عليهم العيش وشاغلا لهم البال حتى استشهد

في إحدى معاركه معهم في برج البراجنة.

كانت الفترة الممتدة بين عامي ١١٢٧م و ١١٥٤م حقبة صراع بين الاتابك الدمشقيين وآل زنكي على بلاد الشام، الأمر الذي خفف الهيمنة الاتابكية على التنوخيين من جهة وأضعف مواجهة الاتابكة للفرنجة من جهة أخرى لدرجة سمحت للصليبيين بتوجيه الحملات المتعددة ضد والي دمشق واضعاف قدرته العسكرية. وعندما استولى عماد الدين زنكي حاكم الموصل على امارة الرها عام ١١٤٧م جرد الصليبيون حملة كبيرة على الشرق الإسلامي بغية احتلال دمشق قبل وصول الزنكيين الصاعدين اليها. فرضت هذه الواقعة على أتابك دمشق مجير الدين آبق أن يلاين التنوخيين بصورة أفضل فاقر الأمير بحتر التنوخي ابن الامير عضد الدولة على امارة الغرب واقطعه بعض القرى. نجح التنوخيون في المحافظة منفردين على حدود امارتهم وتمكن الامير بحتر من شن عدة غارات على المواقع الصليبية وانتصر عام ١١٥١م في معركة عين التينة قرب نهر الغدير في كفرشيما على القوات الصليبية فقتل عددا كبيرا منها وفر الباقون.

وبعد احتلال الزنكيين لدمشق واستقرار أحوالهم فيها استأنف الملك العادل جهاده ضد الفرنجة واتخذ خطا صداميا معهم خلافا للاتابك السابقين، الذين كانوا يحاربون بالواسطة فتحالف مع التنوخيين الدروز وأقر الامير زهر الدولة كرامة بن بحتر التنوخي على امارة الغرب واقطعه اقطاعات جديدة في منشور أعلنه عام ١١٦١م خصص فيه للامير زهر الدولة مخصصات مالية معينة وبذلك حمل الحكم الدمشقي لواء مواجهة الصليبيين على عاتقه.

تحصن الامير زهر الدولة في حصن سرحمول وأخذ يشن الغارات على مقاطعة بيروت الصليبية فقض مضجع حكامها حتى عام ١١٧٤م حين وفاته. وبعد أن قضى الامير زهر الدولة كرامة أراد صليبيو بيروت مخادعة أهله للايقاع بهم فأخذ حاكم المدينة يتودد للامراء البحتريين ويلاطفهم حتى

وقعوا في شركه ولبوا الدعوة الى وليمة عرس ولده حضر الامراء حفلة العرس فألقى حاكم بيروت القبض عليهم وسيّر في نفس الوقت حملة خربت معقلهم في سرحمول الذي كان خاليا بسبب سياسة التودد وحضور الامراء للعرس كما أحرقت بعض القرى قبل أن يتمكن الامير علي بن بحتر من التصدي للحملة وردها على أعقابها. لم تنه هذه الحادثة النفوذ الدرزي في الجبل بل سرعان ما تمكن التنوخيون من احتواء النكسة والعودة الى سابق عهدهم في المناوشة والاغارة واضعين العدو الصليبي تحت رحمة مفاجآتهم المتنوعة.

تمكن صلاح الدين الايوبي من السيطرة على السلطة في مصر عام ١١٧١م وقضى على المذهب الاسماعيلي الشيعي ثم انتزع السلطة من الملك الصالح ابن الملك العادل في دمشق عام ١١٧٤م وبذلك قويت الشوكة السنية من جديد بتوحيد قوتي دمشق والقاهرة وضعفت شوكة الشيع المختلفة.

استقر الامر لصلاح الدين فاتخذ من دمشق عاصمة له وسلك خط الهجوم والتصدي للصليبيين شانا عليهم الغارة تلو الغارة والتحم معهم في معركة كبيرة في سهل حطين في فلسطين عام ١١٨٧م وكان النصر حليفه فأدى تفوقه الى سقوط مملكة الفرنجة في القدس واستيلاء المسلمين على معاقلها كافة ما عدا صور.

إثر هذا توجه صلاح الدين إلى بيروت فلاقاه الأمير جمال الدين جحى التنوخي على رأس تجريدة من المقاتلين إلى خلدة وأسهم معه في حصار المدينة واحتلالها. بعد فتح بيروت أقر صلاح الدين الأمير الشاب جمال الدين على إمارة سلفه وطيب خاطره بالتمكن من الثأر من اعدائه الذين اغتالوا أباه وإخوته في مكيدة العرس التي ذكرنا.

أدى انتصار صلاح الدين إلى تنامي عظمته وإلى راحة التنوخيين الدروز من الضغط الصليبي لفترة طويلة ولكن الفرنجة الذين صدمهم نصر

الأيوبيين جيشوا حملة عسكرية كبيرة لاسترجاع نفوذهم سار فيها ثلاثة ملوك هم ملك انكلترا وملك فرنسا وامبراطور المانيا وسميت بالحملة الصليبية الثالثة. قاد الجيوش ملك بريطانيا ريكاردس قلب الأسد ووقعت بينه وبين صلاح الدين معارك طاحنة تمكن على أثرها من استرجاع عكا ولكنه فشل في الوصول إلى القدس. على أثر ذلك جرت مفاوضات بين الفريقين أدت إلى هدنة عام ١٢١٧م مدتها ثلاث سنوات اعطت للفرنجة السيطرة على الساحل ما عدا بيروت وصيدا وجبيل وأبقت البلاد الجبلية للمسلمين. أراحت هذه الهدنة التنوخيون ورسخت سيطرتهم على أراضيهم فأحسوا بالأمن والإطمئنان.

لكن صلاح الدين توفي عام ١٢١٨م وتشرذمت المملكة الأيوبية بين أبنائه وإخوته الأمر الذي أوقع التنوخيين في الحيرة وأعادهم إلى دوامة التوازنات واستراتيجية المقتنى ورافع أبي الليل. اضطر التنوخيون بسبب الإنقسام الأيوبي إلى العودة لأسلوب مد الخيوط للجميع، ولكن الإنقسام اضعف الأيوبيين لدرجة جعلتهم يتسابقون على كسب ود التنوخيين وبذلك خفت وطأة الضغط عليهم. هذا كان الواقع مع الأيوبيين ولكن الحال مع الفرنجة اختلفت لأنهم أحسوا بضعف الدولة الأيوبية فأخذوا يضايقون التنوخيين مما دفع الأمير جمال الدين جحى التنوخي عام ١١٩٨م إلى التوسط لدى الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن الملك العادل لكي يرفع ظلم الافرنج عن الدروز كونه على تحالف مع الصليبيين.

بقي الدروز في هذا الوضع المتأرجح حتى عام ١٢٤٩م يوم مقتل الملك الصالح أيوب في دمياط على يد الفرنجة عاشوا الفترة الممتدة بين عامي ١٢١٨م و١٢٤٩م يسايرون مختلف الملوك والأمراء الأيوبيين ولا يتدخلون بنزاعاتهم. يسايرون بمقدار ويحفظون خط الرجعة، يبدون من التقرب للسلطة الأقرب وللملك الأقوى أكثر مما يبدون للآخرين، كما لا يقلبون ظهر المجن للصليبيين الذين قويت شوكتهم بمعاهدة الصلح أولا ثم بتشرذم الأيوبيين ثانيا. انها سياسة التوازن الدقيق الحذر التي كانت الملجأ

النهائي والمتراس الأخير في كل محنة وأزمة.

بعد مقتل الصالح أيوب قام مماليكه بقيادة عزالدين ايبك عام ١٢٥٠م بتسلم السلطة أثر مقتل ولده طوران شاه الأمر الذي دفع الملك الناصر الأيوبي إلى احتلال دمشق والتهديد باحتلال القاهرة. وقع الإنقسام بين المماليك والأيوبيين فوجد الدروز أنفسهم في ورطة جديدة كحجر بين شاقوفين: شاقوف الأيوبيين الآفلين وشاقوف المماليك الصاعدين فاضطروا أن يبقوا في خندق استراتيجية المقتنى ورافع أبي الليل. إن أدل حدث على صحة هذه الاستراتيجية هو موقعه عيتات عام ١٢٥٥م، وتفصيل هذه الحادثة هو أن الصراع الذي قام بين عزالدين أيبك المملوكي والملك الناصر الأيوبي قد انسحبت آثاره على محاولة استقطاب الأمراء والرعايا الأمر الذي أفرز لدى التنوخيين ثلاثة قيادات للتمكن من التعامل مع الجهات المتصارعة. تزعم التنوخيين في ذلك الوقت الإخوان جمال الدين جحى، وسعدالدين خضر أبناء الأمير نجم الدين محمد، واتخذ كل من الأخوين خطا من خطي الصراع القائم تكيفا مع مقتضيات الظروف. تسلم الأمير جمال الدين جحى، عام ١٢٥٢م منشورا من الملك الناصر يقطعه بموجبه قرى معينة في منطقة الغرب، كما تسلم أخوه سعدالدين خضر من عزالدين ايبك المملوكي في فترة لاحقة منشورا يقطعه قرى معينة في وادي التيم والشوف وإقليم الخروب خلافا للاتفاق الذي تم بين المماليك والأيوبين. لم ينه هذا الاتفاق الصراع إذن وبقي التنوخيون منطقة جذب بين الطرفين.

غضب الملك الناصر الأيوبي من اتصال التنوخيين بالمماليك فرد عليهم عام ١٢٥٥م بحملة شاركت فيها عشائر البقاع وبلاد بعلبك والتقى الجمعان في قرية عيتات في معركة طاحنة دارت فيها الدائرة على قوات الملك الناصر وانتصر الدروز انتصارا رائعا كان له أثره في المحافظة على وجودهم وكيانهم وأبرز فيهم قيادة ثالثة جديدة هي الأمير زين الدين صالح بن علي التنوخي المكنى بأبي الجيش والذي ينتسب إلى الفرع الأرسلاني.

وجاء الزحف المغولي أثناء الصراع المملوكي الأيوبي فدمر بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨م واتجه نحو الشام فوقع الدروز في مأزق جديد رباعي الأطراف، المغول في شمالي سوريا والصليبيين على الساحل والمماليك في مصر والايوبيين في الشام. عرف التنوخيون أن الخطر المغولي أمر جدي آت من المجهول وبالمجهول بينما أصبح الإنحياز إلى أحد المعسكرين الإسلاميين طريقا إلى الصراع مع المعسكر الثاني. كان بالإمكان سابقا تحقيق نوع من التوازن القلق بين الصليبيين والمماليك والأيوبيين حتى ولو بخوض معارك تثبيت وجود كمعركة عيتات أو بالإتصالات والوساطات كما حدث بتوسط السلطان الأيوبي لدى الفرنج لصالح الأمير جمال الدين جحى، أما الآن فلم يكن هناك بد من أخذ قرار إنحياز معين رغم أن استراتيجية الدروز الناجحة كانت ترفض الدخول في سياسة المحاور والالتزام الصدامي غير الجدي. كان لا بد من الانحياز إلى جناح الصف الإسلامي المحلي لمواجهة الخطر المحدق، والذي كانت تجربة تدمير بغداد تنبىء بمدى جديته وخطورته. لهذا السبب توجه الأمير جمال الدين جحى إلى دمشق فوصلها بعد سقوطها بيد المغول وتسلُّم كتبغا قائد هولاكو لها، فكان عليه التقرير بسرعة لانقاذ بلده وأهله، بعد أن سارع العديد من الأمراء الأيوبيين للاستسلام. تصرّف بمرونة وذكاء ودهاء، فاجتمع بالقائد المغولي وعقد صفقة معه نجح فيها بحماية منطقته من التعرض لكارثة الغزو الرهيب، وثبّته القائد المغولي عام ١٢٦٠م أميرا على مقاطعة الغرب، وبذلك نجح في تجنيب بلده ويلات الحرب.

بقي سائر الأمراء التنوخيين الآخرين على تحفظهم من الغزو المغولي، سيما وأن المعركة لم تحسم بينه وبين المماليك ولم تعرف الغلبة لمن ستكون من القوتين. وعندما قرر المماليك المواجهة وتقدموا بجيوشهم نحو فلسطين لحق الأمير زين الدين صالح بن بحتر بطل معركة عيتات قريبه الأمير جمال الدين إلى دمشق وتشاور معه في المستجدات فقر الرأي على الإمساك بالجبل من الطرفين حيث بقي جمال الدين جحى مع القائد المغولي كتبغا والتحق الأمير

زين الدين بسلطان المماليك واشترك معه في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م. انجلت المعركة عن انتصار ساحق للمماليك وبرز الأمير زين الدين في المعركة الأمر الذي كان له بعيد الأثر في حماية الديار الدرزية وحفظ مقوماتها.

استولى المماليك على كل بلاد الشام دون أن يمسوا المقاطعة الدرزية بسوء بفضل موقف الأمير زين الدين وبطولاته. كان من المفترض أن يعود الدروز إلى لعب دورهم الأساسي ضد الصليبيين بعد انتهاء الحملة المملوكية من إخضاع بر الشام وقد كانوا مؤهلين لذلك فباشروا مهمتهم من جديد بهمة ونشاط، ولكن تولي السلطان المملوكي الظاهر بيبرس للسلطة عام ١٢٦٠م قلب الأمور. تصرف بيبرس بحذر تجاه الدروز وربما كان ذلك بسبب ماضيهم في العلاقة مع الأيوبيين أو بسبب استقلالية السياسة الدرزية في إطلاق الحوار مع الجيران من صليبيين ومسلمين تأمينا للشعب والأرض من غوائل الحدثان. أنكر الظاهر بيبرس على زعماء الدروز محاورة الصليبيين وخاصة حاكم طرابلس منهم وسمح لنفسه في ذات الوقت بإجراء ذلك. اعتبر الدروز رعايا أو اتباعا وهو السلطان وما يحق للسيد لا يحق للتابع ولهذا السبب القى القبض على كل من الأمراء جمال الدين جحى الثاني وأخيه سعد الدين خضر وزين الدين صالح وزجهم في السجن وأخذ ينكل بأتباعهم.

توفي الظاهر بيبرس عام ١٢٧٧م بعد أن عقد صلحا مع الفرنجة في طرطوس سامحا لنفسه القيام بما أنكره على غيره، وخلفه ابنه السلطان بركة خان. توترت الأوضاع في الجبل في عهد السلطان الجديد بسبب الظلم المسيطر وعدم الإفراج عن الأمراء المعتقلين فاغتال الدروز الأمير المملوكي قطب الدين السعدي في منطقة كفرعمي مما دفع بالسلطان إلى تجريد حملة تأديبية على الدروز عام ١٢٧٨م شارك فيها عساكر المماليك من صيدا وبعلبك وبيروت والبقاع. كان وقع الحملة المملوكية شديدا على

الأهالي فخربت البيوت ونكل بالشيوخ والنساء والأطفال ودمر الزرع والضرع.

على أثر هذه المحنة وقع السلطان في أزمة ضمير سيما بعدما وجد أن الأمور الأمنية لن تستقيم في غياب الأمراء فأفرج عن المسجونين ورد الأسلاب والمنهوبات إلى أصحابها.

تولى السلطان قلاوون السلطة عام ١٢٧٩م فاستأنف الحملة على الصليبيين وأخذ منهم طرابلس ولكن هذا النصر انعكس سلبا على الأمراء الدروز إذ جردهم من اقطاعاتهم رغم مناصرتهم اياه وأعطاها لأمراء الحلقة في طرابلس تثبيتا لولائهم وحفزا لنشاطهم وشحذا لهممهم. مات قلاوون عام ١٢٩٠م وخلفه ابنه الأشرف خليل فتابع تنفيذ ما شرع به أبوه لتحرير الأرض من الصليبيين. تمكن السلطان عام ١٢٩١م من تحرير المشرق الإسلامي وساعده الدروز في ذلك رغم الحيف الذي الحقه أبوه بهم ولكن الشيعة في كسروان لم يساعدوه في مهمته فجرد عليهم عام ١٢٩١م حملة لم تف بالغرض المطلوب وعجز عن إخضاعهم بصورة تامة. قدَّر الأشرف خليل تعاون زعماء الدروز معه فأعاد إليهم مكانتهم السابقة التي فقدوها أيام أبيه وعزز من شأنهم.

توفي السلطان عام ١٢٩٣م وخلفه ابنه السلطان الناصر محمد، وفي عهد هذا الأخير وفي عام ١٢٩٩م انتصر المغول قرب حمص على جيشه الذي فر جنوبا عبر لبنان فتصدى شيعة كسروان للمنهزمين وشلحوهم أمتعتهم وأسلحتهم كما قبضوا على بعضهم، أما الدروز فساعدوا الفارين وأمنوا لهم الذهاب إلى مبتغاهم. لم يتصرف الدروز على هذه الصورة بدافع المصلحة على الأرجح ولكن بدافع الأخلاقية التوحيدية والنهج العربي الذي تأصل فيهم فجاءت إجراءاتهم عفوية تعبر عن نهج سلوكي تراثي لا يحتاج إلى قصد أو توجيه.

كافأ السلطان الناصر الأمير ناهض الدين البحتري التنوخي وجعله أمير

طبلخانة أي يمكنه أمرة أربعين فارسا على الأقل، كما لم يهمل أمر الاقتصاص من شيعة كسروان فجرد عليهم عام ١٣٠٠م حملة كبيرة بقيادة نائب السلطنة على دمشق أقوش الافرم. ضرب الأفرم منطقة كسروان وأجبر الشيعة على إعادة ما غنموه سابقا من الجيش المملوكي وفرض عليهم غرامة مالية. لم تكن منطقة كسروان تضم الشيعة فقط بل شاركهم السكن فيها الدروز أيضا لأن التوحيد عاش في رحم التشيع، لكن الوجه الغالب على تلك المنطقة كان شيعيا وقد أصاب دروز كسروان من ظلم المماليك ما أصاب شيعتها سواء بسواء مع أن منطقة الثقل الدرزي في الغرب بقيت خارج نطاق النقمة المملوكية.

لم تخضع هذه الحملة أهالي كسروان بصورة نهائية فتجدد الصدام بينهم وبين أقوش الأفرم في عين صوفر عام ١٣٠٥م فانتصر عليهم وتقدم إلى قلب مناطقهم مخربا ضياعهم. فر الشيعة المنهزمون أمام الحملة إلى بعلبك والدروز إلى الأماكن الدرزية الأكثر أمنا وبذلك أفرغت المنطقة من أهلها. إن مجرد وقوع المعركة في عين صوفر يثبت وجود العنصر الدرزي في صفوف الكسروانيين ويؤكدإلى حد بعيد الصحة النسبية لمقولة المقريزي بأن غزوة كسروان كانت موجهة ضد الدروز.

لم يقف امراء الغرب الدروز في هذه الموقعة على الحياد بل شدوا أزر القوات المملوكية مؤمنين بذلك التغطية الأمنية لمناطقهم. اشترك في هذه الحملة الأمير ناصرالدين الحسين التنوخي على رأس قوة من البحتريين واستشهد فيها آنذاك الأميران نجم الدين محمد وشهاب الدين في قرية نيبيه كما استشهد معهما ثلاثة عشر مقاتلا من اتباعهما.

قد تكون هذه هي المرحلة الثانية في التاريخ (بعد حرب المماليك والمغول) التي يشترك فيها قوات من الموحدين الدروز بوضوح في صفوف الطرفين المتحاربين بعد أن تبلور التوحيد كمذهب وبعد أن أخذت الشخصية الدرزية أبعادها الإجتماعية والسياسية المتميزة. قال بعض المؤرخين أن البحتريين اشتركوا في المعركة رغبة في الكسب وفي تسلم

اقطاع تلك المنطقة وأنكر هذا الإدعاء الدكتوران عباس أبو صالح وسامي مكارم ولكن المرجح أن التدخل التنوخي لجانب المماليك كان يرمي إلى ثلاثة أهداف هي: المحافظة على رضى السلطان وحماية منطقة الغرب من ظلمه اولا ومحاولة تخفيف الظلم الذي ستلحقه الحرب بدروز كسروان ثانيا والحلم بمكافأة الإقطاع ثالثا سيما وأن الأحلام من هذا الصنف كانت مشروعة في ذلك العهد وعليها تقوم سياسات الدول والإمارات.

إن موقف صفي الدروز المتعارض في الصدام عامي ١٣٠٠م و١٣٠٥م قد يكون في الأرجح السبب المباشر لإثارة العصبية القيسية اليمنية الكامنة حيث رفعت بالأمير علم الدين الرمطوني التنوخي القيسي إلى التبرؤ من قيسيته سنة ١٣٠١م وحمل لواء الزعامة اليمنية وبذلك تجدد الصراع الداخلي وبدأت نيرانه بالاستعار من جديد بعد أن كان قد خبا اواره لمدة طويلة.

لم يجز المماليك التنوخيين على مساندتهم والظاهر أن سياسة بيبرس كانت قد تأصلت فيهم كخط أساسي لا يحيدون عنه إلا لماما بل قاموا بعكس ذلك فلجأوا عام ١٣١٣م تحت غطاء سياسة (الروك) إلى انتزاع اقطاعات امراء الدروز وعرضوا عليهم بدلها في أماكن أخرى. تعب الأمير ناصرالدين الحسين التنوخي حتى تمكن من إقناع نائب السلطان المملوكي بإبقاء اقطاعات الدروز دون تغيير ونجح بعد لاي، ولكن هذا النجاح تقيد وتقزم بإجراءات مضادة كان أهمها استقدام عشائر تركانية للاستيطان في ازواق كسروان فنافست الدروز في مسؤولية حماية الثغور وشاركت في الدفاع عن بيروت وصيدا. كذلك أُسند لحلقة بعلبك مهمة الإسهام في المحافظة على ثغر بيروت وإن كان الدروز قد أسهموا بتسعين فارسا في نظام الأبدال لحماية المدينة.

كان لتدابير المماليك أثرها السيء على الدروز وهذا ما يؤكد صحة وجود الدروز مع الشيعة في كسروان عند غزوتي ١٣٠٠م و١٣٠٥م ويفسر جميع الإجراءات الاحترازية التي أخذها السلطان ضدهم رغم وقوف الأمير

ناصر الدين الحسين معه ضد الشيعة.

بعد استيطان التركمان في ازواق كسروان قويت شوكتهم وخاصة بعد موت الامير ناصر الدين الحسين التنوخي. فارادوا مد أيديهم إلى منطقة الغرب الدرزية سيما وأن الدروز كانوا قد كلفوا بعد عام ١٣٦٥ م على أثر غزو صليبيي قبرص للإسكندرية بأعباء حراسة السواحل الأمر الذي أنهك قواهم فلم يعد بإمكانهم تقديم القوات المطلوبة من السلطان لتجهيز حملة لتأديب قبرص بعد ان وضع وزر المعارك ضد الصليبيين عليهم وحدهم، وهذا ما تشهد به معركة بيروت عام ١٣٨٢ م، حيث أنزل القراصنة الجنويون قواتهم إلى البر وكادوا أن يسيطروا على المدينة لولا تصدي الدروز لهم بقيادة الأمير سيف الدين يحيى.

استغل التركمان الأمر وعرضوا على بيدر الخوارزمي نائب السلطنة في دمشق تقديم ألف مقاتل للحملة، لقاء اعطائهم اقطاعات الدروز في الغرب.

قبل نائب السلطنة ذلك ونقل الإقطاعات الدرزية للتركمان عام ١٣٨٦ م لكن الأمير سعد الدين خضر والأمير سيف الدين يحيى بن زين الدين علي ذهبا إلى القاهرة وعرضا الظلامة على السلطان واسترجعا الإقطاعات الدرزية.

وجاء عهد السلطان برقوق أول المماليك البرجية الشركس فوالاه نائب دمشق ووالاه الدروز ولكن المماليك الأتراك ناهضوه العداء وانضم إليهم تركمان كسروان ومماليك طرابلس. حاول برقوق تثبيت سلطته بعزل بعض مماليك الشام فجوبه بتمرد كبير بقيادة يلبغا الناصري وتربغا المعروف بمنطاش وعرف اتباعها بالمنطاشيين. في عام ١٣٨٩ م تمكن المماليك الأتراك من خلع برقوق، عندها حاول بنو الأعمى زعماء تركمان كسروان ضرب دروز الغرب فلم يفلحوا. استعاد برقوق سلطته عام ١٣٩٠ م في معركة شقحب قرب دمشق وحاصر المدينة بمساعدة الأمراء الدروز الأمر الذي سهل لبني الأعمى استغلال فرصة غياب القوات الدرزية فهاجموا منطقة

الغرب الساحلية وقتلوا تسعين عنصرا من سكانها ونهبوا ممتلكات التنوخيين في بيروت. كذلك استغلوا فرصة ذهاب الأمراء التنوخيين إلى مصر لمقابلة السلطان برقوق في السنة نفسها وهاجموا قرى عيتات وشملان وعيناب وعين عنوب وقتلوا أربعين نفرا.

صبر الدروز على الضيم الى أن استتب الامر للسلطان برقوق فجردوا معه حملة على كسروان اشتركت فيها عشائر البقاع فهاجموا الازواق وقتلوا علي بن الاعمى زعيم العشيرة وألقوا القبض على أخيه عمر.

ومع استقرار حكم الظاهر برقوق ارتاح الزعماء الدروز لمصيرهم بعد أن كافأهم ورفع من شأنهم حتى امتدت ولاية حكم الامير عز الدين صدقة التنوخي عام ١٤٤٤ م من صفد الى طرابلس.

تابع الدروز دورهم العسكري في حماية الثغور ضد الفرنجة في ظل السلاطين البرجية وعظم شأنهم واشتركوا في معارك عديدة منها موقعة الدامور عام ١٤١٣ م، كذلك اشتركوا في حروب المماليك ضد تيمورلنك عام ١٤٠٠ م كما اسهموا في احتلال جزيرة قبرص عام ١٤٢٥ م.

استقرت أحوال الدروز خلال حكم المماليك البرجية وازدهرت أوضاعهم الاقتصادية والفكرية فشهدوا حركة عقائدية تفسيرية على يد السيد عبد الله التنوخي (١٤١٧م - ١٤٧٩م)، وتلميذه الشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين أغنت تراثهم الروحي واصّلت فيهم روح العقيدة، ورسّخت قيمهم الأصلية ونقتها من الادران العالقة بها وأعادت تكريس لحمتهم الاجتماعية والفكرية والسياسية.

هذه هي تجربة الدروز العسكرية السياسية الروحية في الامارة التنوخية ،وقد رسخت أصالتهم فظهرت صورة ملامحهم المميزة في مجالين: المجال الفردي الاخلاقي وجاء تكريسا لمعطيات العقيدة بالممارسة والتعمد بالدم وبالتوجيهات والتفسيرات التي جاءت بها مدرسة السيد عبد الله تلك المدرسة التي كان لها الفضل الكبير في تنقية المذهب من الشوائب الفكرية الخاطئة التي علقت به وفي اسقاط العقائد الباطلة التي حاولت ابتلاعه

حتى قيل أن الامير السيد أسقط سبعة وأربعين مذهبا كانت تسد المنافذ على مذهب التوحيد. أما المجال الآخر فهو مجال النهج الجماعي وقد جاء يكرس نظام التنوع ضمن الوحدة والاستقلالية والمحافظة على الشخصية المميزة. وأما الشيء الجديد الذي أضافته مدرسة هذا العهد للفكر السياسي العسكري الدرزي فهو التالي:

* سهولة تنفيذ المهمة أو الدور ونجاعته عند توحد العمق الاسلامي وصعوبة ذلك عند تشرذم ذلك العميق.
* ان التقدير على الولاء والقيام بالواجب لم يكن غالبا بمستوى التضحيات المقدمة.
* ان العمق لم ينظر الى التنوخيين ككيان يتمتع بروح الاستقلالية التي يتمتع بها غيره من الكيانات، فالحق والعدالة والمساواة غير واردة في هذا المجال.
* ان العمل مع المماليك البحرية كان أصعب من العمل مع بقية الفرقاء لأن خط المماليك البحرية كان يرمي الى القضاء على الشخصية المميزة للفئات التي يحكمها.
* ان استراتيجية رافع أبي الليل لا تزال الاستراتيجية الأصلح للذين يفتقرون الى القوى البشرية والمادية.
* قد تفرض الظروف على الدرزي الوقوف ضد أخيه الدرزي لتحقيق مصلحة المجموع والاكثرية أي أفضلية حق الاكثرية على حق الأقلية.
* جواز لعب الورقة وعكسها في آن واحد كورقة عين جالوت والاميرين زين الدين علي وجمال الدين جحى.
* نجاح سياسة شعرة معاوية في التعامل مع فئات العمق الإسلامي.
* تكريس مفهوم الدروز وديعة الاسلام الى يوم الدين.

بالاضافة الى ذلك فقد برزت في هذه الحقبة عدة مفاهيم تنظيمية

للجيوش اعتنقها الدروز، فجاءت أولا امتدادا لمفهوم التعبئة الجهادي، وتطورت لتقسم المقاتلين الى فئتين واحدة نظامية دائمة وأخرى احتياطية مرهونة بظروف التعبئة وتعدلت لتشمل نظام الابدال والمرابطة كما دخل عليها المفهوم المملوكي للتنظيم العشاري ولنواته المميزة من جند الحلقة، هذا فضلا عن بروز ظاهرة تلقي الامراء الاموال من السلطة المركزية أو من ولاتها لرعاية الجند والصرف عليهم.

التجربة المعنية:

نزل المعنيون منطقة الشوف بناء لطلب طغتكين حاكم دمشق بعد نكبة التنوخيين في منطقة الغرب وسقوط بيروت بيد الصليبيين عام ١١١٠م. جاؤوا لتغطية الفراغ الامني ولشد أزر التنوخيين في الاغارة على مواقع الفرنجة في الساحل وجاءت معهم عدة قبائل درزية لتنفيذ تلك المهمة كآل تلحوق وآل نكد فألفوا بذلك مع التنوخيين حلفا عسكريا مقدسا ضد الصليبيين. قويت شوكة هذا الحلف بعد نزول الشهابيين في منطقة وادي التيم في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي وبعد المصاهرة التي قامت بين المعنيين والشهابيين أثر موقعة وادي التيم عام ١١٧٣م بين الشهابيين والصليبيين، والتي دارت فيها الدائرة على الفرنجة فطردهم الأمير منقذ الشهابي من تلك الناحية.

لم تكن المهمة العسكرية التي تلقاها المعنيون في هذه الآونة الواجب الأول في صراعهم مع الفرنجة وفي تلاحمهم مع التنوخيين بل كانت امتدادا للمهمة التي كانوا يقومون بها في مواقعهم السابقة في الجبل الاعلى حيث كان التنوخيون ينزلون معرة النعمان وقد تحالفت القبيلتان وتوطدت أواصر المصاهرة بينهما قبل مجيء الاثنتين الى الثغور اللبنانية.

شكل المعنيون حلقة الوصل بين القبائل الدرزية الممتدة من وادي التيم حتى بيروت وكانت مصاهرتهم لكل من الشهابيين الذين تسلموا أمر وادي التيم بعد الجنادلة والتنوخيين أمراء الغرب الاطار الاجتماعي الذي شكل

بالاضافة للمذهب الدرزي والعرقية العربية سدوة الأرضية التحالفية في تنفيذ الواجب والعيش التاريخي المشترك.

لم تتبلور شخصية المعنيين المميزة خلال فترة حكم الامارة التنوخية للغرب بل كانوا مجرد روافد للكيان التنوخي الدرزي وأداة ربط للاواصر ما بين الشهابيين والتنوخيين أي أنهم لعبوا دور المفصل في الباع الدرزية الممتدة من وادي التيم الى بيروت. ان أبرز دليل على هذا الدور التلاحمي هو مشاركة الامير سيف الدين المعني للامير عامر الشهابي في قتال الفرنجة عام ١٢٣٨م في موقعة برج الخيام المنتصرة كما وانجاد التنوخيين مرارا في حروبهم ضد الصليبيين ومن المعارك التي خاضوها سوية معركة الدامور التي مر ذكرها. لم تبدأ الشخصية المعنية بالتبلور الا بعد انتصار السلطان سليم العثماني عام ١٥١٦م في معركة مرج دابق حيث كان حظ الامير فخر الدين المعني الاول جيدا بانحيازه للسلطان المنتصر، وافل نجم سعد التنوخيين بالتزامهم بخط السلطان المملوكي قانصو الغوري. ابتسمت الدنيا للامير فخر الدين المعني فأقره السلطان على ولاية بلاد الشوف وأعطاه الصدارة على بقية أقرانه فانطلقت بذلك مسيرة الامارة المعنية وارثة أمجاد التنوخيين وحاملة شعلة التميّز الدرزي العسكري والاجتماعي في تلك البقعة من العالم الإسلامي.

لم يدم الركود السياسي طويلا بل أخذت تيارات العصبية القيسية واليمنية تتسعّر بسبب انتقال الحكم من التنوخيين الى المعنيين ففتح الدروز دفاتر عصبيتهم التي حملوها معهم من الجزيرة العربية ووضعوا بذلك أسس وقواعد مفهوم الغرضية الذي ساد في العصور اللاحقة.

مات الأمير فخر الدين الأول عام ١٥٤٤م وخلفه ابنه الامير قرقماز الذي اشتد في عهده أوار الصراع القيسي اليمني وتتوج عام ١٥٨٤م بحادثة السطو على أموال الدولة العثمانية في جون عكار في مقاطعة آل سيفا الذين اتهموا الامير المعني بالضلوع في الحادثة وربما يرجع ذلك الى سببين: الاول هو انتشار المذهب الدرزي في رقعة تتعدى مقاطعة الامير المعني

لتشمل جزءا كبيرا من لبنان وهذا ما يفسر قول بعض المؤرخين بانتماء الامراء الحرافشة وغيرهم من أمراء المقاطعات اللبنانية الى المذهب الدرزي والثاني هو حقيقة تقدم الامير المعني على أقرانه في النفوذ داخل الصف الدرزي.

قلنا ان ابن سيفا اتهم الامير قرقماز بتدبير أمر السطو ورغم عدم ثبوته وللاسباب الآنف ذكرها جرد السلطان حملة على كل من ابن سيفا والامير قرقماز فكلف والي طرابلس بتأديب ابن سيفا وكلف ابراهيم باشا والي مصر بضرب الامير قرقماز. طوقت القوات العثمانية الامارة المعنية من البر والبحر وأخذت تنكل بالأهالي فدمرت المنازل ولاحقت الهاربين الى المغاور وسدتها عليهم بالحجارة حتى ماتوا في داخلها واعتقلت الاميرين منذر التنوخي وجمال الدين الارسلاني كما قتلت الامير قرقماز بعد أن حاصرته مع عياله في قلعة شقيف تيرون، وتوجت عملها الانتقامي المريع بخديعة دعت فيها زعماء الدروز الى عين صوفر لاعلان الخضوع واعطائهم الامان حيث فتكت غدرا بنحو ستمائة منهم وكانت محصلة العملية العامة نحو ستين ألف ضحية فضلا عن الخراب والدمار.

لقد كانت حادثة جون عكار في حال ضلوع الامير الدرزي بتدبيرها وما تلاها من انتقام مروع البذرة الاولى للانشقاق المعني عن السلطة والتفكير بنهج استقلالي خلافا للسياسة الدرزية التقليدية السابقة في التعامل مع العمق الإسلامي كما كانت درسا بليغ المعاني ربما لم يستوعبه الدروز دائما في مستقبل علاقاتهم وارتباطهم مع الداخل.

بعد مقتل قرقماز انتقلت الامارة الى الأمير منذر التنوخي واستطاعت الست نسب زوجة قرقماز من أن تبعد ولديها فخر الدين ويونس عن خطر السلطان فترعرعا في كنف خالهما الامير سيف الدين التنوخي حتى بلغا مرحلة الرشد. استلم الامير فخر الدين الثاني الامارة بعد بلوغه وفي ذهنه خلفية الظلم الذي حاق بأبيه وقومه فدفعته الى تبني النزعة الاستقلالية ورفض الاستكانة استكانة الشاة للجزار التي كانت نهج كل حاكم صغير

تابع لسلطان كبير، حيث يقضي العمر في تلبية المطالب الجائرة والتزلف والمصانعة وكل ذلك على حساب الشعب وأمواله ودمائه. قد يكون الحقد والخوف وراء سياسة فخر الدين وقد تكون الأنفة والاباء والطموح وحب الشعب وراءها وقد تكون كل هذه الحوافز هي التي دفعته الى سلوك النهج الاستقلالي.

عرف فخر الدين الثاني ان الامكانات البشرية الدرزية محدودة خاصة بعد مجازر ١٥٨٤م وعرف أن هناك قواسم مشتركة تجمع بين مختلف الفئات اللبنانية ضد الطغيان العثماني، فانتهج استراتيجية متعددة الجوانب في مسار سياسته الا وهي:

★ بناء وحدة وطنية لجميع الطوائف والفئات اللبنانية ينظم عقدها الحرية والمساواة والعدالة.
★ مسايرة الحكم العثماني المركزي والتودد اليه بالمال والتقديمات.
★ توسيع رقعة الامارة على حساب الامارات المجاورة كلما سنحت الفرصة.
★ البناء الاقتصادي المتطور وتأمين الازدهار والرخاء للشعب.
★ بناء جيش وطني كبير ومتطور تنصهر فيه مختلف الفئات الشعبية تحت راية مركزية الحكم المعني الدرزي.
★ الاستعانة بالمرتزقة من السكمان واستقدام الخبراء الاجانب لرفد الجيش الوطني وتعزيز قدراته.
★ اقامة المعاهدات السرية مع الغرب المسيحي في المجالات العسكرية والتجارية، مستغلا موقع البلد الجغرافي والوجود المسيحي فيه الامر الذي يسهل الممارسة.
★ استغلال مشاغل السلطنة العثمانية وارباكاتها لتوسيع حدود الامارة.

سار فخر الدين على هذه الاستراتيجية فوضع همه الأول في اعادة اللحمة بين القيسية واليمنية ثم توحيد مختلف تيارات الشعب بالانفتاح على جميع الفئات. كذلك لجأ الى السيف فضرب خصمه يوسف سيفا عام

١٥٩٨م في معركة نهر الكلب ثم عاد وانتصر عليه عام ١٦٠٥م في موقعة جونية بعد أن جمع ابن سيفا حوله عدة قوى من البقاع وكسروان وبذلك انتزع فخر الدين حكم بيروت وكسروان نهائيا.

استغل فخر الدين انشغال السلطان العثماني بين عامي (١٦٠٣م و١٦١٧م) في حروبه مع شاه العجم وملك المجر فعمد بدهائه الى توسيع رقعة ولايته لبسط نفوذه على بلاد الشام متبعا سياسة القضم والهضم مع التودد للسلطان. تمكن فخر الدين بذلك من ضم البقاع وصيدا وصفد وعجلون وبانياس الى ولايته، ولكن خلافه مع والي دمشق أحمد باشا الحافظ خرب له خطته.

أراد أحمد باشا الحافظ ضرب أصدقاء الامير فخر الدين الشهابيين في وادي التيم والحرافشة في بعلبك فتصدى له الامير مانعا اياه من تحقيق رغباته، كذلك تحالف الامير مع علي باشا جنبلاط والي حلب ضد خصمه اللدود يوسف سيفا فضرباه مع حليفه أحمد الحافظ في موقعة دمشق عام ١٦٠٧م. لم يتقبل السلطان العثماني نتائج المعركة واعتبرها تجاوزا كبيرا تعدى الخطوط الحمر التي رسمتها الدولة فقرر وضع حد للتحالف الدرزي (الجنبلاطي المعني) الذي بدأت بوادره الخطرة تظهر للعيان فأرسل جيشا كبيرا بقيادة وزيره مراد باشا الى بلاد الشام حيث ضرب علي جنبلاط في حلب بمساعدة أحمد باشا الحافظ ويوسف سيفا. كاد فخر الدين أن يلاقي المصير نفسه ولكنه بادر الى استرضاء الوزير العثماني وبرر نفسه فنجا من الكارثة المحققة.

كانت هذه الواقعة مفترقا خطيرا في حياة فخر الدين بالنسبة لسياسته تجاه السلطنة حيث أخذ بعدها يجنح الى التسرع والسرعة في تثبيت أقدامه في المقاطعات التي يحكمها وتقوية تحصيناته ومواقعه العسكرية فضلا عن تحركه على الصعيد الخارجي بعقده معاهدة تجارية مع دوق توسكانة حملت بعض البنود العسكرية السرية ضد السلطة العثمانية. لم تخف هذه

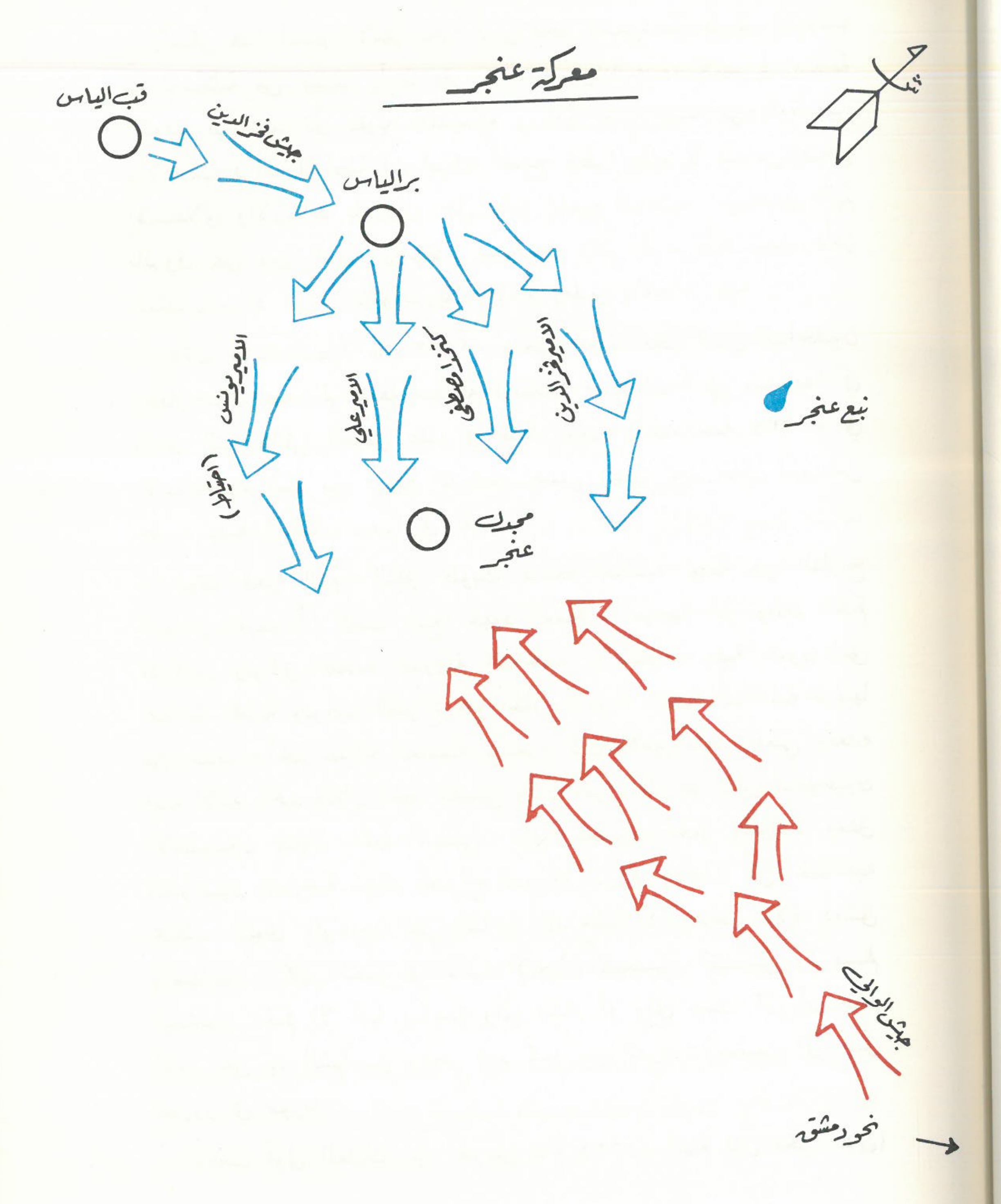
التحركات على مخابرات السلطان فاستطاع والي الشام أن يوغر صدر نصوح باشا الصدر الأعظم على فخر الدين بعد أن توفي صديقه مراد باشا.

جردت الدولة العثمانية عام ١٦١٣ م حملة كبرى على فخر الدين وحاصرته من البر والبحر، فحاول استرضاء أحمد الحافظ والي دمشق فلم يفلح، عندها فر الى توسكانة تاركا الحكم بعهدة أخيه يونس. ضرب الاسطول العثماني الحصار على الشواطىء وتقدم أحمد حافظ باشا بجيشه البري لمداهمة الشوف وحاصر قلعة الشقيف التي صمدت بوجهه وتقدمت باقي القوات الى قرية غريفة لاحراقها. تصدى الشوفيون للزحف العثماني وأوقفوه، ثم فاوضوا الحافظ على فك الحصار بواسطة الست نسب فرضي بالامر بعد أن تقبل الهدايا والاموال الطائلة فتوقفت بذلك الحرب قبل حلول الشتاء.

رجع الامير فخر الدين الى بلاده عام ١٦١٨ م بعد أن تغيرت الاحوال في السلطنة لصالحه وبعد أن فشل في اقناع التوسكانيين بنجدته عسكريا، فتسلم زمام الامور وعاد الى سيرته القديمة في مد سلطته وفي توطيد قواه فاستعاد ما خسره من المقاطعات واقتص من ابن سيفا الذي استغل غيابه وهاجم دير القمر. حمل فخر الدين على ابن سيفا فاستولى على جبة بشري والبقاع وطرابلس وعكار وقال زجليته المشهورة:

نحن قصـــار وفي عيون الاعـــادي كبـــار
وانتو خشب حور ونحنـــــا للخشب منشار
بحـــق رب السما وزمزم والنـــبي المختـــار
مـــا بعمرك يـــا دير الا من حجر عكـــار

عمر فخر الدين دير القمر من حجر عكار وقويت شوكته وأقطعه الباب العالي سنجقي نابلس وعجلون ولكن مصطفى باشا والي الشام رفض تسليمهما فضربه فخر الدين في موقعه عنجر الشهيرة وأخذهما منه حيث أقره الباب العالي على عمله وثبته حاكما على عربستان من حلب الى حدود مصر.



أسكر هذا النصر الامير فخر الدين فجد السعي على طريق التحالف مع توسكانة من جديد وأخذ يقرب المسيحيين اليه ويسكنهم في منطقة الشوف كما عمد الى تقوية تحصيناته وزيادة عدد جيشه من الوطنيين والاجانب فرأت السلطنة أن تحركه أصبح خطرا عليها لما فيه من المنحى الاستقلالي والارتباط بأوروبا. حمل عليه الجميع لمساعدته المسيحيين فاتهم بالمروق على دين الدولة واستغل المسيحيون ذلك للزعم بأنه تنصر فأمر السلطان مراد الرابع باشوات بلاد الشام ومصر بالقضاء عليه.

دقت ساعة النهاية عام ١٦٣٣م فتخلى حلفاء فخر الدين الداخليون والخارجيون عنه. لم تنفعه صداقة توسكانا فهزم ابنه علي مستشهدا في وادي التيم والقي القبض عليه في قلعة تيرون وأعدم سنة ١٦٣٥م في الاستانة ولم يبق من ذريته الا ابنه حسين الذي كان حاكما لطرابلس حيث عينه السلطان سفيرا في الهند.

بموت فخر الدين الثاني طويت صفحة سياسية مهمة من التاريخ الدرزي، فبعد أن كانت جميع الجهود العسكرية موجهة نحو توطيد الحكم المركزي وتركيز اللحمة الدرزية الداخلية واستقطاب بقية القوى على الساحة المحلية وتوجيه الصراع نحو الخارج، ذرت الفتنة الداخلية قرنيها من جديد وأخذ صراع العصبية يستعر. كان الامير ملحم المعني وبعده ابنه الامير أحمد يمثلان الخط القيسي وكان أمراء آل علم الدين التنوخيون الامطونيون يمثلون الخط اليمني. مثل المعنيون الحكم والموالاة ومثل التنوخيون المعارضة. تفاقم الصراع الدرزي الدرزي ودخلت على الخط فيه مختلف القوى الموجودة على الساحة الداخلية كما تدخل ولاة دمشق والشهابيون. كان النصر في غالب الاحيان للمعنيين القيسيين ولم يتسلم اليمنيون الحكم الا لماما بمساعدة والي الشام أو والي صيدا الى أن حسم الامر على يد الشهابيين وهجر قسم كبير من الدروز اليمنيين الى جبل الدروز في سوريا.

وقعت أولى المعارك بين الحزبين عام ١٦٣٥م (سنة قتل فخر الدين)

في أرض القيراط قرب مجدل المعوش. هزم الامير علي علم الدين اليمني أمام الامير ملحم المعني فاستنجد ببشير باشا والي دمشق ولكن الامير ملحم تصدى لخصميه بمساعدة الشهابيين في معركة وادي القرن وأجبرهما على الانكفاء الى دمشق. وفي عام ١٦٦٢م تمكن الامير محمد علم الدين مع الشيخ أبو علوان من وضع اليد على ولاية الشوف بمساعدة والي صيدا لكن الامير أحمد المعني تمكن بعد موت والي صيدا عام ١٦٦٤م وبعد حرب دامت سنتين من استعادة الحكم وكانت من أشهر معارك هذه المرحلة موقعة الغلغلول عند برج بيروت. ان هذا الصراع الضاري بين المعنيين والتنوخيين هو الذي سهل أمر انتقال الامارة الى الشهابيين فيما بعد ومهد لغربة الدروز عن دور القرار والسلطة.

هذا هو المنحى العسكري العام للعهد المعني فقد ورث المعنيون في بدايته النهج المملوكي في الادارة العسكرية من أنسبائهم التنوخيين، فعملوا بنظام القوى المتفرغة القليلة والاحتياطي الشعبي الكبير كأمة مسلحة ترفد القائد عند الحاجة، ولكن العهد العثماني أضاف طابعه الجديد على المسلك المملوكي فأخذ باسلوب المقاطعات العسكرية وسمي الذين يتولون المقاطعات بالمقاطعجية. كان على المقاطعجي المحافظة على الامن في منطقته وجباية الاموال فيها مع تجهيز عدد من المشاة والخيالة يتناسب مع حجم مقاطعته ومركزه المالي والعسكري كما كان ينتمي في الغالب الى عائلة ذات عصبية تؤهله للقيام بمسؤولية الامن وجباية الضرائب للدولة ضمن نطاق منطقته. هذا الاسلوب من الاقطاع ترسخ على مرور الزمن في ظل الحكم العثماني وألف الخلفية للاقطاع المتأخر الذي تداعى على أيدي حركات التحرر في مطلع القرن وأجهزت عليه الاحزاب الوطنية في العصر الحديث.

هذه كانت الحال في بداية العصر المعني عصبيات واقطاعات حمل فيها الدروز السلاح كشرف ومهنة ومهمة اسلامية للدفاع ضد الاعداء ولكن عهد فخر الدين الثاني بعد نكبة قرقماز غير في المفهوم العسكري وأدخل

عليه تعديلات تجلت في الآتي:

* ابقاء القيادة العليا معنية أي بيد الامير فخر الدين وأخيه يونس وابنه علي.
* الانتقال الى صيغة الجيش المحترف النظامي.
* صهر جميع المواطنين في بوتقة حمل السلاح وعدم حصر ذلك في الدروز فقط.
* الاستعانة بالخبراء الاجانب وبالمقاتلين السكمان والقبول بقيادة وسطى غير درزية كآل الخازن والطويل حسين.
* قلب توجه الصراع في الاتجاه المغاير أي الوقوف ضد العمق الاسلامي والتحالف مع الغرب المسيحي.
* الاخذ باستراتيجية القلاع المحصنة في الثغور وأطراف البلاد.
* اتباع سياسة الاحلاف الخارجية.
* اعتماد أسلوب القضم والهضم في التعامل مع القوى المحلية.

وبعد عهد فخر الدين توجه الهم العسكري الى الصراع الدرزي الداخلي وأصبح محور السياسة الوطنية، فوقع الجميع في مطب العصبية الضيقة وأخذ كل المواطنين في الدوران في فلك التناحر الدرزي الدرزي وأخذت القوى الخارجية في لعب دور الموازن أو بيضة القبان بين الدروز أنفسهم.

بدأ عمل الدروز العسكري في مطلع العهد المعني امتدادا للدور التنوخي الاسلامي ضد الصليبيين وحدويا موجها للخارج ثم تحول مع الزمن الى نهج استقلالي انفصالي فمسلك انشقاقي داخلي عادت اليه روح العصبية الجاهلية.

وقعت جميع هذه التغيرات في البنية العسكرية الدرزية وفي التوجهات العامة ولكن السلاح بقي مسيطرا كمهنة درزية متأصلة في الجذور الامر الذي جعل الدرزي يبتعد عن امتهان باقي الاعمال الاقتصادية الاخرى

ويدخلها في سلسلة تصنيف خاطىء للمهن وفي مرتبة أدنى من شرف حمل السلاح، وهذا ما جر عليه الوبال فيما بعد أبان الحكم الشهابي.

لقد عرضنا لثلاثة عهود مرت بها التجربة الدرزية بوجه عام فرأينا في عهد الدعوة ملامح الاخلاقيات الروحية والمرونة والتلاحم بالاسلام وتأكدنا في العهد التنوخي من الدور العروبي ثم الاسلامي وجاء العهد المعني بتيارات الاستقلال والانفتاح نحو الغرب فتفاعلت جميع هذه المعطيات لتنقل الدرزي الى عهد جديد حاملا حقيبته المتزودة بهذه الافكار المكونة لشخصيته المتفردة في المنطقة وهذا ما وضع على عاتقه وزر صراعات متعاقبة فيها من الانفة شيء ومن الاصالة والدور شيء ومن الانفتاح والاستقلالية الشيء الكثير.

دور الدروز في العهد الشهابي

انتهى الحكم المعني بموت الامير أحمد سنة ١٦٩٧ م وانتقل الى الامراء الشهابيين بشخص الامير حيدر ابن بنت الامير أحمد نفسه والذي كان لم يبلغ سن الرشد بعد فعين الامير بشير الاول حاكما بالنيابة عنه ريثما يكبر ويتسلم الامارة. كان الشهابيون في ذلك الوقت يحكمون منطقة وادي التيم بعد أن تسلموها من الجندليين أثر انحياز الجندليين للقاهرة ضد حاكم دمشق الامر الذي دفع الحاكم الى نزع الامارة منهم واسنادها للشهابيين عام ١١٢٣ م. عاش الدروز في منطقة وادي التيم خلال فترة الحكم الشهابي وقبل أن يرث الشهابيون المعنيين عاشوا في فلك حاكم الشام السياسي والعسكري واسهموا في المعارك التي نشبت في فلسطين لطرد الصليبيين كما أمنوا الرفد والنصير للتنوخيين والمعنيين. لم يظهر على الامارة الشهابية في ذلك الوقت صفة القرار الدرزي المستقل أو المميز، رغم ثبوت هوية غالبية الشعب الدرزية وقول بعض المؤرخين بدرزية الشهابيين أنفسهم حيث أعلنوا بأن الامير بشير الثاني ولد درزيا وعاش سنيا ومات مارونيا. كما أن كون الامير حيدر الشهابي هو ابن بنت الامير أحمد المعني يعزز هذه المقولة. وعلى أية حال لم تثبت صحة هذا القول والمؤكد ان غالبية الشهابيين كانوا على مذهب السنة على الاقل في ممارسة حكمهم في مطلع وراثتهم للامارة المعنية. والظاهر أن العصبية السنية الدرزية لم تكن موجودة وكان أفراد الاسرة الشهابية يعتنقون أكثر من مذهب اسلامي واحد على الارجح.

انتقل الحكم الى الشهابيين وورثوا معه النزاع القيسي اليمني حيث

أيدهم القيسيون وعاداهم اليمنيون فاشتدت بذلك المنازعات والصراعات وأصبح تدخل والي دمشق فيها أمرا فألوفا، تارة يشد عضد الامير الشهابي وتارة يسند خصومه ولكن أهم ما انتجه هذا التغيير في بنية الحكم هو ضياع النفوذ الدرزي تدريجيا وانتقال سلطة القرار الى الأمير وحده فأصبح الدروز أدوات بيد هذا الأمير ينفذ بهم سياسته ويضرب بهم التيار الدرزي الذي يحلم بعودة القرار الى يده.

محمود أبو هرموش وموقعة عيندارة:

سلخ بشير باشا والي صيدا المقاطعات الجنوبية عن الامارة الشهابية في بداية حكم الامير حيدر وقد كان أصحاب تلك المقاطعات من الشيعة من أتباع الحزب اليمني الامر الذي شجع الوالي على هذه الخطوة، ولكن الامير حيدر عاد فاسترجعها بارضاء الوالي وحكم عليها محمود أبا هرموش من قبله. طمح محمود أبو هرموش للاستقلال بالولاية ولرجوع حكم الدروز الفعلي الى الجبل على أيدي الامراء آل علم الدين فنسق ذلك مع الوالي الامر الذي ساعده على نجاح الحزب اليمني وتسلم الامير يوسف أرسلان ثم الامير يوسف علم الدين للحكم. لم يرضخ الامير حيدر للامر عن طيبة خاطر ولكنه اضطر للهرب من دير القمر بعد أن صعد اليها محمود أبو هرموش مع قوات الوالي لتسليمها للعلمدينيين. هرب الامير حيدر وولداه ملحم وأحمد والمشايخ قبلان القاضي وعلي نكد وجنبلاط ،عبد الملك ومحمود تلحوق الى غزير حيث طاردهم محمود أبو هرموش في قتال عنيف مما اضطرهم للجوء الى مغارة فاطمة في الهرمل والبقاء فيها ما يقارب السنة. لم يفلح محمود أبو هرموش في استمالة القيسيين لما لاقوه منه من الظلم فتألبوا ضده وكاتبوا الامير حيدر للرجوع واستلام الحكم. تحرك الامير حيدر سنة ١٧١٠ م وانتقل الى رأس المتن واستدعى اليه اعوانه ،كما تحرك محمود أبو هرموش الى عيندارة واستنجد بوالي صيدا الذي أرسل قواته الى حرش بيروت وبوالي الشام الذي أرسل جيشه الى قب الياس. ولكن الامير حيدر فاجأ خصمه قبل أن يكتمل عقد قوى النجدة وحطمه في عيندارة الامر

الذي دفع واليي صيدا والشام الى توقيف تقدمها.

قضى الامير حيدر على أخصامه وشردهم الى جبل الدروز ووزع اقطاعهم على أعوانه القيسيين. قصمت هذه المعركة الدرزية الدرزية العمود الفقري للدروز وجعلت دماءهم ثمنا للمكاسب التي حققها الامير حيدر الذي تمكن بعدله ودهائه من أن يقضي على الحزب اليمني وان يضع مقاليد السلطة في يده سيا وانه كان قد انتصر على الشيعة في الجنوب منجدا والي صيدا عام ١٧٠٧ م فاستتب له الامر.

عهد الأمير ملحم:

تسلم الأمير ملحم الحكم من والده قبل وفاته بقليل فكان حازما قادرا على ضبط شؤون إمارته فاتبع أسلوب المناورة بين الأعيان وضربهم ببعضهم ليبقى هو السيد المتحكم. تجدد في عهده النزاع بين والي صيدا وزعماء جبل عامل فأوعز إليه الوالي لقتالهم فانتصر عليهم عام ١٧٤٣ م في موقعة انصار وأسر أربعة مشايخ من آل منكر ولكن الشيخ علي جنبلاط توسط لدى الأمير فأطلق سراحهم. ضم الأمير ملحم مقاطعة جبل عامل إليه وأخذ الاقطاعيون الدروز منطقة إقليم التفاح واستقدموا إليها مزارعين من الطوائف المسيحية.

في عام ١٧٥٠ م تجدد النزاع بين الدروز والشيعة في جزين فجرد الأمير ملحم حملة تأديبية على جباع الحلاوي وتمكن من ضربها، استتب الأمر للأمير وبقي في الحكم حتى سنة ١٧٥٤ م حيث تخلى عنه بسبب المرض لأخويه أحمد ومنصور. أما أهم أسباب ثباته في حكمه فهي مطواعية الدروز له المتأتية عن انقسامهم إلى ثلاث فئات جديدة هي النكدية واليزبكية والجنبلاطية، وقد كان لليزبكية والجنبلاطية امتداد إلى كافة الطوائف الأخرى الأمر الذي جعلها ترثان القيسية واليمنية. وولدت اليزبكية والجنبلاطية أثر خلاف على جنبلاط وعبد السلام العماد فألف كل منها عصبيته وسمى عبد السلام العماد فريقه باليزبكية إستثارة للعواصف والحقد

ونسبة ليزبك عبد العفيف الذي قتله علي جنبلاط في السجن.

اختلف الأميران أحمد ومنصور على الحكم عام ١٧٦٣م فانحاز احمد للحزب اليزبكي وانحاز منصور للحزب الجنبلاطي وأيده والي صيدا فاستأثر بالحكم لنفسه ولكن الحزب الجنبلاطي عاد وتخلى عنه عام ١٧٧٠م لتأييده ثورة أحمد أبي الذهب في مصر ضد الدولة العثمانية، فاضطر للتنازل عن الحكم عندها لابن أخيه الأمير يوسف.

عهد الأمير يوسف:

تولى الأمير يوسف الإمارة عام ١٧٧٠م بعد أن أُجبر عمه على التخلي عن الحكم لنصرته ثورة أبي الذهب المهزومة وكان الأمير يوسف في ذلك الوقت واليا على بلاد جبيل حيث تنصر الأمر الذي نقل الدروز من حكم الأمير السني إلى حكم الأمير الماروني دون أن يكون لهم أي شأن بالقرار.

ساندت الفئات الدرزية الثلاث اليزبكية والجنبلاطية والنكدية الأمير الجديد كونه إنحاز إلى السلطة العلية فاستتب له الأمر في البداية ولكنه اتبع سياسة سلفه في التفرقة وضرب الأعيان ببعضهم فكان يعاديه الجنبلاطيون أحيانا واليزبكيون غالبا ولكن النكديين كانوا من أنصاره في أكثر الأوقات.

حارب الأمير يوسف مشايخ آل حمادة الشيعة في منطقة جبيل عام ١٧٧١م وساهم معه النكديون في المعارك، كما حارب شيعة الجنوب في جل الشوك وفي جباع ثم في النبطية قرب النبي طاهر (عريض القهوة) وأيده النكديون في تلك المرحلة، أما الجنبلاطيون فتخلوا عنه بعد معركة جباع بسبب خلافهم مع النكديين حول إجارة أصدقاء الجنبلاطيين في البلدة الأمر الذي فت من عضده في معركة النبطية سيا بعد أن جاءت للشيعة النجدة من ضاهر العمر الزيداني من عكا. ساند النكديون الأمير يوسف ضد أحمد باشا الجزار الذي كان حاكما لبيروت فكلفهم الأمير عام ١٧٧٦م بإقامة كمين للجزار في السعديات عند ذهابه من بيروت إلى عكا. نجا الجزار من

هذه الحادثة ودارت الدائرة على النكديين وأدى الأمر إلى عزل الأمير يوسف عن منصبه، ومن ثم عودته إليه بعد أن سُوي الخلاف بين الرجلين (كان الجزار قد تسلم ولاية عكا).

كان حكم الأمير يوسف كله يسير في إطار الدفع والجذب مع الفئات الدرزية الثلاث وخاصة القوية منها أي الحزب الجنبلاطي، ولكن هذه التناقضات لم تخرج عن إطار التناحر السياسي وتقزيم النفوذ من خلال فرض الضرائب والإنحياز إلى فئة دون أخرى وضرب الفئات بعضها بالبعض الآخر.

عهد الأمير بشير الثاني:

كان حكم الأمير بشير الثاني خلال حياة الجزار والي عكا متأرجحا بين الرضى والغضب. ففي عام ١٧٨٩م وعلى أثر تشجيع الأمير يوسف لانتفاضة المماليك على الجزار أجبر الأمير على التخلي عن كرسي الحكم للأمير بشير، ولكن هذا التدبير فتح الباب أمام الأميرين لابتزاز الشعب وتقديم العطاءات لوالي عكا لكسب رضاه والحصول على الإمارة. لقد بقيت الإمارة في تجاذب تناوب بين الاثنين حتى موت الجزار عام ١٨٠٤م وبقي بذلك الدروز منقسمين بين مؤيد ومعارض للأمير الأول وللأمير الثاني كأن الدنيا لا تدور إلا حول هذين القطبين. كان الجنبلاطيون في غالب الأحيان من أنصار الأمير بشير وكثيرا ما أيده اليزبكيون بزعامة آل عماد.

جاءت حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م فأدخلت عنصرا جديدا على الخط كان بداية المسألة الشرقية كما اتفق على تسميتها فيما بعد. وقفت بريطانيا وروسيا مع تركيا ضد الطموح الفرنسي وتقدم نابليون نحو الشام وحاصر عكا فوقع أهالي الجبل في مأزق. الدولة العلية دعت إلى الجهاد ووالي عكا طلب النجدة من الأمير الشهابي بينما حاول نابليون استمالة الأمير ايضا كما كاتب الفئات اللبنانية والدروز منهم عبر الأمير نفسه واعتبره أمير الأمة الدرزية. أيد المسيحيون بزعامة البطريرك تيان الزحف

الفرنسي وقدموا له المؤن بينما وقف الأمير الشهابي على الحياد وفضل الدروز انتصار العثمانيين رغم أنهم لم يبدوا أي نشاط عسكري يذكر.

تراجعت القوات الفرنسية عن اسوار عكا لأسباب دولية وفرنسية داخلية فوقع الأمير بشير في مأزق حيال الجزار ولكنه دبر أمره مع الصدر الأعظم فولاه على الجبل ووادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة وبلاد جبيل والبقاع. لم يرضخ الجزار للأمر فحرض اولاد الأمير يوسف والزعماء المحليين ضد الأمير بشير وأجبره على التخلي عن الحكم، ولكن ظلم أبناء الأمير يوسف دفع الشعب للالحاف في دعوة الأمير بشير للحكم من جديد عام ١٨٠٠م، خاصة وأن الحزب الجنبلاطي بقي على ولائه له. لم يرض جرجس باز مدبر أولاد الأمير يوسف بعودة الأمير بشير للحكم، فوقعت بعض المناوشات بين الحزبين ولكن الأمور استتبت للأمير بشير ما يقارب السنة ثم عادت المشاكل من جديد واستمرت حتى وفاة الجزار عام ١٨٠٤م.

استراح الأمير ووطد أركان حكمه بالتحالف مع الشيخ بشير جنبلاط وعمل وإياه على نقل أربعمائة عائلة درزية من حلب إلى لبنان عام ١٨١١م بعد تعرض الحركة الوهابية للدروز كما شارك محمد علي باشا في قتال الحركة الوهابية والانتصار عليها عام ١٨١٠م مدعما بذلك مركزه عند محمد علي باشا وعند السلطنة العثمانية. بعد هذا النصر المؤزر تمكن الحزب اليزبكي من خلع الأمير بشير وإقصاء حليفه بشير جنبلاط بمساعدة والي صيدا وتولية الأميرين حسين وأحمد لسدة الحكم ولكن الأمر لم يطل كثيرا وعاد الأمير بشير إلى الإمارة بتأييد إجماع درزي عام ١٨٢٠م الأمر الذي سمح له بالتصدي لعامية لحفد عام ١٨٢١م فوجه قوة إلى هناك على رأسها الشيخ الجنبلاطي الذي ضرب العامية ونصر آل الخازن.

اندلع الخلاف بين عبد الله باشا والي عكا ودرويش باشا والي الشام فانحاز الأمير بشير لوالي عكا وهاجم الإثنان والي الشام وانتصرا عليه في المزة لكن الباب العالي لم يرض عن ذلك فأقال الأمير بشير وعين مكانه

الأمير عباس الشهابي. ذهب الأمير بشير إلى مصر ووسط محمد علي باشا لدى السلطنة فأعيد إليه مركزه بعد حين حيث عاد ونقم على حليفه بشير جنبلاط لأنه أيد الأمير عباس وعاضده في غيابه.

أدت هذه الواقعة الى الخلاف بين الأمير بشير والشيخ بشير الذي تمكن من احتلال بيت الدين والوصول إلى المقصف ولكن الأمير بشيرا استنجد بوالي عكا ثم بوالي الشام فحسم الأمر لصالحه وألقي القبض في سوريا على الشيخ بشير وأعوانه وقتل في عكا عام ١٨٢٤م، وتوزعت اقطاعاته واقطاعات أعوانه الشاسعة على مؤيدي الأمير بشير وغالبيتهم من المسيحيين.

هذه كانت محصلة الحكم الشهابي على الدروز فقد دال نفوذهم وتقاذفتهم أيدي السلطة المارونية واستعانت عليهم بالجهات الخارجية، وانتزعت أملاكهم واقطاعاتهم ووزعتها على المتنفذين الجدد وغالبيتهم من المسيحيين. فقد الدروز في هذا العهد نفوذهم السياسي وخطهم النضالي القومي ولكنهم لم يفقدوا البندقية فبقيت وفية لهم وهم أوفياء لها.

لم ينته الحكم الشهابي في هذه الفترة ولكن طارئا جديدا طرأ عليه ألا وهو السيطرة المصرية التي سنتناولها في الفصل التالي.

العامل الطائفي في الفكر الدرزي

لم يدخل العامل الطائفي إلى الفكر في لبنان إلا بعد حملة نابليون بونابرت على مصر وحصاره لعكا حيث تمكن من استقطاب مسيحيي لبنان وعلى رأسهم البطريرك تيان ممنيا إياهم بالكيان الخاص وتفاعل هذا الموقف في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الذي ضرب الزعامات الدرزية بمساندة والي عكا ووالي الشام وقد جاءت سياسة محمد علي باشا في المنطقة تتويجا لهذا المنحى الطائفي الشقاقي.

إن النزاعات التي خاضها الدروز مع الطوائف الأخرى عبر العصور الماضية لم تأخذ أي طابع طائفي رغم حدتها وضراوتها. دخل الدروز الصراع في عهد الدعوة للحفاظ على النفس كمذهب جديد وتطلع فكري ووجداني ولم يدخلوه كتيار تناحري مع فئة أخرى. خاضوا حروبهم في ظل الإمارة التنوخية حاملين لواء الحكم الإسلامي ضد عدو أجنبي فجاء صراعهم وطنيا مع ما فيه من التباين الديني بينهم وبين خصومهم. دخلوا في الصراع الداخلي القيسي اليمني في بداية العهد المعني ولكنهم تجاوزا هذا الصراع في حكم الأمير فخرالدين الثاني ودخلوا في صيغة لبنانية وطنية تجمع الطوائف كافة حيث استغل المسيحيون موقف الأمير واجراءاته المتسامحة لتقوية نفوذهم ولتمهيد الطريق لاستئثارهم بالسلطة اعتبارا من منتصف العهد الشهابي. لقد تحولت نهاية العهد المعني وبداية العهد الشهابي إلى صراع درزي داخلي حسم في معركة عيندارة لصالح القيسية ولكنه جُير لصالح الحاكم ثم عاد وتجدد في صيغة أخرى هي الجنبلاطية واليزبكية.

صحيح أن العهد الشهابي استعمل الدروز ضد الشيعة في الجنوب وفي

بلاد جبيل ولكن هذا الاستعمال لم يأخذ الطابع الطائفي بل بقي في إطار ممارسة الأمير لسلطته ضد الخارجين عنها وضد مناوئيه المجاورين عملا بأسلوب العصر السائد في السلطنة العثمانية. لكن تصرفات محمد علي باشا والأمير بشير الشهابي جاءت شيئا آخر فكيف كان ذلك؟

الدروز في ظل نفوذ محمد علي باشا:

بدأت قصة نفوذ محمد علي باشا في بلاد الشام منذ سنة ١٨١١م حيث أخذ يتحين الفرص لتوسيع حدود ولايته وعندما وقع النزاع بين درويش باشا والي الشام وعبدالله باشا والي عكا عام ١٨١٩م وقف الامير بشير الى جانب عبدالله باشا الأمر الذي أغضب الدولة العثمانية عليه وأجبره على اللجوء إلى مصر حيث توطدت العلاقات بينه وبين محمد علي. وهذا ما دفع الاخير فيما بعد على تأييد الأمير بشير في خصامه مع الشيخ بشير جنبلاط مما ترك عند الأكثرية الساحقة من أعيان الدروز استياء ونفورا.

ولما قرر عزيز مصر إرسال حملته إلى فلسطين عام ١٨٣١م اصطدم بحليفه السابق والي عكا فأرسل قوة مؤلفة من ثلاثين الف جنديا مجهزين بالمدافع واستولى على المدينة حيث وافاه الأمير بشير إليها وشارك معه بقواته في السيطرة على المدن الساحلية اللبنانية وأخصها مدينة طرابلس كما عمل الأمير خلال الحرب على تأمين طرق مواصلات الجيش المصري.

انقسم الدروز حول الموقف من هذه الحملة فوقف الشيخ حمود النكدي والشيخ حسن تلحوق والشيخ يوسف عبدالملك والأميران قاسم ومحمود الإرسلانيان معها وشاركوا بقيادة الأمير خليل ابن الأمير بشير في معركة طرابلس، وعارضها آخرون وعلى رأسهم الحزب الجنبلاطي الأمر الذي اضطر بعض الزعماء الدروز إلى مغادرة البلاد إلى الشام خوفا من بطش الجيش المصري والأمير بشير بهم بعد مناوشات محدودة مع قوات الأمير بشير وكان بين الفارين أحمد جنبلاط وخطار عماد وناصيف النكدي وفارس العيد وحمود عطاالله.

انتقم إبراهيم باشا من معارضيه وهدم بيوتهم في المختارة وكفرنبرخ ودير القمر وحقق سيطرته على بلاد الشام ووصل إلى كوتاهية عام ١٨٣٣م حيث أقره السلطان العثماني حاكما على مصر وسائر بلاد الشام.

حاول الباشا المصري تحقيق اصلاحات في الإدارة اللبنانية فساوى بين النصارى والمسلمين في مبدأ التمثيل في المجالس الإدارية وأخذ بعض الإجراءات الأخرى التي تنم عن فكر اصلاحي ولكنه ارفق هذه الاصلاحات بإجراءات لم يستسغها الشعب ولم يتمكن الأمير بشير من الوقوف في وجهها لأنه أصبح أداة تنفيذية في يد ابراهيم باشا حيث فقد شخصيته الحاكمة وصار جرما صغيرا يدور في الفلك المصري. أما الإجراءات التي خرّبت العلاقات مع الأهالي فقد كانت التالية:

* التجنيد الإجباري لمدة خمسة عشر سنة للشباب.
* نزع السلاح من الأهالي.
* فرض قيود شديدة على تجارة بعض المواد الأساسية واحتكار الحديد.
* فرض ضرائب جديدة على الرؤوس.
* اعتماد اعمال السخرة لصالح الجيش المصري.

لم ترق هذه الإجراءات للشعب فاندلعت الثورات ابتداء من عام ١٨٣٤م في فلسطين منتقلة من مكان إلى آخر حتى عكار وبلاد العلويين حيث اخمدها الجيش المصري بالقوة مستعينا بقوات الأمير بشير الشهابي وهذا ما جعل الدروز أدوات في يد الباشا المصري يستهلكهم لتحقيق أغراضه.

جاء دور دروز لبنان عام ١٨٣٥م وكان قد استثنى الباشا موقتا رعايا الأمير بشير من التجنيد ونزع السلاح. جاء دور الدروز فرفضوا هذا التدبير ولكن التهديد والوعيد والمفاوضات حلت المشكلة فنزع السلاح وجند الدروز بعد التوصل معهم إلى صيغة وسطية مقبولة.

تركت هذه الحادثة أثرا عميقا في نفوس كل من دروز لبنان ودروز

سوريا الأمر الذي أسهم في تحضير الأجواء لاندلاع الثورة في جبل الدروز عام ١٨٣٧م.

كان الدروز قد بدأوا بالهجرة إلى حوران عام ١٦٨٥م حيث انتقل الأمير علم الدين بن معن إلى هناك واحتل خمسة قرى للبدو وولى عليها وكيله حمدان الحمدان قبل رجوعه إلى لبنان ثم تعزز ذلك الوجود بعد معركة عيندارة عام ١٧١٠م. كافح الدروز كثيرا في سبيل تثبيت أقدامهم في حوران وواجهوا قبائل السردية والفحيلية والرولا واستطاعوا أن يوقعوا الهزائم بأعدائهم. حالف الدروز قبيلة المحمّس فكانت لهم عضدا في تثبيت أقدامهم في الجبل. وباعتبار أن ولاة حوران ودمشق العثمانيين لم يكونوا قادرين على ضبط أمن تلك المنطقة وحمايتها من اعتداءات البدو فقد كلف الدروز بهذه المهمة واعترف العثمانيون بسلطتهم على تلك الارض كأمر واقع. لم يكن ممكنا في نظر الدروز حيال الأخطار المحدقة بهم أن يتخلوا عن سلاحهم أو أن يتطوعوا في الجيش العثماني. فلما جاء دور تجنيد دروز حوران وتجريدهم من السلاح عام ١٨٣٧م رفضوا هذا الأمر بشدة وكان الجبل قد أصبح يومذاك ملجأ للفارين من التجنيد وللناقمين على السلطة في لبنان وفلسطين مما دفع الحكم المصري إلى تجريد الحملات المتتالية عليه.

جرد المصريون الحملة الأولى عام ١٨٣٧م بقيادة آغا البصيلي فلم تفلح فجددوا عام ١٨٣٨م عملهم العسكري بحملة منيكلي باشا فلم تفلح ايضا. عندها قام إبراهيم باشا بحملته الكبرى حيث حاصر الثوار في اللجاه وقطع عنهم المياه ولوث الآبار. اشتد الضيق على الدروز فلجأ شبلي العريان إلى تخفيف الضغط عنهم بإشعاله الثورة في وادي التيم، وأنجده دروز الشوف بقيادة الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد فوقعت عدة معارك قوية في منطقة راشيا ووادي بكا وهذا ما خفف الضغط عن المحاصرين في اللجاه.

على أثر قيام ثورة وادي التيم طلب محمد علي من الأمير بشير تجنيد

مسيحيي لبنان وتسليمهم أسلحة مؤبدة للإشتراك في قمع هذه الحركة فقبل الأمر وأرسل القوات المسيحية بامرة ابنه خليل مما شق شعبه إلى قسمين فانطلقت بذلك شرارة الشقاق الطائفي المذهبي التي يتلظى لبنان بأوراها حتى الآن.

نجحت ثورة شبلي العريان في تخفيف الضغط عن دروز سوريا ومهدت الطريق لوفاق مشرف مع الحكم المصري قوامه:

* تقديم الطاعة مع سبعماية بندقية من سلاح الدروز وألفين بندقية من الأسلحة التي غنموها من الجيش المصري.
* التعهد بعدم التجنيد ورفع السخرة والإبقاء على الحرية والامتيازات القديمة.
* السماح بحمل السلاح.

وقع الشقاق بين الدروز والموارنة ولكن حادثة ١٨٤٠م لطفت الأجواء فيما بينهم من جديد عندما جاء دور نزع سلاح الموارنة بعد انتصار إبراهيم باشا على الأتراك في موقعة نزب عام ١٨٣٩م. تحالف جميع الناقمين على الأمير بشير عند ذلك مع النكديين واللمعيين والخوازنة وأعلنوا العصيان. جرد محمد علي قواته لقمع الثورة ونجح بذلك بعد أن قتل وشرد ونفى، ولكن انكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا توصلت إلى اتفاق لندن عام ١٨٤٠م جرى بموجبه منح محمد علي وسلالته من بعده الحكم الوراثي على مصر وولاية عكا شرط القبول بإخلاء جزيرة كريت وبلاد العرب وأدنة. ماطل عزيز مصر في ذلك بعد أن عاضدته فرنسا ولكن الدول ضامنة الاتفاق حزمت أمرها ونفذته بالقوة فانجلت غيمة الظلم المصري عن دروز لبنان وعاد المنفيون من زعمائهم إلى الديار.

الفتن الطائفية ١٨٤٠م - ١٨٦١م:

بعد قضاء بريطانيا على سلطة محمد علي في لبنان وتنفيذ اتفاق لندن بالقوة تخلى الأمير بشير الثاني عن الحكم دافعا ثمن وقوفه إلى جانب عزيز

مصر. تولى الأمير بشير الثالث الحكم بدعم من بريطانيا والدولة العثمانية فاستبشر الدروز خيرا بالحكم الجديد آملين أن يعيد إليهم ما فقدوه من سلطة وأملاك.

لقد كان عهد الأمير بشير الثاني مرحلة تحول في بنية جبل لبنان السياسية والاقتصادية والاجتماعية لغير صالح الدروز إذ أسهمت بذلك توجهات الأمير السياسية وتنصره من جهة وارتباطات المسيحيين بالغرب من جهة أخرى، مما ساعدهم في حقل التطوير الثقافي وفي المجال الاقتصادي وعلى الأخص في سوق تجارة الحرير الشيء الذي در عليهم ارباحا طائلة وثبت تقدمهم على الدروز. إن سياسة الأمير بشير الثاني التعسفية وإجراءاته الانتقامية التي اتبعها حيال الزعامات الدرزية التي كانت تناصبه الخصومة السياسية أدت إلى خسارة هذه الزعامات للقسم الأكبر من أملاكها وعقاراتها الأمر الذي إنعكس على نفوذها الاجتماعي والسياسي.

قلنا استبشر الزعماء الدروز بعهد بشير الثالث وظنوا بأنه سيرد لهم الحقوق المغتصبة ولكنه لم يشذ عن سياسة أسلافه في إلحاق الظلم بالدروز فعمل على كبح جماحهم وتجريد بعضهم مما تبقى لهم من الأملاك. صادر عقارات التلاحقة في عنجر ونزع قرية شمطار من أيدي العمادية وتآمر على قتل الزعماء الدروز بشكل جماعي، وهذا ما كشفته مصادر القنصلية الفرنسية فاتفق الدروز معها على المطالبة باعتزال الأمير وأبداله بنسيبه الأمير سلمان الشهابي. رغب الفرنسيون من وراء ذلك في ضرب الإرادة البريطانية وأيدهم العثمانيون رغبة في إدخال لبنان في ظل الحكم العثماني المباشر ولكن المفاجأة جاءت على أيدي الإكليروس الماروني الذي أيد بحزم بقاء الأمير بشير الثالث في الحكم لأنه ماروني ولأن البطريرك لا يرغب في أن ينتقل الحكم إلى يد مسلم بدلا منه.

زادت هذه المواقف السياسية من تشنج الامير بشير الثالث ضد الدروز، فأخذ يفتك بخصومه حيث شنق أكثر من سبعين شخصا من الأعيان وسمل عيونهم وصادر ممتلكات الكثيرين، بينما أخذ المسيحيون

ينعمون بالراحة والطمأنينة في ظله ورعاية البطريركية المارونية، التي كانت تعمل جاهدة لإبقاء الامير في حكمه أو عودة الامير بشير الثاني للحكم في حال إقرار تنحية الأمير بشير الثالث عن سدة الإمارة.

أدى تفاقم الأمور السياسية المحلية والظلم المتزايد على الدروز والتعسف الاقتصادي فضلا عن تناقض إرادات الدول الكبرى ادى إلى تعبئة تفسية رهيبة في صفوف الشعب وأصبح الوضع ينذر بالإنفجار. جاء عام ١٨٤١م والجبل منقسم على نفسه فريق درزي مسحوق وآخر مسيحي متسلط يقوده الاكليروس الماروني الذي ارتبط بفرنسا في مشروع بناء دولة مسيحية تقوم على حساب الدروز ونفوذهم. لقد زاد تسلط الاكليروس لدرجة جعلت أحد المؤرخين يقول: «إن مصيبة جبل لبنان في اسودين الغربان والاكليروس».

إزاء ذلك ازداد الحاح الدروز مطالبين بعودة املاكهم وامتيازاتهم التي فقدوها كجباية الضرائب والمحافظة على الأمن وممارسة السلطة القضائية البدائية في نطاق مقاطعاتهم بينما وقف لهم الموارنة بالمرصاد يرفضون رفضا قاطعا تحقيق أي من هذه المطالب.

كان الجو مهيأ للاشتباك وأخذ كل من الفريقين يتأهب للصدام. في هذا المناخ المتلبد اندلعت الشرارة عام ١٨٤١م من خلاف على صيد حجل بين أهالي بعقلين ودير القمر وكبرت الحادثة حتى وقع ما يقارب العشرين قتيلا من الطرفين حاول النكدية إصلاح ذات البين ولكن مسيحيي دير القمر تشامخوا على الوساطة رغم كونهم المعتدين فوقع الصدام بين دروز الدير ومسيحييها وامتدت الحوادث إلى عدة قرى أخرى في اقتتال عنيف. تدخل الباب العالي فأرسل مصطفى باشا على رأس قوة من الجيش العثماني لتهدئة الوضع حيث تمكن من ضبط الأمور في مطلع عام ١٨٤٢م وأرسل الأمير بشير الثالث إلى الآستانة وعينت الدولة عمر باشا النمساوي حاكما بدلا عنه وبذلك دخل الجبل تحت سلطة الحكم العثماني المباشر.

أيّد الدروز عمر باشا في بداية حكمه كونه خلصهم من اخصامهم

الشهابيين ولكن الموارنة لم يؤيدوه فاضطر إلى مصانعتهم والتودد إليهم ظنا منه بأن ذلك قد يقربه منهم. أثار هذا الانحياز للموارنة حفيظة الدروز سيا وأن عمر باشا كان قد قرب إليه بعض مثيري فتنة ١٨٤١م وقلدهم المراكز الهامة مثل أبي سمرا غانم والشنتيري.

لم يرق هذا التدبير للدروز فتصدوا له بحزم الأمر الذي دفع عمر باشا إلى دعوة خمسة من زعماء الدروز إلى مقابلته في بيت الدين حيث ألقى القبض عليهم. حاول الدروز فتح صفحة جديدة مع إخوانهم الموارنة فوجه أعيانهم بيانا إلى البطريرك مقترحين فيه عقد ميثاق تحالف درزي ماروني ضد عمر باشا، واعدين بتأييد الحكم الشهابي والتعويض على خسائر النصارى التي لحقت بهم من جراء هزيمة ١٨٤١م. لم يرض الموارنة ذلك فاضطر الدروز إلى مواجهة عمر باشا منفردين حيث انجدهم شبلي العريان بقوات كبيرة من وادي التيم طوق بها قصر بيت الدين. هبت الدولة العثمانية بجيوشها إلى نجدة عمر باشا فرفض شبلي العريان فك الحصار عن بيت الدين إلا بعد اطلاق الزعماء المحتجزين وإلغاء الخدمة الإجبارية وإعفاء السكان من تأدية الضرائب لمدة ثلاث سنوات. لم يستطع الدروز منفردين التغلب على الجيوش العثمانية، خاصة بعد ما أخذ المسيحيون ينضوون في صفوفها لمقاتلة مواطنيهم ولكن اسعد باشا والي صيدا سارع إلى وضع حد لتهور عمر باشا فأقاله وعين مكانه محمد باشا ثم أمر باطلاق سراح الزعماء المحتجزين بعد توسط القنصل البريطاني.

بعد فشل الحكم العثماني المباشر توصلت الدول الأوروبية بالاتفاق مع الباب العالي لوضع نظام القائمقاميتين وبوشر بتنفيذه عام ١٨٤٣م. قضى هذا النظام بقسمة الجبل إلى منطقتين تفصل بينهما طريق الشام، المنطقة الشمالية تحت الحكم الماروني والجنوبية تحت الحكم الدرزي. لم يرض القائمقام الماروني الأمير حيدر أبو اللمع بأن يحكم الدروز مواطنيهم الموارنة في قائمقامية الشوف فأرسل الباب العالي من ينظر بالأمر حيث عين في كل مقاطعة وكيلان للقائمقام أحدهما درزي والآخر ماروني يقومان برعاية

شؤون طائفتيهما في كل من القائمقاميتين، كما فرض على الدروز تأدية مبلغ كبير من المال للموارنة تعويضاً على خسائر عام ١٨٤١م.

لم يرض هذا الحل موارنة المتن فتشددوا في مطالبتهم وأخذوا يحرضون موارنة الشوف لافتعال القلاقل. أخذ الطرفان يستعدان للمعارك وبدأت الأعمال العسكرية عام ١٨٤٥م إذ شن النصارى المعركة المفاجئة من جزين بقيادة أبي سمرا غانم وهاجموا قرى المتن الجنوبي حيث توغلوا في منطقتي الشوف والمتن وأحرقوا بعض القرى. تمكن الدروز بعد أن ملكوا روعهم من رد المهاجمين وإنزال خسائر فادحة في صفوفهم وإحراق العديد من القرى المسيحية ولكن المفاجأة انزلت بهم خسائر جسيمة أيضا.

على الأثر سارعت الدولة العثمانية إلى إرسال ناظر خارجيتها شكيب أفندي إلى لبنان حيث حل المشكلة بإنشاء النظام المعروف باسمه بعد أن اعتقل بعض الزعماء من الطرفين. أما أهم بنود هذا النظام فهي:

* اعطاء والي صيدا حق تعيين القائمقام وعزله.
* تعيين مجلس في كل قائمقامية مؤلف من نائب وقاضي ومستشار عن كل من الطوائف الخمس (دروز سنة روم وكاثوليك روم ارثوذكس وموارنة).
* تحديد واجبات المجلس بمهمتين اساسيتين هما: توزيع الضرائب وجبايتها والنظر بالدعاوي القضائية.

لم يرض زعماء الإقطاع من الطرفين بهذه الإجراءات اولا ولكنهم عادوا واستكانوا فنعم الجبل بهدوء نسبي. شهد المجتمع الماروني خضة داخلية بين الإقطاع والفلاحين بينما شهدت الساحة الدرزية صراعات سياسية بين اليزبكية والجنبلاطية كما انقسم الجنبلاطيون انفسهم إلى فريقين: فريق يوالي سعيد جنبلاط وآخر يوالي نعمان جنبلاط وكل ذلك في إطار الوصول إلى الحكم (القائمقامية).

وجاء عام ١٨٥٢م فتوتر الوضع بين العثمانيين والدروز بسبب فرض

الخدمة الإجبارية عليهم، واستنفر العثمانيون سياستهم القديمة فحرضوا الموارنة على الدروز ثم عادوا وتقربوا منهم الأمر الذي أخذ يدفع بالعلاقات المارونية الدرزية إلى التأزم باستمرار حتى عام ١٨٥٧م حيث بدأ النزاع المسلح يذر قرنه من جديد وكانت قمة الصدام عام ١٨٦٠م. بعد حادث بيت مري الشهير (لعب الكلة). شارك في هذا الصراع دروز حوران بقيادة إسماعيل الأطرش وهاجموا زحلة من جهة السهل. انتصر الدروز في هذه الفتنة انتصارا ساحقا فاحتلوا دير القمر وأحرقوا زحلة ووصلت قواتهم بقيادة سعيد جنبلاط والارسلانيين إلى بعبدا فهجر المسيحيون من قرى عدة وخربت مساكنهم وبلغ عدد قتلاهم حوالي العشرة آلاف وناهز عدد المشردين المئة ألف.

انتصر الدروز عسكريا ولكن هذا لم يتحول إلى نصر سياسي إذ تدخلت الدول الكبرى ضدهم وأنزل الفرنسيون قواتهم في جونية وهاجموا القرى الدرزية تحت ستار حماية المسيحيين وألقي القبض على زعماء الدروز حيث أودعوا السجون ونفي حوالي ٢٥٠٠ درزيا إلى خارج البلاد (ليبيا).

بعد هذا العقاب الشديد الذي وجه إلى الدروز اجتمعت دول النمسا وروسيا وبريطانيا وفرنسا وبروسيا مع الدولة العثمانية وأقر النظام الأساسي لجبل لبنان الذي سمي بنظام المتصرفية (بروتوكول ١٨٦١م - ١٨٦٤م). أما أهم بنود هذا النظام فهي الآتية:

* اعتبار جبل لبنان سنجقا عثمانيا له استقلاله الداخلي.
* يحكم لبنان متصرف مسيحي عثماني من خارج الجبل يعينه الباب العالي.
* يعاون المتصرف في شؤون الحكم مجلس إداري مؤلف من اثني عشر عضوا (٤ موارنة. ٣ دروز. ٢ روم. ارتوذكس. عضو كاتوليكي. عضو شيعي، وعضو سني).
* تقسم المتصرفية إلى سبعة اقضية ويرأس كل قضاء قائمقام من الطائفة الأكثر عددا فيه يعينه المتصرف.

* يقسم القضاء إلى مديريات أو نواح وكل ناحية إلى عدة قرى يعين فيها مختار أو شيخ ينتخبه الاهالي.
* اعلان مبدأ المساواة بين جميع اللبنانيين أمام القانون.
* حصر مهمة القضاء بالمحاكم وإلغاء دور الإقطاع في هذا المجال.
* اعفاء السكان من الخدمة العسكرية وتأليف قوى أمن محلية غالبيتها من الموارنة وقيادتها مارونية.
* جباية الضرائب لصالح المتصرفية.

أدى هذا المخاض العسير بين عامي ١٨٤٠م و١٨٦٤م عبر نظام القائمقاميتين ونظام شكيب أفندي ثم النظام الأساسي إلى ولادة قيسرية لصيغة مارونية درزية لجبل لبنان ذات ارجحية مارونية ووجه مسيحي عثماني. كان العصر الشهابي في الواقع عصر تحول ضد الدروز حيث استخدمهم الحاكم وخاصة الماروني لتنفيذ مآربه أولا، ثم شقهم على بعضهم البعض ونزع منهم امتيازاتهم وأخيرا زرع بذور الطائفية في قلوبهم. كانت صيغة ١٨٦٤م قمة النهج الطائفي وتتويجا لآفة اجتماعية مرضية جديدة دخلت كقيمة على وجدان اللاوعي اللبناني وأصبحت تتحكم بمسار الأخلاقية الشعبية بصورة مستمرة. لم ينحصر تأثير هذه القيمة على نفوس الدروز والموارنة فقط بل تغلغل في ثنايا جميع الطوائف ليحولها إلى مجتمعات شبه مغلقة ذات وجهين باطني وظاهري، تقول ما لا تضمر وتضمر ما لا تظهر. كان الدروز قبل العهد الشهابي رعايا دولة لا يحسون بالدونية ولا يشعرون بالفارق بينهم وبين الحاكم فأتاهم الشهابيون بالغبن الإقتصادي والاجتماعي والسياسي والمذهبي وبتحول قسرى لغير صالحهم يدعمه استعداء الموارنة عليهم. أثر هذا الأمر كثيرا في الوجدان الدرزي ولكنه لم يحرف الدروز عن خطهم الإسلامي العروبي بل زادهم تعلقا به رغم ممارسات العثمانيين التعسفية ضدهم .فيما بعد فوجدوا في العروبة الملجأ البديل ولهذا حملت غالبيتهم راية الوطنية العربية بشدة وعنف.

التحول الاجتماعي وتنامي الروح الاستقلالية والعربية

فعل النظام الأساسي في الجبل فعلته في تثبيت الهدوء والاستقرار وأخذت البلاد تشهد نوعا من الازدهار والسكينة في ظل حكم داوود باشا الذي كان عادلا فعطف على الدروز وساعدهم في إنشاء مدرسة الداوودية وفي العودة إلى الحياة الكريمة الهادئة.

هذا الهدوء في جبل لبنان لم يواكبه استقرار في جبل الدروز بل بقيت الحياة غير هادئة فيه يلفها التوتر وروح الغزو والمناحرة. بقيت الحياة استمرارا لعهد حرب إبراهيم باشا ولم يطرأ عليها من الناحية الأمنية أي تحسن يذكر. كان الدروز أثناء حربهم مع إبراهيم باشا يتعرضون من وقت لآخر لغزوات البدو الذين طمعوا في نهب حلالهم في تلك الظروف الصعبة. وكما حارب الدروز منفردين في الرد عن ممتلكاتهم حاربوا كذلك في أحلاف مع بعض القبائل البدوية تدفعهم إلى ذلك المصلحة وحسن الجوار وتوطد العلاقات الاجتماعية، وفي موقعة المناخ بين الشعلان شيخ عشيرة الرولا وابن صمير تدخل الدروز لمصلحة الشعلان فرجحت كفته الأمر الذي جعل ابن الصميروفنـــدي الطيار شيخي عشيرة ولد علي يحقدان عليهم وبذلك دارت بين الفريقين أعنف الحروب البدوية الدرزية.

وأثناء الحرب مع ابراهيم باشا استغل ابن الصميرغياب دروز المقرن القبلي فهاجمه على رأس خمسماية فارس وقتل اثنين وسبعين درزيا من الشيوخ والاطفال هاج الدروز ولكن موقف والدة ابن الصمير الذكي والحكيم هدأ روعهم وجعلهم يقبلون عقد راية الصلح. لقد حملت الام الذكية خيمتها ونصبتها في ساحة بلدة القريا وأعلنت انها دخيلة على

الدروز وفي حماهم حتى يعقدوا الصلح وتحل الازمة فكان لها ما أرادت.

حل الاشكال ولكن ابن الصمير عاد ونقض الصلح مستغلا غياب فرسان الدروز عن الجبل عام ١٨٤١ م واشتراكهم في احداث لبنان بقيادة اسماعيل الاطرش، استغل غيابهم وأباح لمواشيه حقول المقرن القبلي ولم يتورع عن الاعتداء على القرى الآمنة. أثار هذا الامر حفيظة الدروز فهاجموا ابن الصمير عام ١٨٤٢ م بعد عودتهم من لبنان في ذبحة القرية في محل حدلي وانتصروا عليه وقتلوا من عشيرته الكثير منتقمين لجميع قتلاهم السابقين. ولم يتعظ فندى الطيار مما حل بقريبه فهاجم الجبل مرتين الاولى في مردك والثانية في الجنينة ولم يكن نصيبه في المعركتين أفضل من نصيب ابن الصمير فهزم شر هزيمة.

ولم يكف الدروز ما كانوا فيه من التوتر والاستنفار الدائم في مواجهة البدو فجاءهم الظلم العثماني ليزيد الطين بلة. طالبت الدولة العثمانية عام ١٨٥٢ م بلم ضريبة الخراج بالقوة وبتجنيد الشباب الدرزي فرفض دروز حوران ووادي التيم ذلك الطلب ونزحوا الى معاقلهم المنيعة. جردت الدولة عليهم حملة من ثمانية آلاف جندي نظامي وأربعة آلاف من أهالي الجوار بقيادة قبرصلي باشا فالتقى الجمعان في منطقة أزرع ودارت الدائرة على الأتراك حيث غنم الدروز كثيرا من الاسلحة والذخائر. تدخل سعيد جنبلاط مع السفير البريطاني ريتشارد وود وتم الاتفاق على حل من ثلاث نقاط هي:

* اعادة السلاح والذخائر للجيش التركي. (الاسلحة التي غنمها الدروز في المعركة).
* تأدية الضرائب المتأخرة.
* اعفاء الدروز من الخدمة الاجبارية.

برز في هذه المعركة القائد الجديد اسماعيل الاطرش وبدأ يأفل نجم القائد وأكد الحمدان فكان ذلك بداية تحول اجتماعي في الجبل.

صراعات الدروز والحوارنة:

لم يبت الاتراك على هزيمة حملتهم بل أرادوا الانتقام من الدروز بايغار صدور الحوارنة عليهم، فأخذوا يعدونهم بوضع الايدي على القرى الدرزية ويمنونهم بالانتاج والخير العميم. انزلق الحوارنة في هذا المنزلق وأخذت الاحوال بينهم وبين الدروز تسوء الى أن جاء عام ١٨٥٦ م فوقعت معركة كبرى بين الفريقين في (امسكي) كان النصر فيها للدروز.

وفي عام ١٨٧٨ م تجدد النزاع بين الدروز وأهل بصرى بسبب خطف بدوي لفتاة بدوية وإستئثار ياسين الحريري شيخ بصرى بها. التجأ البدوي للدروز فحاولوا مساعدته الامر الذي أوقع بينهم وبين الحوارنة فسقط القتلى من الطرفين في كمائن وحوادث متفرقة، كما هاجم الدروز قرية بصرى ثأرا لقتلاهم.

استغل مدحت باشا والي الشام هذه الاحداث وكان قد حاول نزع حماية الدروز عن قرية أزرع بالحوار فلم يفلح استغل ذلك وجرد حملة كبرى نزلت في بصرى وقدمت الى زعماء الدروز سبعة مطالب منها:

* ارجاع سبع عشرة قرية الى الحوارنة.
* تقديم الاعشار والاموال للحكومة.
* انزال العقوبة بثلاثة وعشرين درزيا لاعتدائهم على الحوارنة.

لم يقبل الدروز بكل المطالب فتوجه الجيش العثماني لقتالهم حيث التقى الجمعان في (قراصّة) فتغلب الدروز وانزلوا بالجيش العثماني هزيمة كبيرة. برز في هذه الموقعة أبو علي الحناوي الذي سد فوهة المدفع بلفته كما جاراه محمد أبو عساف قافزا من فوق المدفع وفاتكا بسادنه بالسيف. تدخل القنصل البريطاني من جديد وعقد الصلح ومن بنوده:

* اجلاء آل نصر الدروز من الدويرة الى نجران واسكان آل عزام مكانهم.
* وضع نظام اداري للجبل وتحويله الى قائمقامية فيها نواح ثمان وتعيين سعيد تلحوق قائمقاما عليه.
* دفع الدروز للحوارنة دية قتلاهم وعقد الصلح فيما بينهم.

لم يدم الصلح الذي عقد طويلا بل تجدد القتال بعد تسعة أشهر عام ١٨٨٠ م. أثر اعتداء أهالي الحراك على تجار دروز الامر الذي دفع بالدروز للثأر ومهاجمة الحراك. لم تتساهل الدولة العثمانية في ذلك وهاجمت الدروز بحملة كبيرة بقيادة المشير حسين فوزي حيث أحرقت الثعلة واتلفت زرعها وفرضت قبول تطبيق النظام الاداري الذي نص عليه الصلح السابق وعينت ابراهيم الاطرش مكان سعيد تلحوق.

التحولات الاجتماعية:

بعد حملة قبرصلي باشا عام ١٨٥٢ م وفرض تأدية الضرائب المتأخرة توجهت الانظار نحو واكد الحمدان راغبة اليه دفع الضريبة من القلاط الذي يضعه على البدو سيما وأنه لم يكن له دور يذكر في مواجهة الحملة بل برز اسماعيل الاطرش الذي انتصر على الاتراك كقطب وزعيم. لقد رافقت هذه الواقعة تحولات اجتماعية داخل الجبل دفعت الشعب وعلى الاخص الطبقة الفلاحية الى مواجهة المشايخ رغبة في ازالة الامتيازات والفوارق فأخذت تتوتر العلاقات بين الحمدان والشعب وصارت حوادث رفض الخضوع لمشيئة الاقطاع تتوالى كما اصطبغت بعضها بالدم مثل قتل محمد الاطرش من حبران لرسول الحمدان ورفضه مع عشيرته دفع الضريبة المعلومة الامر الذي دفع الحمدان لغزوه وسلب المواشي مما اضرم الحقد والعدوان بين العشيرتين.

ظلت الامور الاجتماعية والادارية تتفاقم داخل المجتمع الدرزي الى أن جاء عام ١٨٥٩ م وعلى أثر حادثة أمواس الحلاقة (ارسال الحمدان بائع الامواس الى اسماعيل الاطرش)، فجرد اسماعيل الاطرش على هزاع الحمدان وطرده من عرى وثبت أقدامه مكانه. استقوت بذلك الزعامة الطرشانية واستمر نجمها بالصعود حيث أتم ابراهيم الاطرش عام ١٨٦٩ م طرد واكد الحمدان من السويداء وبذلك انتقلت زعامة الجبل الى الطرشان.

شارك الشعب في شد أزر الطرشان على أمل تحقيق الاصلاحات الاجتماعية والغاء الامتيازات ولكن الطرشان أساءوا التصرف ولم يقدموا على أي اصلاح وجل ما عملوه هو نقل الامتيازات من أيدي الحمدان الى أيديهم.

أصابت الشعب خيبة أمل كبيرة وتحرك وهبة عامر وسعيد نصر عام ١٨٨٦ م للوقوف من وجه سلطة الطرشان فألف سعيد نصر على أثر اجتماع نجران حلفا من عدة عائلات قال بأنها تنتمي الى امارة بني بشر ووجه جهودها للوقوف في وجه النفوذ الطرشاني. اتصل هذا الحلف بشبلي الاطرش واستماله ضد أخيه ابراهيم كما ألف جمعيات سرية في بعض القرى تهدف الى عزل المشايخ والغاء الامتيازات الاقطاعية. بعد هذا دعا فلاحو عرمان وملح الى اجتماع بمجدل عرمان سمي (مجدل الشور) وأصدروا وثيقة حملت تواقيع اثنين وثمانين فلاحا تعاهدوا فيها على المبادىء الآتية:

* العمل على كف تعديات الطرشان والمشايخ.
* الحفاظ على مصالح وحقوق الشعب.
* التضامن الجماعي ضد أي اجراء يقوم به المشايخ بحق أي فلاح.

أدى كل ذلك الى اندلاع الثورة بين عامي ١٨٨٩، ١٨٩٠ م والتي سميت بالعامية أو حركة العامة. وقعت معارك كثيرة في هذه الثورة في البثينة ولاهتة وعراجي والسويداء وكانت حصيلة المرحلة الاولى من الصراع عام ١٨٨٩ م لمصلحة الفلاحين الذين سجلوا انتصارا ساحقا وأجبروا المشايخ على ترك قراهم وممتلكاتهم.

لجأ ابراهيم الاطرش الى دمشق وشبلي الى خبب وآخرون الى قلعة المزرعة العثمانية. استنجد ابراهيم الاطرش بالسلطة كونه قائمقاما فانجدته عام ١٨٩٠ م بحملة عسكرية طالبت العامة سلما بالاتفاق على الآتي:

* حقن الدماء.
* ارجاع المواشي الى أصحابها.

★ دخول القوة العثمانية والسيطرة على الجبل.
★ التعهد بالالتزام بمقررات مجدل شور.

رفض العامة هذه الاقتراحات فتحرك الجيش العثماني لقتالهم وتمكن من الانتشار وحسم الامر ووضع حلا وسطا يرضي الجميع قوامه:

★ عقد الصلح بين المتقاتلين.
★ منح الفلاحين حق التملك.
★ الغاء التسخير والترحيل وجباية الضرائب.
★ دفع المشايخ لدية القتلى وتنازلهم عن ربع أراضيهم مع احتفاظ دار عرى بأراضيها ودار السويداء بأرض آل حمدان.

أوجد هذا الحل توازنا اجتماعيا معينا وأهل الدروز للعيش في نوع من الصفاء الداخلي والتطور ولكن الدولة العثمانية لم تفسح لهم مجال الراحة فبدأت الحملات العثمانية على الجبل من جديد.

الحملات العثمانية الجديدة:

في عام ١٨٩٢م توفي ابراهيم الاطرش وخلفه أخوه شبلي في الزعامة حيث تسرع وبدأ عهده بالدخول في المنازعات مع البدو. ففي عام ١٨٩٣م اعتدى عرب الرولى على قرية عرى فجرد عليهم شبلي حملة للثأر ولكن الجيش العثماني تصدى له في الطريق وألقى القبض عليه وسجنه في قلعة المزرعة. لم يسكت الدروز على ذلك فحاصروا القلعة حتى اطلق سراح شبلي.

وجد العثمانيون أن تعيين شبلي مكان أخيه قائمقاما لن يكون لصالحهم فنقضوا الاتفاق المتبع وعينوا ضياء الخالدي من خارج الجبل ولكن الدروز لم يرضوا بذلك، فاضطرت السلطة للعودة الى تعيين شبلي. وفي عام ١٨٩٥م تجدد النزاع بين الدروز الحوارنة وأخذت عمليات الغزو والثأر تتفاعل فهجم الدروز على الحراك ولكن الدولة العثمانية أسرعت لتجريد حملة كبيرة عليهم بقيادة عمر رستم حيث تمكنت بعد معارك قراصة

ونجران والسجن وأم العلق من احتلال السويداء فجردت الدروز من سلاحهم والزمتهم بالتجنيد وعدت الحلال وطوبت الارض وفرضت الضرائب وأرهقت الشعب بالمطالب لصالح الجيش التركي ونفت الزعماء والمقاتلين.

لم تتوقف مقاومة الدروز فأخذوا يشنون الاغارات على المراكز العثمانية وأحرقوا مقر القيادة في السويداء عام ١٨٩٦م بعد أن نالهم الظلم الشديد والحيف من الدولة والحوارنة في آن معا وخاصة ما لحق بقوافل المنفيين من الاعتداء الغادر والظلم الفاضح. وفي نفس العام وقعت حرب عرمان بسبب أرملة محمد الاطرش التي أراد ان يتزوجها ممدوح باشا فصدته ولجأت الى عرمان. حرّض ممدوح باشا البدو على الدروز وأرسل عبدو أفندي لتأديب عرمان ولكن الدروز تصدوا لاخصامهم ولقنوهم درسا قاسيا. وحين علم ممدوح باشا بابادة حامية عرمان أرسل أربعة طوابير بقيادة غاليب بك ورضا بك الى القرية ولكن الاهالي أجهزوا عليها بالفؤوس والسيوف. لم يرض ممدوح باشا بهذه الهزيمة فجرد حملة جديدة بقيادة محمد علي بك وأيوب بك جندلها التعزيزات من جميع نواحي الجبل ولكن الدروز احدقوا بها من كل جانب وكسروها شر كسرة بعد أن فقدوا خيرة أبطالهم.

على أثر ذلك جردت الدولة عام ١٨٩٧م حملة كبرى مؤلفة من ثلاثين ألف جندي بقيادة طاهر باشا جمعت قواتها من كل نواحي سوريا وفلسطين واشتركت بالاضافة لذلك قوات غير نظامية من الشركس والبدو والاكراد والشوام والحوارنة.

كانت الحملة بالفعل حملة ابادة فوقعت معارك عدة في تل الحديد وقنوات وشهبا انسحب بعدها الدروز الى اللجاه وانقسموا على بعضهم بعد عرض شروط الصلح عليهم الامر الذي أوقعهم في الهزيمة فأعيدوا الى قراهم بعد أن غدرت بهم الدولة ونفت بعض القادة المشهورين منهم.

استكان الدروز ورضخوا للامر الواقع وصدر العفو العام سنة ١٨٩٨ م فعاد بعض القادة المنفيين الى الجبل حيث قرروا استئناف الانتفاضة بقيادة وهبة عامر في اللجاه وقدموا عدة مطالب لوقف الحرب هي:

* اعادة المنفيين.
* وقف التجنيد الاجباري.
* عدم استمرار الجيش العثماني في بناء القلاع في الجبل.
* الاعتراف بالقانون العشائري.

مال السلطان العثماني عبد الحميد لانهاء الصدام مع الدروز، وكان بعض التفاهم قد بدأ يتم بين الحوارنة والسلوط والدروز بعد اجتماع اللجاه العمومي فأطلق سراح يحيى الاطرش وأعيد المنفيون وأنعم على شبلي الاطرش وبعض الزعماء فاستقرت الامور قليلا.

لكن استمرار الصدامات مع الحوارنة والسلوط وعدم توقف النزاع دفع الدولة الى تجريد حملتي استقرار على الجبل في عامي ١٩٠١ و١٩٠٣ م فنجحتا بعض الشيء في تهدئة الاحوال.

توفي شبلي الاطرش عام ١٩٠٤ م وتولى الزعامة من بعده شقيقه يحيى فأراد المعجل أن يجربوا حظهم مع هذه الزعامة الجديدة ويضربوا نفوذها فوقعت المشاكل عام ١٠٩٥ م. حاول الدروز غزو المعجل مرتين الأولى في النقرة والثانية في براق فلم يوفقوا مما جعلهم مضغة في أفواه الشوام وأهل البادية الامر الذي دفعهم الى تجهيز حملة ثالثة عام ١٩٠٦ م ضربوا فيها المعجل بقوة وثأروا للهزيمتين السابقتين.

بقيت الاحوال في مد وجزر بين السلطة العثمانية والدروز حتى عام ١٩٠٩ م حيث نشب قتال بين أهالي القريا الدروز وأهالي بصرى اسكي شام السنة تطور الى اشتراك قرى أخرى من الطرفين مما دفع الدروز الى مهاجمة قريتي معربة وغصم. أثير هذا الامر في مجلس المبعوثان فقررت الدولة ارسال حملة سامي باشا الفاروقي الى الجبل وجهزت لها ثلاث قوات

الاولى عراقية بقيادة ناظم باشا والثانية من الجزيرة العربية بقيادة أمير مكة والثالثة من حوران بقيادة سامي باشا نفسه. لم تستهدف الحملة دروز الجبل فقط بل استهدفت أيضا دروز وادي التيم والبدو في جهات معان والكرك. دخلت الحملة الجبل دون مقاومة تذكر واستباحت أرضه وجردت الشعب من السلاح وفرضت الضرائب كما غدرت بالقادة بعد الامان الذي أعطته لهم فاعدمت احرارهم في دمشق الامر الذي دفع الجميع للاستكانة والرضوخ لتهويل العصا العثمانية الغليظة والسيف المشهر.

الروح الاستقلالية العربية:

ثبتت الممارسة العثمانية ضد الدروز الروح الاستقلالية والتوجه العربي فيهم، ولم تؤثر سلبيا ممارسات البدو بالتواطؤ مع السلطة كما بقي تأثير الطائفية التي أفرزتها أحداث الحكم الشهابي في لبنان محدودا وتقدمت عليه الاتجاهات الوطنية والقومية.

جاءت الحرب العالمية الاولى فوقع لبنان في مجاعة قاتلة ولكن جبل الدروز بقي في بحبوحة وشكل اهراءات للمنطقة ففتح أبوابه لجميع الفئات والطوائف مسهما في كبح جماح ضائقة المجاعة. استفاد دروز لبنان من وضع الجبل الاقتصادي وأخذت قوافلهم تصعد اليه لاستقدام المواد الغذائية الامر الذي حماهم من غوائل الجوع والتشرد. حقق هذا الازدهار تطورا اجتماعيا في جبل الدروز ولكن الطمع والحسد بقي مسيطرا في المناطق المجاورة للجبل فلم يرتح الدروز من الاعتداءات والغزو كما لم تنج قوافل دروز جبل لبنان من ممارسات قطاع الطرق واعتداءات كمائن النهب المنتشرة على المسالك. أجبر هذا الوضع دروز لبنان على حماية قوافلهم بالسلاح ودفع بعضهم الى الالتحاق بعصابات تضرب في المناطق غير الدرزية حيث شكلت النواة الاولى «للطفار أو الاشقياء» الذين قاوموا الحكم الفرنسي بعد الحرب. أما دروز الجبل فقد اضطروا لمتابعة عيشتهم السابقة في حمل السلاح والدفاع عن الحلال ورد الغزو وهذا ما قام به سلطان

الاطرش عام ١٩١٦م في غزوة العيسى احدى عشائر بني صخر ردا على اعتداءاتها المتكررة على أطراف الجبل وسلبها للمواشي وتخريبها للارض.

دافع الدروز عن أنفسهم كردة فعل طبيعية ولم يعطوا ذلك الصراع أي بعد طائفي انما عاشوا حياة بيئتهم بجميع أبعادها بحسناتها وسيئاتها بأخطارها ومشقاتها فبقيت فيهم جذوة الوطنية والاستقلال القومي متقدة عامرة بالحرارة والايمان.

انطلقت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م فالهبت مشاعر الغالبية الدرزية والتحق فيها الكثير من دروز لبنان وعلى رأسهم فئة قيادية مهمة كالامير عادل ارسلان ورشيد طليع وفؤاد سليم ونصري سليم كما هب سلطان الاطرش لنجدتها رغم وجود قلة من الآراء المخالفة في الجبل فرفع العلم العربي على بيته في القريا وسيّر حملة تربو على ثلاثة الاف مسلح لملاقاة القوات العربية في العقبة والانتقال معها الى الازرق. ولكنه تفادى الثورة داخل الجبل منعا للانقسام. وعندما تقدمت القوات العربية والجيوش الحليفة عبر درعا الى دمشق لاقى سلطان القوات العربية على رأس حملة ثانية بين درعا ودمشق وخاض معركة الشيخ مسكين والدير علي ضد الاتراك ثم دخل دمشق في طليعة الجيوش ورفع أول علم عربي فيها. تحالف الأمير فيصل وسلطان الاطرش ضد القوات التركية، وقال البعض بأن هذا التحالف جاء نتيجة اتفاق بين فيصل والدروز على اعطاء الجبل حكما ذاتيا في ظل المملكة العربية المنوي اقامتها في بلاد الشام ولكن هذا القول لم يؤكده سلطان الاطرش في مذكراته ونفى علمه به.

هزم الاتراك وظن العرب أن زمان الاستعمار قد ولى ولكن فرنسا وبريطانيا اقتسمتا التركة العثمانية في الشرق العربي الامر الذي دفع الغالبية العظمى من الدروز للوقوف ضد فرنسا وتأييد الحكم الفيصلي وقد ترجم هذا الموقف عسكريا باطلاق علي بشير أبو كامل النار في ٢٤ تموز عام ١٩١٩م على الاميرال مورني قائد البحرية الفرنسية في شرق المتوسط

عندما كان في زيارة مع بيكو الى سماحة شيخ عقل الطائفة الدرزية حسين حمادة في بعقلين فأصيب بجراح خطيرة. كذلك التحق الكثيرون من دروز لبنان ودروز الجبل بقوات الامير فيصل في معركة ميسلون عام ١٩٢٠م ونالوا معه شرف المقاومة الوطنية ضد المحتل. حاول سلطان الاطرش نجدة يوسف العظمة في ميسلون وأخذ بتعبئة دروز الجبل ولكن سرعة سيطرة الجيوش الفرنسية على الموقف لم يعطه الفرصة لتحقيق غرضه.

سيطرت فرنسا على سوريا ولبنان بموجب الاتفاق بينها وبين بريطانيا وأرادت أن تلعب ورقة الدويلات الطائفية بناء لرأي دي سيكس فأنشأت من جملة مشرعها دولة جبل الدروز عام ١٩٢١م. انقسم أهل الجبل حول هذا المشروع فأيده البعض ورأى فيه سلطان الأطرش وكثيرون قوقعة وشرذمة قومية.

أخذ العداء الدرزي لهذا المشروع يتنامي حتى وصل إلى قمته في ثورة ١٩٢٥م وذلك بسبب الممارسات الفرنسية من خرق للأعراف والتقاليد إلى السيطرة على مقاليد الحكم خلافا للاتفاقات وأخيرا إلى الظلم والتنكيل بالأبرياء حتى أصبح إيذاء هرة الضابط الفرنسي صدفة أمرا يستحق عليه الشعب عقابا جماعيا.

لم يرتح دروز لبنان في هذه الفترة فمشروع الدويلات الطائفية لم يرحمهم وكان نصيبهم العيش في ظل دويلة مارونية. أراد المسلمون الانضمام إلى الحكم الفيصلي وأرادت فرنسا جعل لبنان للموارنة وتوسيع رقعته حتى يشمل البقاع، فوقع الصراع بين الطرفين امتدادا من اللاذقية إلى جنوب لبنان مرورا بالبقاع وتصدي العلويون والشيعة والدروز للقوات الفرنسية والقرى المسيحية التي ازرتها والتي سلحها الفرنسيون لهذه الغاية. هاجم الشيعة الجنوبيون مع عرب الفاعور الذين كانوا يرتبطون بيوسف العظمة نحو ثلاثين قرية مسيحية في جنوب لبنان منها عين ابل ومرجعيون وشردوا أهلها فاقتصت منهم الدولة الفرنسية وهجرت نحو عشرين ألف شيعيا على رأسهم كامل الأسعد إلى الداخل السوري. عمل غالبية السنة من

وراء الستار ولم يحملوا السلاح بل وقفوا خلف من حملوه. لم يرض الدروز في لبنان عن مشروع الدويلات فرفضوه معبرين عن رفضهم من خلال تطوير العصابات المسلحة للعمل ضد المستعمر الفرنسي ومعاونيه من المسيحيين. قاد هذه العصابات. شجعان اسطوريون طبعت اسماؤهم في الضمير الدرزي مثل سعيد ملاعب وفندي أبي ياغي وفؤاد علامة وشكيب وهاب وأحمد هاني وأحمد البتلوني وحسن ثابت وصالح العسل وإسماعيل عبدالحق وفارس سري الدين وملحم رضي الدين وسعيد نجم الغصيبي وغيرهم الكثير من الأبطال الميامين الذين تتداول أسماؤهم وتروي قصصهم الأحاديث الشعبية.

شكلت حكومة جبل الدروز عام ١٩٣١م برئاسة الأمير سليم الأطرش ولكن الحكم الفعلي بقي في أيدي الفرنسيين مع وجود سلطات درزية صورية، وهذا ما حدا بالوطنيين للتحرك وتعبئة الرأي العام ضد الصيغة الهزيلة التي تحكم الجبل سيما وأن الثورات في شمالي سوريا أخذت تذر قرونها كحركة إبراهيم هنانو وثورة الشيخ صالح العلي اللتين قضت عليهما السلطة الفرنسية بالقوة.

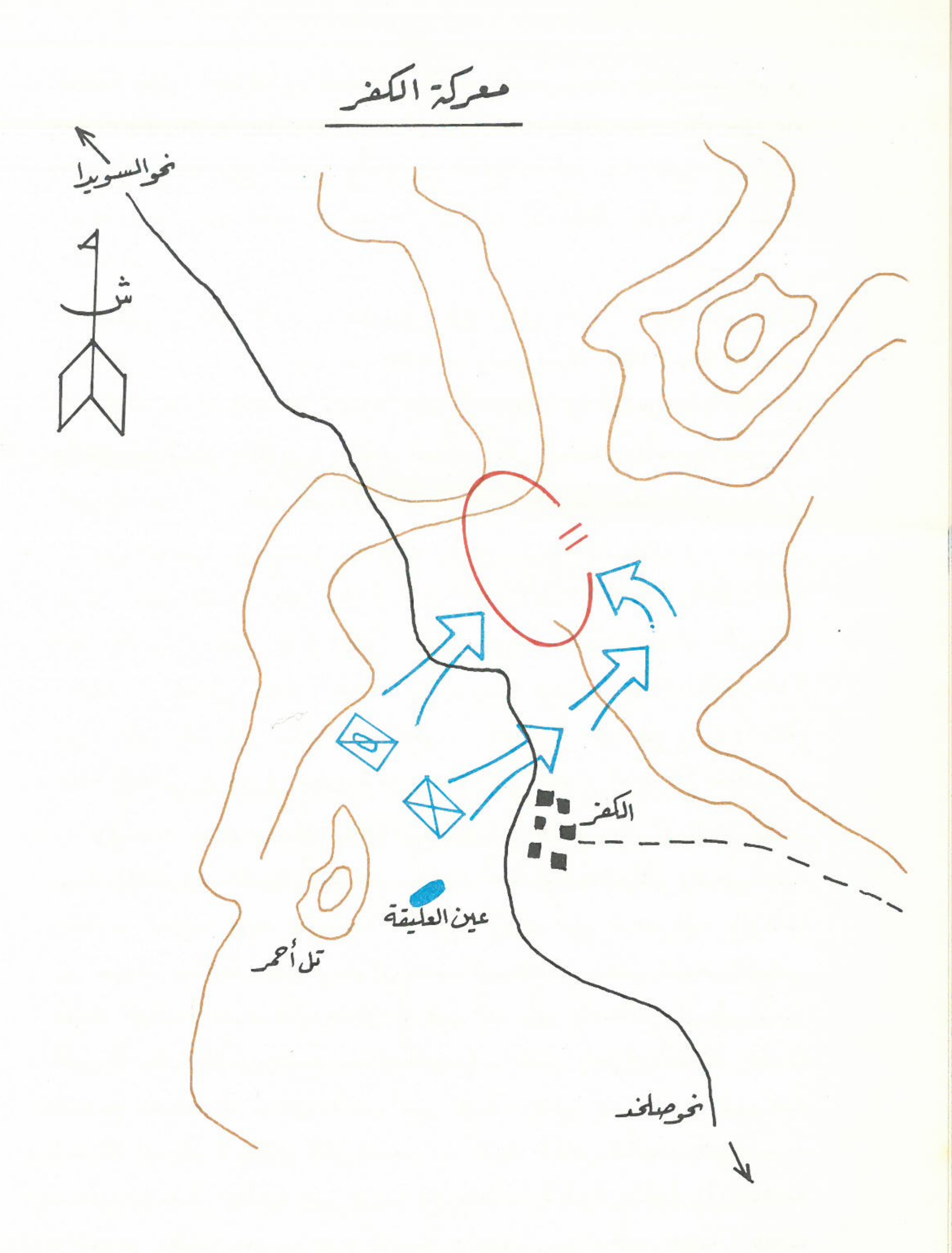
ولم يقتصر أمر العصابات ضد الفرنسيين في لبنان على الدروز اللبنانيين فقط بل شارك الشيعة في ذلك مع بعض السنة الوطنيين في حوران فنصب عام ١٩٢١م شكيب وهاب وأدهم خنجر وخليل مريود ومحمود البرازي ومحمد ضاهر وشريف شاهين ومحمود حسن كمينا في محلة «كوم الرويسة» على طريق القنيطرة للجنرال غورو حيث قتل الملازم براثات وجرح حقي العظم بينما نجا الجنرال والمقدم كاترو. لجأ أدهم خنجر عام ١٩٢٢م إلى دار سلطان الأطرش للحماية فاعتقلته السلطات قبل أن يدخل المنزل وقبل أن يراه سلطان. عرف سلطان بالأمر فطالب السلطة بإطلاق سراح من استجار به عملا بالتقاليد العربية فلم يلب طلبه فهاجم القوات الفرنسية التي أرادت نقل الأسير إلى دمشق وطوق مدينة السويداء. ورغم انتصاره الباهر لم يتمكن من الصمود بقوة صغيرة حيال القوات الفرنسية الكبيرة فجلا إلى الأردن وأخذ يناوش الفرنسيين الذين

حاولوا مرارا مخادعته واستدراجه لإلقاء القبض عليه فكان ينازلهم في معارك إغارات صاعقة وينزل بهم الهزائم. بقيت الحال على ذلك حتى عام ١٩٢٣م حيث سوي الأمر وأصدرت السلطات الفرنسية عفوا عنه وعن أتباعه وعاد إلى الجبل في مهرجان ذكرى الاستقلال بتاريخ ٥ نيسان ١٩٢٣م.

استمرت حملة الإرهاب الفرنسي على الجبل بعد أن توفي الأمير سليم الأطرش بتاريخ ١٥ ايلول عام ١٩٢٣م وتسلم الحكم مؤقتا الحاكم الفرنسي «ترنكا» حيث ثبته في منصبه الجنرال ويغان في أواخر عام ١٩٢٤م وانتقل الحكم إلى «كاربييه» الذي استأثر بكل السلطات فأصبح المسؤولون الدروز صورا لا حول لهم ولا طول.

وفي الخامس من نيسان عام ١٩٢٥م في ذكرى الاستقلال زار الجنرال سراي الجبل فتشكل وفد برئاسة الأمير حمد الأطرش لمقابلته والطلب إليه لنقل كاربييه وتعيين حاكم وطني. رفض سراي مقابلة الوفد في السويداء وقابله في دمشق حيث احتدم الجدال بينه وبينهم حول المطالبة بحاكم درزي فقال لهم بأن اتفاقية (ابو فخر - دي كية) حبر على ورق واعتقل عقلة القطامي وزجه في سجن تدمر وهدد باقي أعضاء الوفد بالاعتقال.

وفي ١٦ حزيران عام ١٩٢٥م قابل في دمشق وفد برئاسة الشيخ يوسف الهجري «المسيو أوغيست برونه» أحد نواب البرلمان وعرض عليه المطالب الدرزية فوعد بالمساعدة مما فتح الآمال أمام الوفد فقرر الذهاب إلى بيروت ومقابلة الجنرال سراي بعد الإبراق له. رفض المفوض السامي مقابلة الوفد وأنذره بمغادرة بيروت قبل أن يأمر باعتقاله. توسط الأمير أمين أرسلان بالأمر فسمح سراي للقومدان دانتز باجراء المقابلة. جاءت النتائج سلبية رغم تدخل الأمير أمين أرسلان وعلي جنبلاط فشكلت هذه الحادثة المدخل لانطلاق الثورة بعد أن كانت الحافز لتأليف جمعية سرية سميت الجمعية الوطنية التي قررت مع سلطان الأطرش اللجوء إلى المقاومة والتظاهر مطالبة بعدم رجوع كاربيية وتعيين رينو مكانه حيث انطلقت



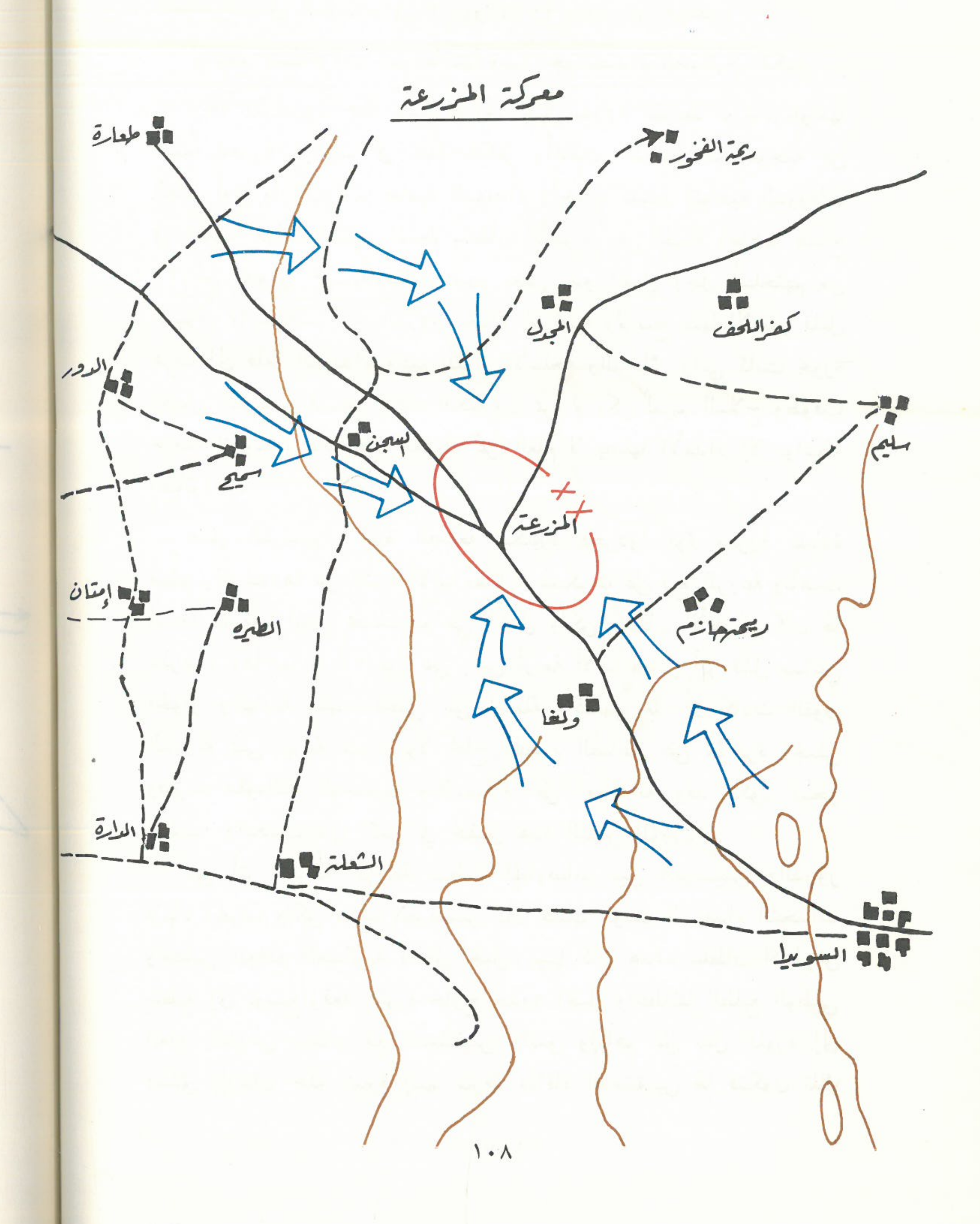
التظاهرات في السويداء في ٣ تموز ١٩٢٥م وتبعتها صلخد.

لم تنفع التظاهرات رغم تفاقمها وتهيأ الجو للصدام العسكري الكبير.

وجه الفرنسيون حملة عسكرية إلى الجبل بقيادة الضابط نورمان قوامها كتيبة معززة تمركزت في قلعة الكفر وأقامت التحصينات بتوجيه من القائد توما مارتان قائد حامية السويداء وأخذت تستعد لتوجيه الدوريات في مختلف جهات الجبل. استعلم سلطان الأطرش عن الحملة وهاجمها صباح ٢١ تموز بحوالي خمسماية مقاتل فيهم بعض بدو الجبل وجل أسلحتهم من السيوف والبلطات. اباد الدروز الحملة الفرنسية ولم ينج منها إلا نفر قليل هرب إلى قلعة السويداء وغنم الثوار الأسلحة والذخائر والتي كانت بحوزة الجيش الفرنسي فتسلح بذلك الكثيرون ممن لم يكن لديهم السلاح وطوقت حامية السويداء فأصبحت معزولة عن العالم لا يصلها الأمداد إلا بواسطة الطائرات.

حنق الفرنسيون لهذه الصفعة الكبيرة فجردوا قوة معززة بقيادة ميشو زاد عددها عن عشرة آلاف مقاتل، عسكرت على نبع المزرعة وتأهبت لمتابعة طريقها لفتح مختلف نواحي الجبل ولكن سلطان الأطرش كان لها بالمرصاد وهاجمها في ٣١ تموز على رأس أربعة آلاف مقاتل أثر فشل مساعي الحوار والمهادنة معها، فقضي على الحملة بأكملها بعد أن كادت القوى الدرزية تمنى بهزيمة كبيرة لولا نجاح الهجوم الصاعق على مؤخرة الجيش وضرب مقوماته الوجستية والاستيلاء على امداداته وقد يكون لسحر الغنيمة والكسب دور كبير في تحقيق هذا النصر المؤزر.

على أثر معركة المزرعة نشطت المفاوضات بين الفرنسيين والدروز لإنهاء الحرب ولكن هدف الفرنسيين كان كسب الوقت لاستقدام النجدات وتحصين المواقع العسكرية داخل الجبل، بينما كان هدف سلطان الأطرش يتطلع إلى توسيع رقعة الثورة خارج حدود الجبل واعطائها الطابع الوطني العام. تفاوض سلطان مع الدمشقيين واتفق وإياهم على نقل الثورة إلى دمشق بإرسال حملة كبيرة إليها شرط ملاقاة الدمشقيين لها فتكون تلك



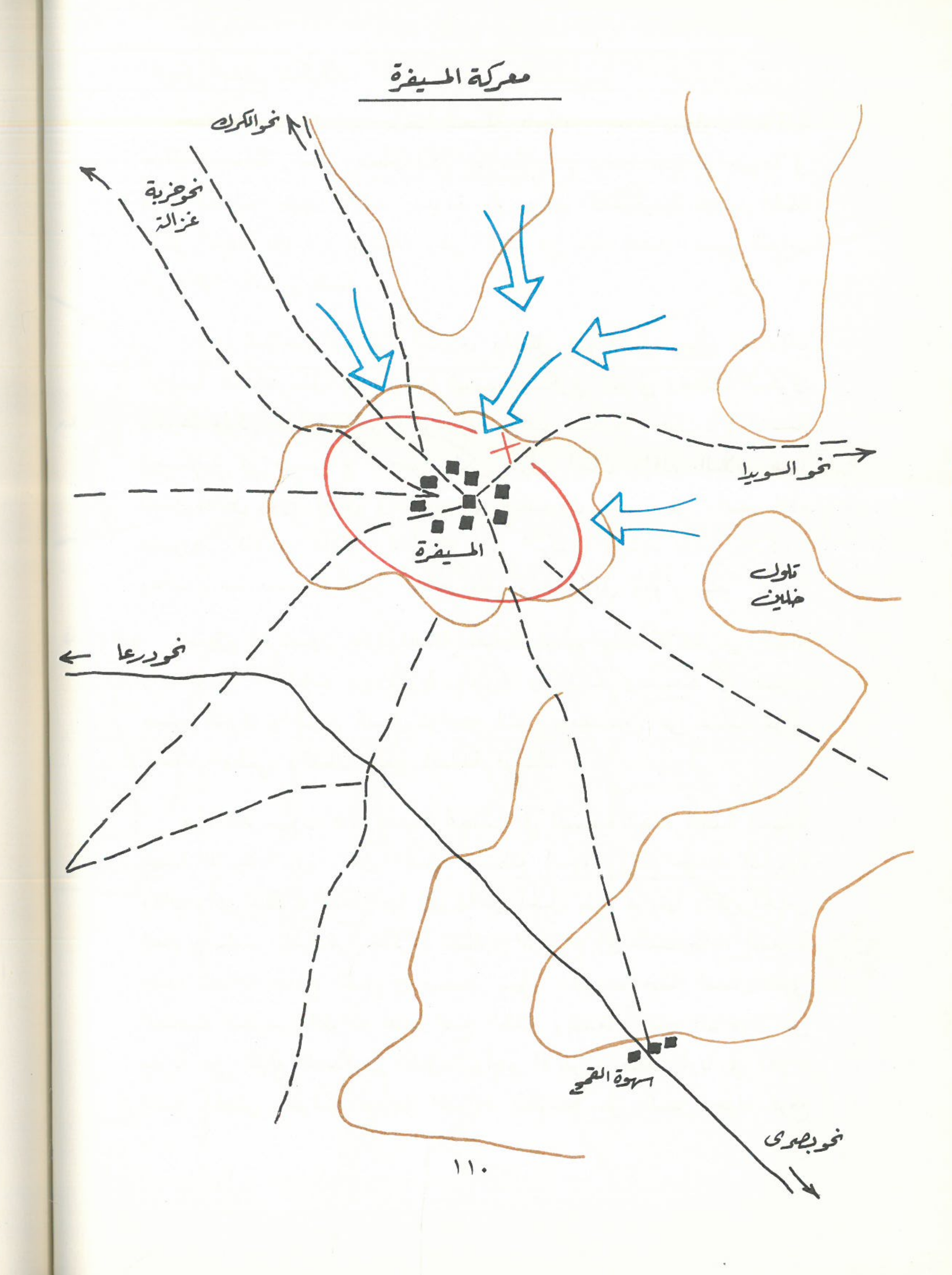
الحملة احدى تشكيلات الجيش الوطني المستقبلي.

حدد تاريخ ٢٤ آب موعدا للحملة فانطلقت بعدد يتجاوز الثلاثمائة خيال وسبعمائة راجل وهجان لكن الفرنسيين لم يغفلوا عنها فواجهوها في قرية العادلية حيث قاتلت منفردة ولم يوافها الدمشقيون حسب الخطة الأمر الذي أدى إلى هزيمتها، وعلى الرغم من ذلك تمكنت بعض القوات من دخول دمشق نفسها.

ازداد التلاحم الدمشقي الدرزي وانتقل إلى الجبل بعض القيادات الوطنية الشامية مثل عبد الرحمن شهبندر وشكري القوتلي ونسيب البكري وغيرهم ولكن هذا التلاحم لم يؤد إلى موقف عسكري أفضل لأن التعبئة العسكرية في دمشق لم تتحقق ولكن دروز لبنان وإقليم البلان هبوا للمشاركة في ثورة الجبل والتحق فيها الكثيرون منهم وعلى رأسهم قادة مشهورون كالأمير عادل أرسلان وعادل النكدي ورشيد طليع وشكيب وهاب وحمد صعب وخطار أبو هرموش وأحمد هاني وفؤاد سليم.

استغل الفرنسيون فترة الهدنة فعبأوا قواتهم وأنشأوا الحرس السيار واستخدموا الأقليات من درزية وعلوية وشركسية ومسيحية في صفوف جيش الشرق والحرس السيار لمواجهة الثورة. معتمدين على سياسة تمزيق الصف الوطني والقتال بالغير لمصلحة فرنسا.

جرّد الفرنسيون حملة جديدة تحصنت في المسيفرة، هذه البلدة السهلية تمهيدا للانتقال إلى داخل الجبل. استطلع الدروز وضع حامية المسيفرة وكان رأي سلطان استدراجها إلى داخل الجبل بغية هزيمتها ولكن الحماس العام وأسلوب القيادة العشائري اضطره للرضوخ إلى الضغوطات الشعبية فقبل بالمهاجمة خارج الجبل في منبسط سهلي. اختيرت خطة التسلل الليلي الصامت فتقدمت القوات تحت جنح الظلام وعندما أصبح المهاجمون على مقربة من الموقع العسكري اطلق إبراهيم الأطرش طلقا ناريا في الهواء فتنبه الجيش الفرنسي ووجه اضواءه الكاشفة على السهل حوله فوقع



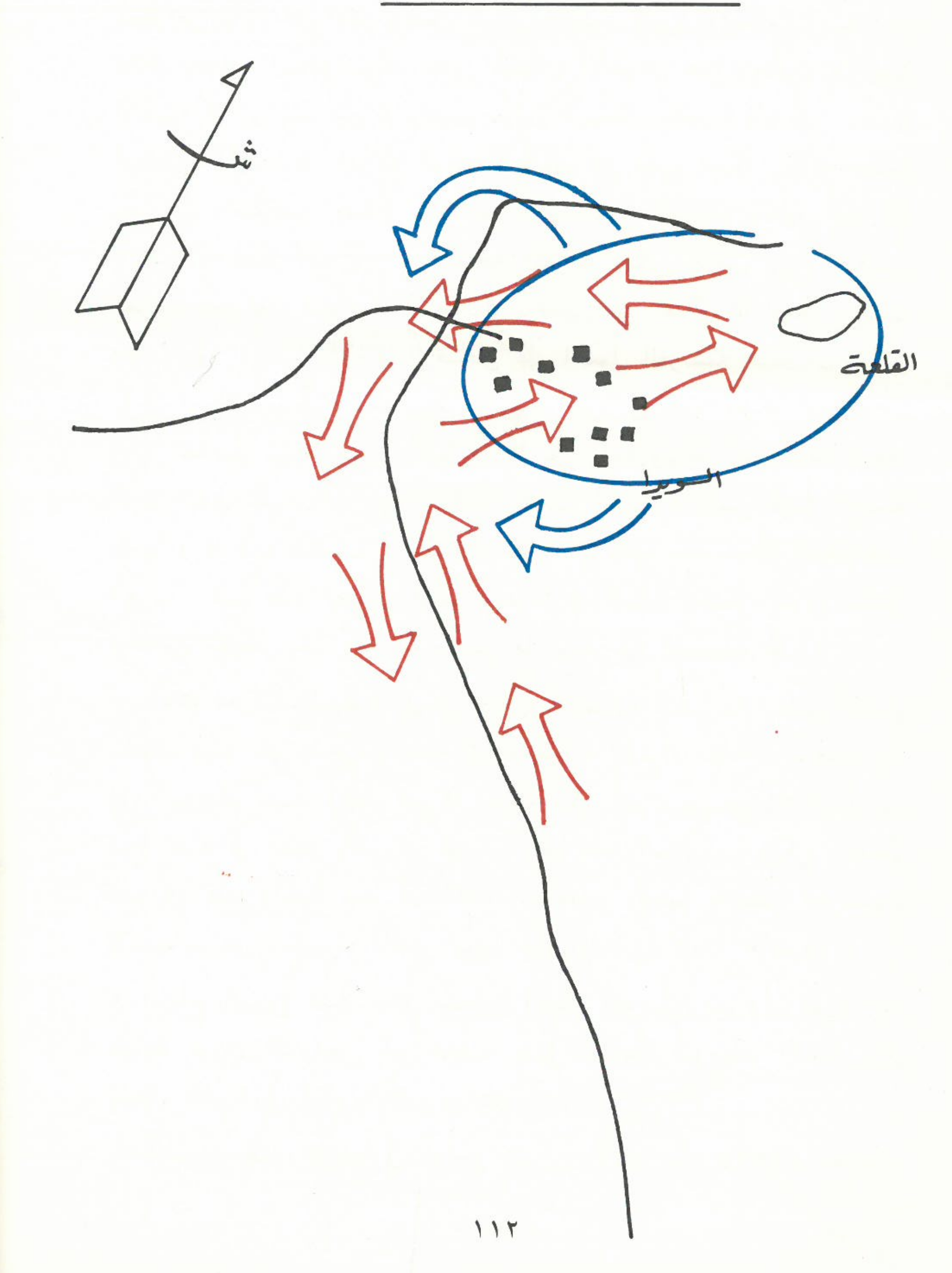
الدروز في الفخ. لقد تضاربت الأقوال حول عمل إبراهيم الأطرش منهم من عده عميلا فرنسيا أراد بفعلته تنبيه الجيش المدافع ومنهم من اعتبر عمله من باب السذاجة وحسن النية والنخوة قبيل الالتحام، ومنهم من اعتبر الحادثة صدفة سيئة. تجاوز سلطان الأطرش هذا الحادث ولم يوله الأهمية كما أن المهاجمين لم ترهبهم نيران الأسلحة الحاصدة فاندفعوا ببطولة اسطورية إلى داخل المواقع الدفاعية فمنهم من قضى ممسكا بسلاح خصمه بعد أن اخترقت جسده عشرات الرصاصات القاتلة، ومنهم من نجا بأعجوبة. سيطر الدروز على ساحة المعركة ولكن مرض روح الكسب العربية فعل فعله فتدافعوا تحت النار باحثين عن الغنائم، مما اضطر شكيب وهاب إلى المباشرة باطلاق الرصاص على الخيول الفرنسية مخافة أن تشكل عامل ارباك وتناحر. لقد سيطرت روح الغزو في هذه المعركة لدرجة أن أحد العناصر شوهد يحمل برميلا فارغا على رأسه ويدفع آخر أمامه برجله الأمر الذي يثبت أن روح الكسب كانت المسيطرة وليس قيمة الغنيمة نفسها وربما لأن الكسب في المعارك مهما كان تافها يعد مدعاة للفخر عند العرب. جميع هذه العوامل فشلت المعركة في النهاية وخسر الدروز مئتين وخمسين شهيدا بينما وقع للفرنسيين ما يزيد عن الخمسماية قتيل.

أدت معركة المسيفرة إلى تراجع في التعبئة الدرزية، فقل أنصار سلطان بينما جهزت فرنسا حملة كبيرة بقيادة الجنرال غاملان توجهت بها إلى السويداء حيث وقعت معركة رهيبة تمكن الفرنسيون في ٢٤ ايلول من فتح ثغرة في الجهاز الدرزي فوصلوا إلى قلعة السويداء، ولكن الضغط الدرزي عاد واشتد بعد أن تمالك المدافعون روعهم فاضطر الفرنسيون للانسحاب من السويداء ناقلين معهم حاميتها التي كانت محاصرة.

ارتاح الدروز قليلا بعد انسحاب الحملة الفرنسية سيما وأن ثورة حماة بقيادة فوزي القاوقجي قد خففت عنها الضغط فتوجهت الانظار إلى اشعال الثورة في إقليم البلان ووادي التيم.

أرسلت حملة الإقليم في أواخر تشرين الأول عام ١٩٢٥م فخاضت

معركة السويدا الاولى



معارك عدة في مجدل شمس وجوارها، بعد أن أنجدت قرية قلعة جندل التي اعتدى على أهلها الجيش الفرنسي وقتل منهم الكثيرين. كان هدف الحملة يدور حول ثلاثة نقاط هي:

* تخفيف الضغط العسكري عن الجبل وغوطة الشام بعد أن تم إشعال النار في الغوطة.

* تطمين دروز إقليم البلان ووادي التيم بعد أن أخذت القوات الفرنسية تسومهم الخسف والظلم مستعدية عليهم السكان المسيحيين خاصة وأنها أخذت تنزع سلاح الدروز وتسلح به جيرانهم المسيحيين.

* الإلتفاف في سهل البقاع نحو طريق بيروت ودمشق لقطع الامداد عن القوات الفرنسية في الجبل.

بعد توطيد الأوضاع في إقليم البلان تقدم جزء من الحملة الدرزية إلى وادي التيم حيث خاض عدة معارك شرسة ضد القوات الفرنسية فاحتل قلعة راشيا وخرج منها ثم واجه الفرنسيين في معارك غير حاسمة في الفالوج وكفرمشكي تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة. خاف الفرنسيون من مغبة استفحال أمر الدروز في البقاع فعبأوا لمواجهتهم قوات كبيرة كما استقدموا بطرس كرم مع ستمائة عنصر من شمال لبنان إلى مرجعيون وحرضوا المسيحيين المحليين على التصدي للدروز فأخذوا ينصبون الكمائن لهم قرب برغز، ولكن النتائج العسكرية كانت دائماً لصالح الدروز وهذا ما أدى إلى حرق الدروز لكوكبا واحتلال مرجعيون بالقوة بعد أن هرب بطرس كرم وأتباعه منها. نزل زيد الأطرش عند رغبة الأمير فؤاد أرسلان فلم يتابع زحفه في الجنوب اللبناني ولم يتقدم إلى الشوف وانسحب إلى راشيا والعقبة ولكن السلطات الفرنسية طاردت الحملة الدرزية بقوات غفيرة فاحتلت العقبة ونكلت بأهلها كما أن استشهاد العقيد فؤاد سليم في إقليم البلان كان من أسباب الإنسحاب بعد أن قوي التحرك الفرنسي في جبل الدروز.

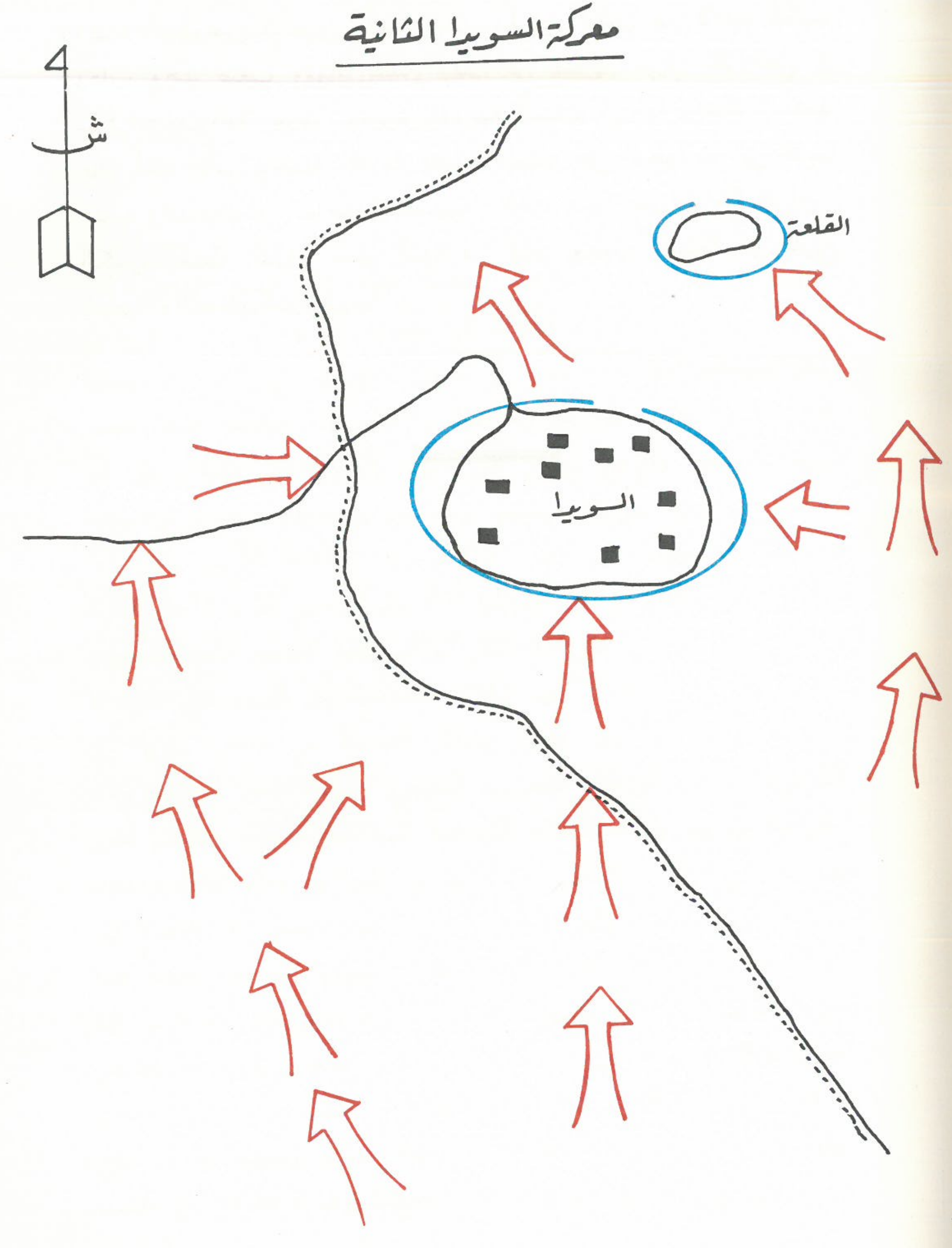
حشدت فرنسا قوات كبيرة واجهت بها سلطان الأطرش فاضطر عام ١٩٢٦م اثر معركة صلخد والمناوشات التي تلتها ومعركة السويدا الثانية إلى الإنسحاب إلى الأزرق في الأردن ومن ثم إلى قريات الملح ووادي السرحان في السعودية بعد اتفاق بريطانيا وفرنسا على شل حركته وضبط تحركاته، وبذلك فشلت ثورة وطنية كبرى بعد أن خذلتها قطاعات كبيرة من الشعب السوري ولم تقدر قيمتها تحت رهبة الخوف من ظلم الدولة المنتدبة وتحت ضغط الشقاق الداخلي الذي خلفته فرنسا بين الدروز والأقليات الأخرى وبين الدروز أنفسهم.

كانت ثورة سلطان الأطرش ثورة وطنية استقلالية عربية المنحى والهوية تجاوزت النهج الطائفي ووقفت ضد مصالح الدروز الآنية التي زينتها لهم فرنسا وذلك بعقلانية وطنية قومية تعي المصالح الحقيقية للأمة وللشعب دون تمييز بين دين ودين ومذهب وآخر.

جاءت ثورة ١٩٢٥م حركة شعبية التقى فيها دروز لبنان بدروز سوريا حول توجه وحدوي عربي متجاوزين الحزازات الطائفية التي زرعتها التصرفات الشهابية في لبنان والعثمانية في سوريا ولكن نهجهم التقدمي هذا لم يلق النظرة الواعية والآذان الصاغية فهدرت الطاقات وجرحت التطلعات الوطنية القومية على أيدي الطائفيين أنفسهم بمعاونة فرنسا وانكلترا فبقي الشرخ الوطني عميقا وبقيت الفئوية مسيطرة على الشعب.

كانت التجربة العسكرية ناجحة وأثبتت أن الشعب هو مصدر القوة وما من قوة طاغية بقادرة على كبت أماني الشعوب والتحكم بمصائرها مهما بلغت سطوتها وعتو جبروتها لأن صلابة الإرادة هي الأساس في كل عمل عسكري شعبي.

ودارت الأيام فوقعت حرب فلسطين عام ١٩٤٨م وقامت الدول العربية لمواجهة الخطر الصهيوني، فما كان من دروز لبنان وسوريا إلا أن تحسسوا الخطر المحدق بالمصير القومي فهبوا كفئة اجتماعية مميزة والتحقوا بكثافة بجيش الإنقاذ الذي قاده فوزي القاوقجي حتى طغى عددهم على



اعداد المتطوعين الآخرين فأبلوا البلاء الحسن واشتهر من قادتهم شكيب وهاب وحمد صعب ومفيد غصن وقد أقر بفضلهم فوزي القاوقجي في مذكراته بصراحة. هزمت الجيوش العربية لأسباب سياسية وعسكرية أهمها عدم أخذ الأمر بالجدية اللازمة فأسدل الستار على البطولات التي قدمها القادة والمقاتلون في الساحة الفلسطينية وطغت عليها صور تواطؤ الرؤوس الكبيرة فغمط الدروز حقهم أسوة بمن غمط وطويت صفحة من تاريخ النخوة والنضال الدرزيين.

تكوين المسألة اللبنانية

إن المسألة اللبنانية لم تتكون مع ولادة لبنان الحديث بعد الحرب العالمية الأولى ولكن جذورها السحيقة تعود إلى الفتح العربي. كان المسلمون يرغبون في تحول الجماعات التي يفتحون بلادها إلى الدين الإسلامي ولكن مسيحيي لبنان لم يرغبوا في تبديل دينهم ولم يستسيغوا أن يعيشوا أهل ذمة وأقلية لا حول لها ولا طول في ظل دولة إسلامية فتية تتحضر للتوسع والتطور والرقي سيما في ظل العهدة العمرية التي ضيقت على غير المسلمين وأجبرتهم على ألا يتشبهوا بالمسلمين في التكلم واللباس والأسماء. لقد عبر المسيحيون عن رفضهم لواقعهم أبان الخلافة الأموية بالإرتباط بالروم وإثارة القلاقل والفتن فشكلوا أداة بيد الأجنبي تخرب داخل الدولة الإسلامية وما ثورة المنيطرة إلا المثل الواقعي لهذا التوجه. تابع المسيحيون مسيرتهم على هذا الخط في عهد الخلافة العباسية وفي العهود التي تلتها مما دفع العباسيين إلى نقل بعض القبائل العربية من داخل سوريا إلى الشاطىء اللبناني لمواجهة التخريب المسيحي وحماية الثغور من الغزوات الخارجية وبذلك ولدت الإمارة التنوخية تلبية لحاجة أمنية وتنفيذا لدور عربي إسلامي. وكرت السنون وبدل التاريخ كثيرا من معالم الممالك والدول على الأرض اللبنانية ولكن الخط المسيحي بقي مستمرا في التطلع إلى الخارج والإنعزال عن الكيانات الإسلامية المسيطرة. وزادت أهمية هذا التيار بتعاقب الهجرات المسيحية من الداخل إلى جبل لبنان هربا من ظلم بعض الحكام وتعززت بهرب الموارنة من وادي العاصي إلى وادي قنوبين في الشمال. كذلك كان لسياسة الأمير فخر الدين المعني الثاني أثر كبير في رفع شأن المسيحيين وإبرازهم كقوة فاعلة حيث وطنهم بين الدروز واستخدمهم في جيشه واقتصاده من خلال صيغة وطنية جامعة، كما قدمت

علاقات الأمير الطيبة بالغرب الغطاء والحماية المعنوية اللازمة للإزدهار المسيحي وتطوره في ظل الحكم المتسامح.

ترسخ ارتباط مسيحيي لبنان بالغرب بعد ارتباط الموارنة بسلطة الفاتيكان إثر الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٨٠م ثم بدء الاعتراف بكاثوليكية الكنيسة المارونية في مجمع ١٧٣٦م، وتأكيده في مجمع سيدة اللويزة عام ١٨١٨م وافتتاح المدرسة المارونية في روما. وأخذت أواصر العلاقات تنمو تدريجيا مع نمو مصالح الغرب وتطلعاته إلى تحسين مواقعه الاقتصادية والتجارية والسياسية في أرض السلطنة العثمانية هذا وقد وجه ملك فرنسا لويس التاسع عام ١٢٥٠م رسالة إلى امير الموارنة جاء فيها «أننا مقتنعون بأن هذه الأمة التي نجدها منظمة تحت اسم مار مارون هي جزء من الأمة الفرنسية». وازداد النفوذ الأجنبي وضوحا فيما بعد عندما تكثّفت الإرساليات الأوروبية بعد هرم الدولة العثمانية، ووصفها برجل أوروبا المريض. وتبلور هذا التيار في صيغ الحماية الأجنبية فقدّمت فرنسا التي نشطت للعمل في منطقة الشرق الأوسط الحماية للموارنة، وتكرّست هذه الحماية عبر العصور في أشكال مختلفة. بدأ ذلك في معاهدة ١٥٣٥م ثم تأكد عام ١٦٤٩م على يد لويس الرابع عشر في كتاب للبطريركية المارونية وجدده الملوك من بعده حتى أصبح عام ١٨٤٠م تقليدا فرنسيا.

وجاءت أحداث الحكم الشهابي وغزو نابليون بونابرت لمصر، ومن ثم غزو محمد علي باشا لبلاد الشام لتؤكد ارتباط الموارنة بفرنسا وازدياد عصبيتهم في تكريس انفصالهم عن جسم الدولة العثمانية. عمل الشهابيون الذين تنصّروا في هذا الاتجاه، وظاهروا النفوذ الماروني على النفوذ الدرزي في الجبل، فزادوا على المسألة الشرقية مسألة لبنانية داخلية.

وجاءت أحداث ١٨٦٠م فتكرست الحماية الفرنسية للموارنة بالممارسة العسكرية وثبتت في نصوص الاتفاقات حماية الدول الأوروبية للمسيحيين بعد أن أنزل الفرنسيون في جونية ستة آلاف جندي عملوا على الانتقام من الدروز وتدمير منازلهم.

أدى كل ذلك إلى بروتوكول ١٨٦٤م الذي وضع للبنان صيغة مارونية درزية ذات ارجحية مارونية. إستكان الدروز ورضخوا للأمر بعد أن لمسوا التحيّز الدولي ضدهم، ولكن الموارنة لم يقبلوا به وأخذوا بدفع من فرنسا يطالبون بنفوذ أكبر واستقلالية أكثر وعلى رأسهم رجال الدين الذين لم يظهروا على الساحة، بل أخذوا يعملون في الخفاء لدفع القادة السياسيين للمطالبة بالحكم الماروني، وهذا ما دفع يوسف كرم إلى الحلم بحكم لبنان، ولكن الدولة التركية تصرّفت معه بحزم فاضطر للعيش منفيا خارج لبنان.

وجاء القرن العشرون فتأجج التيار الاستقلالي الماروني بعد ولادة حزب تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م وعلى أثر مجازر الأرمن في حلب وتركيا عام ١٩٠٩م في هذا الجو ولدت في الساحة التركية ثلاثة تيارات مختلفة أولها التيار الطوراني الذي ينادي بالتتريك والمركزية القومية، وثانيها التيار القومي العربي الذي ينادي بفصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية أو باتباع اللامركزية على الأقل، وثالثها التيار المسيحي اللبناني الذي انخرط في صفوف التيار العروبي ظاهريا ونادى باستقلالية أكبر عن جهاز الدولة التركي وباصلاحات إدارية. وفي عام ١٩١٠م تشكلت المطالب اللبنانية، والتي كانت في الواقع مطالب مسيحية لأن دور الدروز وباقي الطوائف في هذه المرحلة لم يكن قياديا فجاءت من النقاط الآتية:

★ فتح مرفأ جونية للسفن الأجنبية كمرفق اقتصادي لتجارة الجبل وكانت الدولة العثمانية تصر على بقاء بيروت المرفأ الأساسي للمنطقة كلها.

★ رفض مشروع إصدار الهويات التركية والمطالبة بهويات لبنانية خاصة تكرس استقلالية الجبل.

★ رفض فرض الدولة للضرائب الجديدة.

★ رفض الخدمة الإجبارية لغير المسلمين الساكنين خارج الجبل ورفض ضريبة دفع البدل مع استمرار اعفاء الجبل من الخدمة العسكرية.

وبقي الوضع على هذه الحال حتى عام ١٩١٢م حيث انتهى حكم

فرانكو باشا فهب مجلس الإدارة بدعم من فرنسا يطالب باصلاحات إدارية جديدة منها:

* رفض الاشتراك في انتخابات مجلس المبعوثان.
* تحويل المجلس الإداري من هيأة استشارية إلى هيأة تشريعية.
* توسيع أرض المتصرفية.

حيال هذا الوضع بقيت البلاد بدون متصرف لمدة سنة تقريبا وحكم البلاد نائبه سعدالله الحويك شقيق البطريرك الأمر الذي زاد من قوة الموارنة ومن إصرارهم على مطالبهم فاضطرت تركيا لتعيين متصرف جديد وتعديل بروتوكول ١٨٦٤م بإدخال بعض الإصلاحات عليه وهي:

* زيادة سلطات مجلس الإدارة.
* تحسين شروط انتخاب الأعضاء.
* إضافة ممثل ماروني آخر للمجلس.
* افتتاح غرفة تجارة.
* افتتاح مرفأ في جونية للموارنة وآخر في النبي يونس للدروز.

رفضت الدولة العثمانية مطلب توسيع الأرض ولم تدخله في صلب الإصلاحات التي أقرت ولكن انهيار تركيا في حرب البلقان شجع الموارنة على عدم الاستكانة وتبني مطالب جديدة هي/

* الاستقلال التام عن تركيا.
* توسيع حدود جبل لبنان.
* وضع الجبل تحت الحماية الفرنسية.

وجاءت الحرب العالمية الأولى وحارت الشعوب التي تحكمها تركيا في أمرها ،وأخذت تتخبط خبط عشواء .اتفقت فرنساوبريطانيا على اقتسام المنطقة بينهما في اتفاقية سيكس بيكو وتعهدت بريطانيا للشريف حسين بإقامة الدولة العربية الكبرى وساعدته في ثورته عام ١٩١٦م وناقضت نفسها بالمقابل في إعلانها عام ١٩١٧م لوعد بلفور الذي يعد بإنشاء وطن قومي

يهودي في فلسطين، وأما فرنسا فقد تعهدت للموارنة بإنشاء وطن قومي مسيحي في لبنان. كانت الدولة العثمانية عام ١٩١٣م قد تمكنت من الفصل بين شيعة الجنوب والسنة في المدن الساحلية بعد أن وعدت الشيعة بالمحافظة على تميزهم المذهبي ولكنها لم تتمكن من الفصل بين السنة والمسيحيين في بيروت الذين انتظموا في حركة الإصلاح وطالبوا باستقلالية معينة لولاية بيروت ضمن صيغة تعادل بين الفريقين. بقي هذا الوفاق قائما حتى سنة ١٩١٥م حيث برز ارتباط القادة المسيحيين بفرنسا واضحا أمثال شكري غانم وندرة المطران واسكندر عمّون الذي انقلب عروبيا فيمابعد. خاف السنة من هذا الارتباط وتباعدوا عن المسيحيين، بينما قامت الدولة العثمانية بحل مجلس الإدارة في الجبل، وإلقاء القبض على بعض أعضائه ونفي الآخرين كما فرضت على البطريرك الحويك أن يحوز على تثبيت من تركيا لممارسة مهمته في سدة البطريركية وحاولت اعتقاله لولا تدخل النمسا والفاتيكان لصالحه. لم يكن للسنة في بلاد الشام في ذلك الوقت مشروع وطني معين لذلك اتجهت انظارهم صوب شريف مكة وجاراهم القسم الأكبر من الدروز في تطلعاتهم الوحدوية كما لم يخرج شيعة الجنوب اللبناني عن هذا الخط أما الروم فقد كانوا في ضياع لا يعرفون ماذا يريدون. كان الموارنة واليهود خلاف غيرهم كل يعمل لمشروع استقلالي معين، يساند الموارنة في سعيهم الدولة الفرنسية وتساند اليهود الدولة البريطانية.

انتهت الحرب عام ١٩١٨م وبدأت مفاوضات السلام فتحرك الموارنة بنشاط لتحقيق الاستقلال تحت الحماية الفرنسية ولتوسيع رقعة الجبل وجاراهم قسم من الدروز بينما نشط سنة المدن الساحلية في اتجاه الدولة العربية الفيصلية وساند هذا التيار الدروز الوحدويون. كان التياران الفاعلان سياسيا في هذه الحقبة الماروني والسني وبذلك تشكّلت النواة الأساسية للصيغة اللبنانية فيما بعد.

لقد أدى نشاط الموارنة في الاتجاه الاستقلالي إلى التنافر مع الخط الإسلامي وهذا خلق صدامات دامية بين الشيعة والدروز من جهة

والمسيحيين من جهة أخرى، الأمر الذي جئنا على ذكره آنفا في باب التحول الاجتماعي وتنامي الروح الاستقلالية.

لم توقف هذه الأمور مسيرة المسيحيين وتوجه الموارنة بكليتهم إلى مؤتمر الصلح حيث تمكنوا من تحقيق امنيتهم وإعلان استقلال لبنان الكبير على يد البطريرك الياس الحويك. إن الصورة الحقيقية للوضع لا تكتمل إلا إذا ألقينا الأضواء على بعض ما جاء في النصوص والوثائق المسطرة في تلك الحقبة وهذه مقتطفات منها.

من أول اعلان رسمي لاستقلال لبنان في ٢٠ ايار ١٩١٩م:

* المناداة باستقلال لبنان السياسي والإداري بحدوده الجغرافية والتاريخية واعتبار البلاد المغصوبة منه بلادا لبنانية كما كانت قبل سلخها عنه.
* جعل حكومة لبنان هذه حكومة ديموقراطية مؤسسة على الحرية والإخاء والمساواة مع حفظ حقوق الأقلية والأديان.
* إن الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنسية المساعدة تتفقان على تقرير العلائق الاقتصادية بين لبنان والحكومات المجاورة.
* مباشرة درس وتنظيم النظام الأساسي بطريقة أصولية.
* تقديم هذا القرار بمؤتمر الصلح العام.
* اعلان هذا القرار في الجريدة الرسمية وفي غيرها من الجرائد الوطنية تطمينا لأفكار اللبنانيين وبيانا للمحافظة على حقوقهم.

مجلس الإدارة.

مقتطفات من مذكرة البطريرك الحويك إلى مؤتمر الصلح في ١٩١٩/١٠/٢٥م

* الاعتراف باستقلال لبنان الذي نادى به الشعب اللبناني وحكومته في اليوم العشرين من آب ١٩١٩م.
* إعادة لبنان إلى حدوده التاريخية والطبيعية وإرجاع البقاع التي سلختها

تركيا عنه.

* ولما كان مبدأ الانتداب قد تقرر في معاهدة الصلح المبرمة في فرساي يوم ٢٨ حزيران سنة ١٩١٩م دون أن يؤثر ذلك على حقوق لبنان بالسيادة فيلتمس أيضا أن يعهد بهذا الانتداب إلى حكومة الجمهورية الفرنسية التي تتعطف بناء على البند ٢٢ من عهد جمعية الأمم بإيلاء لبنان معونتها وإرشادها.

من رسالة بعثها كليمانصو إلى البطريرك الياس الحويك في ١٠ تشرين ثاني ١٩١٩م:

* تلك المفاوضات قد أكدت لكم أيضا أن حل المشاكل وهو الحل الذي نسعى إليه في مؤتمر الصلح مطابق على وجه الإجمال لأماني الشعب الذي أنت ممثله السامي.
* إن رغبة اللبنانيين في المحافظة على حكومة ذاتية ونظام وطني مستقل تتفق كل الاتفاق مع تقاليد فرنسا الحرة.
* إن فرنسا التي بذلت كل ما في وسعها عام ١٨٦٠م لكي تضمن للبنان أرضا أوسع لا تنسى أن تضييق حدوده كما هي الآن هو نتيجة الضغط الذي أنَّ لبنان تحته زمنا طويلا.
* انني لعلي ثقة من أن التأكيدات التي أبديها لغبطتكم توافق العواطف التي حملت الشعب اللبناني في هذه المرة أيضا على طلب وصاية فرنسا على بلاده.

من قرار مجلس الإدارة بإعلان استقلال لبنان في ١٠ تموز ١٩٢٠م

فبناء على ذلك كله قد بذل هذا المجلس الاهتمام توصلا لوفاق يضمن البلدين المتجاورين لبنان وسوريا ومصالحها ودوام حسن الصلات بينها في المستقبل وبعد البحث في هذا الشأن وجد أنه من الممكن الوصول إلى ذلك بمقتضى البنود التالية:

★ استقلال لبنان التام المطلق.

★ حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل حربي.

★ إعادة المسلوخ منه سابقا بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سوريا.

★ المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلسي نواب لبنان وسوريا.

★ يتعاون الفريقان في السعي لدى الدولة للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمان أحكامها.

الوصايا العشر من الدولة الأم إلى أبنائها المخلصين/

وهي ترجمة للمنشور الذي وجد صدفة في دير صليما مكتوبا بالفرنسية عام ١٩٢٠م.

يا أبناء يسوع المسيح يا من صبرتم على الذل والهوان عبر القرون دفاعا عن عقيدتكم، أيها الشرفاء الأطهار لا تنسوا هذه الوصايا العشر/

أولا/ إن هذا الوطن لم يخلق إلا لكم حتى تجمعوا شملكم وتباشروا حريتكم بعد الحرب التاريخية فاعلموا جيدا أن كلمة لبناني معناها مسيحي أما العرب الذين جاءوا من الصحراء فيجب أن يعودوا إليها.

ثانيا/ وقد رتبنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم معيشة حسنة في هذه المنطقة مثل تمليك الأراضي والتوكيلات الأجنبية والوضع السياسي وشؤون النقد وبقي عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب وتزيدوها مع الأيام.

ثالثا/ جاهدوا للسيطرة على المصايف وأمور السياحة وامتلاك ساحل البحر وأخرجوهم من قراكم كلما اصبحتم اغلبية، ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة أخرى غير بيروت بحيث لا يكون فيها

مسلمون وذلك عندما تسنح الفرصة.

رابعا/ عليكم بأسباب القوة من رياضة وسلاح وتنظيمات للشباب واهتموا بالجيش، وعليكم بكتمان أموركم والوثوق من سلامة صفوفكم لأن المعركة مع الأعداء مستمرة وطويلة وهم يطوقونكم من كل ناحية.

خامسا/ احرصوا على الزعامة الأدبية كنشر الكتب والسيطرة على النقابات والاتحادات ولا تعترفوا بأن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين وحدهم، وحاربوا بلا هوادة الأشخاص والأفكار التي تعاكس اتجاهكم.

سادسا/ إن الاختلافات المذهبية بينكم يجب أن لا تخرج عن النظرية والسطحية لأن حياتكم مرهونة باتحادكم أمام العدو الكافر ولكنكم أبناء يسوع الذي علمنا المحبة.

سابعا/ ادرسوا دائما مخططات الآخرين وتداخلوا معهم لتعرفوا ما عندهم ولا مانع للبعض من التظاهر بتأييدهم عند الضرورة ولكن على كل واحد أن يبقى مرتبطا برؤساء كنيسته ولا يعص أوامر الآباء المخلصين لكم.

ثامنا/ ارفعوا رؤوسكم وشعاركم في كل مكان مرتفع، واعلموا أن كل القوى الجبارة في العالم الحر تساعدكم وتقف إلى جواركم في أسرع وقت بطلب وبدون طلب ولكن عليكم أن تتصرفوا كأنكم لا تعرفون ذلك.

تاسعا/ اجتهدوا في التقرب من ملوك العرب وأمرائهم بالخدمات الطبية والخدمات الشخصية فهذا شيء سهل جدا ولكنه يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ويدر عليكم أموالا طائلة ونفوذا كبيرا حتى في البلاد المستعصية عليكم.

عاشرا/ إن معركة الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية فدققوا كثيرا في ذلك واهتموا بإخوانكم المغتربين والذين نزلوا عليكم من البلاد الأخرى

لتحتفظوا بحقوق الأغلبية المقررة لكم وإلا ضاعت كل الجهود.

(انتهت)

نجح البطريرك الحويك في باريس وأعلن استقلال لبنان في الأول من ايلول عام ١٩٢٠م بعد أن ضرب الجنرال غورو الأماني العربية في ميسلون في ٢٤ تموز من نفس العام على اثر التقارب الذي حصل بين مجلس الإدارة في الجبل وفيصل بعد أن حمل إليه رياض الصلح موافقة أعضاء المجلس السبعة على التوقف عن المطالبة بالإنتداب الفرنسي مقابل اعتراف فيصل وحكومته بالاستقلال التام للبنان. أغضب هذا الموقف الفرنسيين ودفعهم إلى ملاحقة اعضاء المجلس ومن ثم حله في ١٢ تموز ١٩٢٠م واستباق التطورات بخلق كيان تحت الهيمنة الفرنسية، فولد الوطن المسيحي المرتكز على المارونية السياسية كايديولوجية، وتعزز هذا الكيان باعلان دستور للبلاد عام ١٩٢٦م نص في احدى مواده على اعتماد الطائفية كاسلوب حكم موقت، ولكن الموقت أصبح الدائم الاساسي في حياة لبنان.

اختير رؤساء مسيحيون للجمهورية ولم يكونوا من الموارنة فقط حيث خفف هذا التصرف من حدة المارونية السياسية في نظر المسلمين وساعد على جمع كلمة الصف المسيحي واستنهاضها للدفاع عن هذا الكيان المستحدث. ولما جاء التهديد الاسلامي فيما بعد على يد الشيخ محمد الجسر عطل الفرنسيون المجلس النيابي ومنعوا وصول الشيخ الى سدة الرئاسة ليبقى الحكم اللبناني للمسيحيين كما جاء في الوصايا العشر التي أصبحت دستور المارونية السياسية ومنهجها في كل توجه وتصرف.

بعد اعلان الدستور واستقرار البلد نسبيا ازدهرت عدة تيارات سياسية تمحورت في مجملها حول التوجهات الرئيسية الآتية:

* التيار العروبي المنادي بالاتحاد مع سوريا وكان يتمثل بالفكر السني الوحدوي.
* التيار المنادي بالارتباط بفرنسا وتمثل بغلاة الموارنة الانعزاليين والانفصاليين.

* التيار الاستقلالي وانقسم الى ثلاث فئات:

١ - الفئة التي نادت بالاستقلال مع الارتباط المميز بفرنسا ومثل هذا التيار حزب الكتلة الوطنية الذي تزعمه اميل اده.

٢ - الفئة التي نادت بالاستقلال مع ارتباط بالداخل العربي كحزب النداء القوي.

٣ - الفئة التي نادت بالاستقلال التام والحياد كحزب الكتائب اللبنانية الذي تأسس سنة ١٩٣٦م والذي انطلق من خلفية مارونية بحتة.

تفاعلت هذه التيارات فنجح الحزب الدستوري في تحقيق الاستقلال بعد أن صاغ معادلة وسطية تقول باستقلال لبنان ذي الوجه العربي الذي لن يكون للاستعمار ممرا أو مقرا.

لقد تأثرت معظم التيارات المسيحية بفكر ميشال شيحا الاستقلالي الليبرالي، الذي صاغ الايديولوجية اللبنانية على أساس الكيانية الاستقلالية للوطن اللبناني منذ العهد الفينيقي، كملجأ للأقليات المضطهدة والهاربة من الخضم الداخلي، والتي تعيش في ظل نظام اقتصادي حر يدور حول الوسيط غير المنتج وفي ظل نظام سياسي طائفي تطور في عقد اجتماعي بين الطوائف نحو كونفدرالية محاولة اعطاء هذا الكيان بعدا تاريخيا. أما حزب الكتائب فقد ولد مسيحيا للتعبير عن أماني هذا الطرح ملتزما بالوصايا العشر وعاملا على تحقيقها. ومن غريب الصدف أن كل من اميل اده مؤسس حزب الكتلة الوطنية وبشارة الخوري مؤسس الحزب الدستوري قد أيد ولادة حزب الكتائب للعمل كظهير للدولة في تكريس مسيحية البلاد رغم ما كان عليه الحزبان من خلاف في النظر الى الارتباط بالعرب وفرنسا وهذا ما يثبت الاجماع الماروني الضمني على هوية الوطن المسيحية ووقوفه على بعد مدروس من القضايا العربية.

على كل حال تحقق استقلال لبنان عام ١٩٤٣م وانتصر نهج الحزب الدستوري على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد أن تمكن الدستوريون من استقطاب قسم كبير من السنة والشيعة والدروز فضلا عن حزب

الكتائب الماروني وبعد أن وقفت بريطانيا الى جانب الاستقلال مجبرة فرنسا على التراجع عن رغبتها في البقاء في لبنان سيما وأن القوات البريطانية كانت هي المسيطرة في المنطقة بقيادة الجنرال سبيرس الذي لعب دورا كبيرا في اخراج المعتقلين من راشيا وتحقيق الاستقلال اللبناني.

هذا ولم يكل الاكليروس الماروني عن التحرك لصالح المارونية السياسية فبعث البطريرك انطوان بطرس عريضة برسالة الى الدول المجتمعة بعد الحرب العالمية الثانية جاء فيها: «لا بد من اعلان أماني المسيحيين في الشرق اذ تتحضر الدول الكبرى لتقرير السلام وتأمين سعادة الشعوب كلها». ولم يتوقف تدخل الاكليروس الماروني عند استقلال لبنان وتسلم الموارنة للرئاسة بل بقي نهجا تقليديا يقوم به البطريرك والكهنة بصورة مستمرة لترسيخ أقدام المارونية السياسية في البلد كلما وجد ذلك ملائما وأدل شيء على هذا الوثيقة التي أرسلها المطران مبارك عام ١٩٤٨م الى الامم المتحدة وعنوانها «لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الادني».

اذن ولدت الصيغة اللبنانبة الجديدة عام ١٩٤٣م بجناحين الاول ماروني والثاني سني مع أرجحية مارونية واضحة وانهزمت صيغة ١٨٦٤م المارونية الدرزية رغم دور الدروز البارز في احداث ١٩٤٣ بقيادة الامير مجيد ارسلان واستضافتهم للثورة الوطنية في بشامون والدفاع عنها بدمائهم وسلاحهم. لقد جاءت الصيغة الجديدة تطورا للعرض الذي حمله رياض الصلح من مجلس الادارة الى الملك فيصل عام ١٩٢٠م فقالت بلبنان الوطن المستقل صاحب الوجه العربي الذي لن يكون للاستعمار ممرا أو مستقرا، وبذلك نجح التيار السني الساحلي في اثبات وجوده النسبي في نطاق الاستقلال رغم هزيمته في مجال الطرح العروبي الوحدوي.

بدأت تجربة لبنان في الحكم المستقل ولكن الخلفيات التي جئنا على ذكرها في هذا الفصل عرقلت المسيرة ومنعت الانصهار الشعبي والتوحيد الوطني وفتحت الابواب مشرعة على كل طارىء وزرعت بذور الفتنة في رحم الصيغة الجديدة.

عودة الى الينابيع

وعى كمال جنبلاط جذور المسألة اللبنانية وأبعادها التاريخية وأدرك نتائجها على البنية الوطنية وعرف أنه لا يمكن بناء وطن متطور على قاعدة جامدة تحمل التمايز والغبن في طياتها. رأى أن صيغة عام ١٩٤٣م التي تقول: أن لبنان جمهورية مستقلة ذات وجه عربي ليست للاستعمار ممرا ولا له مستقرا هشه غير قابلة للحياة طويلا لانها صيغت بشكل لا يرضي طموحات جميع اللبنانيين، سيما وأن الاعراف المقيدة فيها أصبحت بمفاعيلها اقوى من النصوص والاحكام الدستورية. كان هذا رأي كمال جنبلاط بالصيغة حتى قبل أن تألف حزبه عام ١٩٤٩م ورغم انه لم يكن يخرج في تصوره للبنان عن مفهوم ميشال شيحا الليبرالي التعددي الذي يرتكز على الكونفدرالية الطائفية واقتصاد الخدمات غير المنتج فكان يرى الخلاص بالتقدمية والتطور والتسوية الدائمة. لقد عبر كمال جنبلاط عن رأيه التعددي عام ١٩٥٧م في الندوة اللبنانية عندما وصف لبنان بالسجادة العجمية المتنوعة الاعراق والالوان والمزركشة وقال بأنه تجمع فسيفسائي يشكل اتحادا فدراليا للقرى والاقاليم والتقاطيع الجغرافية الطبيعية والعائلات الروحية (الطوائف) وهو لذلك بلد الشورى الديمقراطية وحكم اللامركزية، بلد الكانتونات.

أدرك كمال جنبلاط أن لبنان لن يصبح بلدا متكامل التكوين والنمو بسبب الانفصام في كينونته العائد الى الطبيعة التكوينية الحديثة للشعب ولا تزال تعوزه المثالات الموحدة وتحكمه المفارقات والانفعالات المختلفة الاهواء والميول، منها ما هو مشرّق ومنها ما هو مغرّب.

رأى لبنان أمام طريقين للحياة لا ثالث لهما طريق الانصهار وطريق

التسوية الهشة التي تحتاج الى اعادة نظر دورية بحكم تطور المستجدات والمؤثرات، وأيقن أن عوامل رفض التحديث تبقى حية في ثنايا هذا المسلك الامر الذي يضع صعوبات جمة في وجه كل تطور، لذلك اختار طريق الانصهار الشعبي والمساواة الوطنية عنوانا لحزبه.

عاد كمال جنبلاط الى الينابيع في صيغته فزاوج بين المادة والروح وانطلق الى أعماق حضارات الاديان والمذاهب ينقب عن الجوهر الروحي العرفاني ويلبسه الحلة المادية الملائمة. رجع للاسلام عامة والدرزية خاصة والمسيحية والهندوسية فجمع ووحد ثم تطلع الى الليبرالية والماركسية فالبس النظرية حلة الواقع وخرج بصيغة توحيدية جامعة أشبه ما تكون بظروفها ومراميها بحركة المذهب الدرزي وتطلعاته التوحيدية الانسانية. جاءت صيغة اشتراكية وسيطة بين الماركسية المادية وبين الاخلاقية الدينية كما كانت الفلسفة الدرزية اطارا وسيطا جامعا بين التنزيل والتأويل يسير على مسلك توحيدي ثالث.

ان فكرة الحزب التقدمي الاشتراكي الذي ألفه كمال جنبلاط تقوم على النظرية الاحدية التوحيدية العلمية الجامعة للوجود المتجلي في مسار الجدلية المتضمنة فعل الاضداد في اطار ازدواج ثنائية الابداع: الظاهر والباطن وفي تكامل لعبة تعاكس وتنافر وتجاذب قطبي في كل ظاهر ونده حيث تولد كل حركة. ان تبني الحزب لجدلية الاضداد في نهجه العلمي الحديث، جاء بالنظرية التي تقول بأن الكون في سفر دائم وحركة هادفة في بحثها عن الحقيقة وتوجه الى الله لأن الانسان في الواقع اداة مكلفة بتحويل التيار الحي الزاخر بالامكانات منذ فجر الحياة الى فكر وشعور واشراق وقيم ومحبة وجمال في اتجاه تطوري فردي وتطويري تكوري لوحدة الانسان الاجتماعية بغية تحقيق الوعي والحرية.

ان جدلية الاضداد تبقى قائمة ومستمرة طالما لم يصل الانسان الى غايته النهائية حيث يذوب في الاحدية الشاملة أي في الحقيقة الالهية الكلية. هذا المفهوم للتحرك الدائم أوجد مفهوما آخر هو التسوية المستمرة

والمتعاقبة ومن هنا جاءت فكرة التقدمية المتطورة واعتبار المواقف الحزبية وجهة نظر مرتبطة في كل خطوة تخطوها بالظرف لان التكيف مع المحيط من نهج الحياة. أخذ كمال جنبلاط هذه النظرية عن غاندي الذي يقول بأن محبته للحقيقة هي التي أرشدته الى جمال التسوية في كل أمر كذلك يرى بأن التسوية تعيش في كل برهة من حياتنا المادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية والذي يخرج عن التسوية يخرج عن عقد الجماعة. ان التسوية تفرض اصطلاح توافق يؤدي الى تفاهم ينقلب الى تقليد. والتقليد هو ماهية كل مجتمع ولكن العقل هو الذي يستعلي دائما في مجال الابداع ليسهم في خلق مجتمع جديد. هذا وتكون التسوية في وجهة نظر كمال جنبلاط لغايات ثلاث هي:

* لتأخير التحرك في مواجهة الخصم رغبة في الاستعداد.
* لاراحة الناس ردحا من الزمن.
* لكسب بعض ما يمكن كسبه كربح ظرفي استنسابا للظروف.

هذا يعني أن التسوية عند كمال جنبلاط لم تكن حلا نهائيا طالما الحياة في سفر مستمر وتبدل دائم وهو لا يقبلها اطلاقا على حساب المبدأ ولذلك ضرب بها عرض الحائط عام ١٩٧٦م وتحمل تبعة موقفه آخذا بعبارة السيد المسيح القائلة: «لم نأت لنرمي سلما في النفوس بل لكي نرمي سيفا ونثير حربا». اهتم كمال جنبلاط بالواقعية التي تشمل النظرية والاحداث وتشمل التصور لمجراها، والاحداث في نظره ليست أشياء ثابتة بل مسارات متبدلة ومتحولة على الدوام، وهكذا هي الكائنات نفسها ضمن ما يفرضه انفعالها بالمحيط التراثي الزمني والمكاني والجغرافي لا علاقات ونواميس واطارات ثابتة، لان ما من علاقة الا وهي نسبية في الوجودين الظاهر والباطن. كان كمال جنبلاط يكره الاستكانة ويمقت التقليد ويحس بان له دورا تغييريا ثوريا عليه أن يلعبه، لذلك رغب في ابراز مفهوم جاذب مشترك للوطنية اللبنانية الاقليمية في اطار احتواء وانفعال للقومية العربية ومفهومها المتطور، وايجاد قاسما مشتركا من الاماني

المصلحية للفئات الاجتماعية التي تشعر بالغبن.

كانت هذه الافكار المنطلق الأساسي لكمال جنبلاط فركز على الحرية والاشتراكية والعروبة في مبادىء حزبه وأخذ بثلاثة أسس هي التنوع ضمن الوحدة والمساواة العضوية وقيادة وحكم النخبة.

رأى في التنوع اغناء حضاريا وفكريا واقتصاديا شرط سلوك طريق التكامل ونبذ التناقض. بذلك يستقيم المجتمع اللبناني في تعددية منضوية في اطار الوحدة الام لا تتنافس بل تتناغم وتنسجم وتعضد بعضها بعضا بحيث يرفد كل تيار فاعل التيار الفاعل الآخر.

لم يؤمن كمال جنبلاط بالصراع الطبقي التاريخي وانتصار البروليتاريا واستثارة الطبقات واستثمارها باستخدامها نهجا وهدفا بل كان يرغب في محو الطبقية بين الافراد والجماعات باعتماد وحدة اجتماعية مستقرة واعية لمصيرها تسندها قوى المحبة والتطور الجامعة في وحدة تحتوي التنوعات المختلفة.

آمن كمال جنبلاط بالمساواة العضوية بحيث يعمل كل فرد واجبه ويلعب دوره داخل جسم المجتمع فللرأس دور وللقلب مهمة وللاطراف واجباتها. رأى المساواة في تأمين متطلبات الحياة والرفاه والعمل والامن والصحة ولكنه اعتقد بالدور المميز والوضعية الاجتماعية المحددة لكل فرد أو جماعة. فهمه الكثيرون خطأ ونادوا بالمساواة المطلقة المجردة لدرجة دفعت البعض الى الانزلاق في مهوى جدلية الصراع الطبقي وشرعية ظلم البروليتاريا للطبقيات الاخرى في نوع من الحقد النهم الشرس الظالم أحيانا.

أكد كمال جنبلاط على قيادة وحكم النخبة فأخذ بالتصنيف المتطور المتنامي لأعضاء الحزب من أعضاء منتسبين الى عاملين ثم الى أعضاء مرشدين وجعل حق التصويت للاعضاء المرشدين لافراز النخبة لأن الدهماء لا تعرف في معظم الاحيان ماذا يفيدها وماذا يضرها لذلك وجب اسناد القيادة للنخبة فالفرس لا تدير الفارس والجسد لا يدير النفس أما العقل

فهو الذي يجب أن يكون الحكم والحاكم. هذا بالطبع ضد مبدأ الديمقراطية البرلمانية العددية وهذا هو أساس المناداة بقانون الانتخاب النسبي للابقاء على هوية المجموعات المتنوعة داخل الوحدة.

اعتنق كمال جنبلاط مبدأ الحقد المجتمعي المتجرد لا الحقد الفردي وليد الانتهازية وفوضى التفكير العام والعادات الموروثة التي تنجم عن الفلسفة فردية كانت أم اجتماعية. رفض هذا الحقد الناتج عن الفكرانية التي تشتت الانسان المثقف وتجزىء تفرعاته وتوجهاته فيصبح في موقع الحقد المطلق والانتقاد غير المتزن لا في مقام التحليل المجرد والابداع والتقدم والانشاء. آمن كمال جنبلاط بالحقد كوسيلة اصلاحية واعتبره بالحقيقة صلاة لانه أراد الحياة والتطور من خلال التدمير والتهديم لاقامة صرح جديد يأتي أكثر لياقة بالانسان وبذلك يكون الحب والحقد زوجي الاضداد في مسيرة التناقض المستمرة وهذا يشكل اداة توحيد وتكامل وليس أداة تفرقة وانشطار.

اعتقد كمال جنبلاط بأن الحياة تفتيش عن الحقيقة التي تتمثل في النهاية بالسعادة والحرية لذلك اختار عبارة (مواطن حر وشعب سعيد) شعارا لحزبه وغاية ينشدها في تصرفه.

آمن بأن الادراك الفهمي في المستوى الزمني والمكاني للتجربة السياسية والاجتماعية لا يتم الا بالعيش المباشر وبالممارسة والاختبار وباطلاق مدى صيرورة الفعل، لذلك اتخذ نهج الممارسة أسلوب عمل فنادى بفكرة الارتباط بالأرض وأهمية العمل اليدوي والتطوعي والمؤازرة الاقتصادية والاجتماعية. اعتقد بفكرة غاندي في التجربة والممارسة فرغب باعتماد الحزب لأساليب العمل المباشر ومبدأ التضحية بالذات للوصول الى أهداف النفع العام. كذلك رأى بأن الممارسة تخلق الوعي وترتبط به جدليا وهي بالتالي الصراع والثورة في النهاية لذلك لجأ عام ١٩٥٨ م الى فرز النخبة القيادية في صفوف المقاتلين بعد القيام بالتجربة العسكرية.

كان نهج كمال جنبلاط جدليا يرتكز على النضال في صراع الأضداد فتبنى مطالب الفئات الاجتماعية المختلفة وخاصة المحرومة مطورا شعاراته حسب الغايات المنشودة والمتناقضة أحيانا. ابتعد عن التناقضات الهامشية الضيقة وتعاطف مع الانسان لأية فئة انتمى وبأية طبقة التزم.

من هذه المبادىء صاغ كمال جنبلاط قواعد مجتمعه الاشتراكي ناشدا فيه المساواة والعدالة وذلك على الشكل التالي:

★ اعتماد مجتمع الكفاية والعدل.

★ العمل لتكافؤ الفرص.

★ تقدير المبادرة الفردية.

★ احياء التراث.

★ مكافحة الطبقية والاقطاعية والتمهيد لقيام قيادات صحيحة.

★ **الالتزام بالافكار الاجتماعية الآتية:**

★★ تحديد الملكية الزراعية.

★★ تحديد علاقة العمال والفلاحين برب العمل.

★★ تطبيق الضمانات الاجتماعية.

★★ تنفيذ الاصلاح الاداري.

★ **التزام التطور أساسا لنمو المجتمع:**

★★ اعتماد العمل كأساس للانتاج.

★★ الانتاج قدر الحاجة.

★★ التوجيه الاقتصادي لا الحرية المطلقة.

★★ جعل وسائل الانتاج والتمويل والتسليف وسائل اجتماعية للانتاج لا وسائل فردية للعيش فقط.

★★ توزيع الانتاج على المستهلكين وفق قاعدة الكفاءة والاستحقاق ثم الحاجة فيما بعد في المرحلة التالية للاشتراكية العادية.

★★ تنفيذ الضمانات الاجتماعية كافة وجعل جميع الخدمات وظائف اجتماعية

شاملة خاضعة لتوجيه المجتمع تخرج عن نطاق الاستغلال والاستثمار.

هذه كانت مبادىء كمال جنبلاط وقد صقلتها تجربتا ١٩٥٢ و١٩٥٨م فأضافتا اليها أفكارا جديدة أخرى أهمها:

★ ان الجماهير لا تفكر كثيرا وليس لديها وقت للتفكير لذلك وجب تحريكها بغية عدم ترك الناس يركنون الى جمودهم النسبي التقليدي بل يجب أن تفرض عليهم حيوية الحزب في العمل والنشاط والتحرك.

★ وجوب الحضور الدائم والوقوف المستمر.

★ ان الانسان قابل للايحاء بالانفعال يتجاوب مع شرعة تداعي الافكار والمشاعر. ان الايحاء المتكرر والمتنوع والسليم يطلق طاقة التحرك الكامنة في نفوس الجماهير، وكما يفكر الانسان كذلك يصبح حسب قول الحكيم «اشتفاكرا» فالايمان يطرح الافكار المثيرة بالبحث النظري والعلمي واستشارة الجدل لحث العقل على التطور.

★ خطأ تقدير طاقة الشعب على الاستمرار في النضال والصمود وقد يكون هذا مرتبط بدورة الفلك أو بدورة في داخل هذا الانسان لأن القدرة على الصمود لا تتعدى الست الى العشر سنوات. من هنا يظهر أن كل ادامة مفرطة تولد عكسها. هذا يوجب الامساك بوسائل الدعاية والاعلام وتلوين الصراع الواحد بشتى الصور المختلفة منعاللملل مع ضرورة التكرار للترسيخ في الذهن ولكن لفترات بالاضافة الى التأكيد على خطأ تصور تكرر الحدث بالشكل ذاته.

★ أهمية الاقلية الضئيلة الفاعلة في كل عمل على مدى التاريخ.

★ استعداد الجماهير للتوحّد بالمثالات الكبرى والخروج عن سلبية الركون والجمود الى الانفعال المستعلي بالمثالات الكبرى للانسان والانصراف الى التحرك الديناميكي والى الجهاد والبطولة. ان الحرب تدفع الانسان الى الاستعلاء على نفسه وتبرز فيه الطاقات الكامنة في طبيعته الحقيقية، ففي الصدام المسلح والنضال العنيف يسهل أمر دفع الشعب للتضحية

ولكن هذا العمل المسلح يجب أن يشتمل على نشاط عمراني لكي يكسب العنف معناه ومبرراته ولكي لا تسيطر على الناس فكرة القهر والعدوان والفتك ومفهوم النصر الذي هو خدعة انانية وفردية. ان الانسان بوجه عام كائن غير عقلاني خاصة في ممارساته الحربية حيث تتحكم بحياته عوامل التبعية والتصديق والامل والكراهية. ان دور العقل من هذا المجال هو ايجاد معايير الانضباط في السلوك وتحديد مقاييس النهج المعنوي والمادي.

هذه كانت أفكار كمال جنبلاط بها انشأ حزبه وبها قاد غالبية الدروز وقسما كبيرا من الشعب في لبنان لخوض حربين أهليتين عامي ١٩٥٨م و١٩٧٥م، فكان تأثيره واضحا بينا وطبع الفترة التاريخية بطابعه، وأرسى قواعد أخلاقية وعسكرية من الصعب أن تمحى وأغنى القيم التراثية العسكرية بفكره التقدمي وخلق تحولا اجتماعيا في البنية اللبنانية قاد الحرب الأخيرة ولا يزال يحمل لواءها.

ثورة ١٩٥٨ م.

استقل لبنان عام ١٩٤٣م وتسلمت الحكم فيه الكتلة الدستورية بدعم من الدوائر البريطانية وبتدخل مباشر من الجنرال سبيرس. كان من المفترض أن تباشر الجهات الحاكمة ببناء وطن حقيقي مرتكز على أسس وقواعد قانونية ووطنية ولكنها لم تفعل بل أخذت توزع المناصب والمغانم على الاعوان والانسباء فازدهرت الوساطات والمحسوبيات ولمع نجم الشيخ سليم الخوري شقيق رئيس الجمهورية وأصبح الحاكم الفعلي للبلاد حتى أطلق عليه الناس لقب السلطان سليم. لم تعجب هذه الممارسة للحكم كمال جنبلاط ونخبة من الشخصيات السياسية وكان لم يؤلف بعد حزبه الاشتراكي وجل أفكاره تدور حول ليبرالية ميشال شيحا، فرأى بأن الاصلاح يجب أن يكون في اطار هذه الافكار وأن مواجهة اخطاء الحكم يجب أن تتم في نطاق جبهات اصلاحية معتدلة التوجه والمطالب. شارك كمال جنبلاط في جبهة الاصلاح (عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥م) ووقع عريضة الوجهاء مطالبا الشيخ بشارة الخوري باصلاح الاخطاء المتراكمة في حكمه، ودخل عام ١٩٤٧م لجنة التحرير الوطني التي حملت لواء الاصلاح من جديد برفقة عبد الحميد كرامي. لم ينفع هذا الاسلوب من العمل السياسي الاصلاحي فاختمرت في ذهن كمال جنبلاط فكرة حزبه الاشتراكي المبني على الثورة التغييرية الواعية وعلى نقل المجتمع اللبناني من فيدرالية الطوائف الى الانصهار الاجتماعي والتكامل التكافلي والتضامني. انطلق الحزب عام ١٩٤٩م ولكن كمال جنبلاط بقي على يقينه بضرورة العمل السياسي ضمن جبهات متعددة الجذور والمنطلقات ذات قواسم مشتركة في التوجهات

وخاصة لناحية الاصلاح الوطني. لهذا السبب ألف الجبهة الاشتراكية الوطنية صيف ١٩٥١م على أثر استفحال أمر بطانة رئيس الجمهورية وكثرة تجاوزاتها وتدخلاتها غير المقبولة في شؤون البلاد وفي مصالح العباد. أدى نشاط الجبهة الوطنية الاشتراكية الى استقالة الشيخ بشارة الخوري عام ١٩٥٢م بعد صدور المقالة الشهيرة التي كتبها كمال جنبلاط بعنوان «جاء بهم الاجنبي فليذهب بهم الشعب». استقال بشارة الخوري ولكنه لم يغفل عن مسألة استمرارية الحكم الماروني وعدم انقطاعه فعين خلافا للاعراف قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب الماروني رئيسا للوزراء وبذلك استلم الحكم لفترة انتقالية وريثما ينتخب الرئيس الجديد حارما السنة من التربع على دست الرئاسة ولو لفترة استثنائية وجيزة.

اتجهت جميع الانظار نحو كميل شمعون كمرشح قوي لرئاسة الجمهورية وتمكن من الفوز بالمنصب لأسباب موضوعية هي:

* كونه عضو في الجبهة الاشتراكية الوطنية.
* قسمه الشهير في مهرجان دير القمر للسير حسب مبادىء الجبهة الاشتراكية الوطنية.
* تحول غالبية النواب المسلمين لتأييده بعد أن أيده أديب الشيشكلي رئيس الجمهورية السورية.
* ارتباطاته القوية بالغرب.
* قبوله بأخذ المواثيق والعهود عليه من قبل كمال جنبلاط أمام اللواء فؤاد شهاب للسير حسب نهج وتطلعات الجبهة الاشتراكية الوطنية على الرغم من أن كمال جنبلاط كان مطلعا على ارتباطاته المشبوهة ولكن موقف أديب الشيشكلي وضع الجميع أمام الطريق المسدود وأصبح من غير الممكن انتخاب أي شخص آخر بعد أن تألب الصف الاسلامي حوله.

انتخب كميل شمعون رئيسا للجمهورية وكان الجميع يظنون أنه سيتقيّد بقسمه ومواثيقه الخطية ولكن الظن خاب وأخذ الرجل يسير في خط مغاير تماما للخط الذي رسمته العهود. تسلط على الحكم وأعلن مجموعة من المراسيم

الاشتراعية المشبوهة وشجع الرشوة والفساد وشارك محاسيبه الذين وضعهم في المراكز الحساسة في تقاضي السمسرات والرشوات وتسلم الهدايا والتقديمات من الشركات المالية والتجارية وأسهم في تجارة المخدرات والمقامرة وخلاف ذلك من الممنوعات. تبلور نهج حكمه أكثر فأكثر بعد اتحاد سوريا ومصر في اطار الجمهورية العربية المتحدة وأصبح يرتكز على القواعد التالية:

* فينقة لبنان وعزله عن جذوره العربية وترسيخ التسلط الماروني عليه.
* التوجه نحو الدكتاتورية في الحكم باسقاط المرشحين الاقوياء في انتخابات عام ١٩٥٧م بالتدخل المباشر وفرض عملاء الحكم محلهم.
* الارتباط بعجلة الغرب والانحياز لسياسة حلف بغداد ضد الجمهورية العربية المتحدة والدخول في دوامة الحرب الباردة الدائرة بين الشرق والغرب.
* التجديد لمدة رئاسة ثانية بغية تحويل النظام الى ديموقراطي شكلا ورئاسي تسلطي واقعا.

كيف انعكست سياسة كميل شمعون على كمال جنبلاط؟

كان هم كميل شمعون المباشر هو التجديد والتحول للمسير في ركاب الغرب والحكم بأسلوب تسلطي بغية تحقيق مشروعه. عرف أن هناك عقبات كثيرة أمامه وأهمها وجود الرؤوس الكبيرة لذلك قرر تنحيتها من طريقه فأجرى الانتخابات ربيع ١٩٥٧م على هذا الأساس وتدخلت أجهزته ومخابراته بشكل سافر فأسقط جميع القيادات المهمة كأحمد الاسعد وكمال جنبلاط وصائب سلام وغيرهم من الذين لهم العديد من الاتباع والمؤيدين.

كان نصيب كمال جنبلاط أن يحل مكانه قحطان حماده وان يتسلم زعامة الشوف نعيم المغبغب أثر اعتزال بهيج تقي الدين الذي لم يقبل بخوض الانتخابات النيابية ضد كمال جنبلاط على أساس تأييد التجديد لرئيس الجمهورية. وربط لبنان بعجلة الغرب تسلّم نعيم المغبغب الزعامة بعد أن

فتح له كميل شمعون أبواب الدولة، فأخذ يقرب الناس اليه بالخدمات الفردية وبالضرب على أيدي المتحمسين لكمال جنبلاط، فازداد شعبية في صفوف الدروز بشكل ملحوظ وأخذت تقام الولائم على شرفه في مختلف قرى المنطقة، وحتى داخل المختارة قرية كمال جنبلاط نفسها. أيد النفعيون الكثر نعيم المغبغب لدرجة سمحت لبعض الدروز الوصوليين بتسميته «نعيم الدنيا والآخرة»، وكان هو مع كل ذلك ماهرا في التقرب من الناس يعاملهم بالتودد شرط سلخهم عن كمال جنبلاط وعزله حتى داخل قريته وهذا ما ظهر في صيف ١٩٥٧ م بعدما توجهت نية الزعماء الوطنيين الى الثورة على الحكم وأخذت الخيوط تمد الى سوريا لاستمداد الدعم. عندها أخذ كميل شمعون ونعيم المغبغب يضايقون كمال جنبلاط بمخابراتهم وأعوانهم وباشر العملاء باقامة الكمائن بغية اغتياله فأصبحت حياته مهددة بالخطر وأخذ يتستر في تنقلاته ويضفي طابعا من السرية على جميع تحركاته بقي نعيم المغبغب له بالمرصاد فأقام الحفلات الاستقطابية داخل المختارة الامر الذي دفع يوسف صفا وسليمان نمور الى مهاجمة خليل نعوم سركيس وقتله داخل سوق المختارة لانه كان يحمل لواء المعارضة لكمال جنبلاط والتأييد لكميل شمعون ونعيم المغبغب وذلك بعد أن طفح الكيل وبلغت عمليات المضايقة أوجها. لجأ يوسف صفا وسليمان نمور الى دير العشاير حيث كان شبلي العريان صامدا في اخلاصه لكمال جنبلاط ومن ثم غادرا الى سوريا حيث توفر لهما الملجأ الآمن. انفك الناس من حول كمال جنبلاط بعضهم رهبة من تسلط الحكم وبعضهم رغبة بالاستفادة من عطاءات نعيم المغبغب ولم يصمد في قصر المختارة الا القلة التي كان على رأسها أديب حرب وعز الدين أبو كروم وناصيف البعيني ونسيب العياص. ذاق هؤلاء المخلصون الامرين ولوحقوا ولكنهم صمدوا في وجه التهديد والوعيد ونالوا شرف الصدق والوفاء والاباء.

كانت الفترة التي امتدت من ربيع ١٩٥٧ م الى ربيع ١٩٥٨ م مرحلة تحضير للثورة، أخذ الزعماء فيها يستقدمون السلاح من سوريا وأخذ كميل شمعون يكثف اجراءاته القمعية والمضادة فقوى جهاز الدرك اللبناني

وسمح للحزب القومي الموالي له بالتسلح من العراق على حساب حلف بغداد واستقدم الاسلحة من هذا الحلف لانصاره ولأنصار الزعماء الذين والوه كنعيم المغبغب وغيره كما عين فريق الانصار (أنصار الدرك) من المتقاعدين أو الذين سرحوا من الخدمة في الجيش وقوى الامن الداخلي وتوج ذلك بالتنسيق مع اسرائيل في سبيل ضبط تسلل الاسلحة عبر الحدود السورية اللبنانية. بقيت الحال في تأزم تصاعدي حتى ٩ أيار عام ١٩٥٨ م يوم اغتيل الصحافي المشهور نسيب المتني الذي كان لسان المعارضة وقلمها فانطلقت شرارة الثورة المسلحة في أماكن متعددة من لبنان كبيروت وطرابلس والجبل وكان ذلك المنعطف التاريخي الثاني بعد الانتخابات في مسار التحول اللبناني.

التسليح والامداد عند كمال جنبلاط:

أثر التزوير الفاضح الذي وقع في انتخابات عام ١٩٥٧ م التقى كمال جنبلاط المسؤولين السوريين بعد أن نسق مع القيادات اللبنانية الوطنية واتفق معها على الثورة وامدادها من سوريا. وافق المسؤولون في الجمهورية العربية المتحدة على ذلك لان سياسة كميل شمعون كانت تسير في ركاب أميركا والعراق مناهضة لخط جمال عبد الناصر الذي يرتكز على عدم الانحياز والحياد الايجابي والوحدة العربية بوشر نقل السلاح عن طريق دير العشاير وكلف شبلي العريان وسلمان أبا حمزة بالاشراف على العملية.

أخذ كمال جنبلاط يرسل المتطوعين الى دير العشاير ابتداء من صيف ١٩٥٧ م بمجموعات صغيرة بالسيارات المدنية عبر المصنع الى دمشق بعد أن يعطي المتطوع مبلغ خمس وعشرين ليرة كمصروف للطريق فينزل بفندق دمشق على حساب الثورة ثم ينتقل الى دير العشاير. هذا وكان بعض المتطوعة أحيانا لا يصلون الى دمشق بل يتحولون الى دير العشاير مباشرة من ميسلون حسب نشاطهم ورغبتهم بالعودة سريعا. عند وصول المتطوع الى

دير العشاير كان ينزل ضيفا على شبلي العريان وينتظر عدة أيام حتى يتمكن من تسلم سلاحه وذخائره ويعود الى الشوف عبر سهل البقاع وجبل الباروك أو الكنيسة سيرا على الأقدام، ضمن مجموعات تراوح عديدها أولا بين الثلاثة والعشرة أشخاص يمشون ليلا ويكمنون نهارا.

علمت مخابرات كميل شمعون بالامر فأخذت تضيّق الخناق على الذين يتوجهون عبر المصنع كما بثت كمائن الدرك والحزب القومي السوري في البقاع الغربي لضرب المتسللين فكانت الاشتباكات تقع دائما بين صغبين وعين زبدة ويتمكن المتسللون من النفاذ غالبا دون خسائر. لقاء هذا التضييق وخاصة في المصنع أخذ كمال جنبلاط يرسل المتطوعين عبر طرابلس بواسطة سكة الحديد وبذلك أصبح الطريق طويلا وقلت الاسلحة التي تصل الى الشوف بسبب النمط التأخيري الذي تحكم بخط السير سيما وأن قوات الدرك أخذت تكثف نشاطها ضد المسلحين لدرجة مهاجمة دير العشاير نفسها بقوات كبيرة وبذلك لم يتعد عدد البنادق التي وصلت الى الشوف قبل اندلاع الثورة المئتين.

كان التسليح يتم بشكل عام من مصدرين الاول هو اقليم الخروب حيث يذهب الانسان منفردا فيشتري بندقية بماله الخاص مع بعض الذخائر وينقلها سرا الى بيته وغالبا ما يتعذر عليه ايجاد السلاح الذي كان من النوع الانكليزي أو الالماني وذلك بسبب عيون الدولة وقلة السلاح المهرب بين أيدي التجار السريين. أما المصدر الثاني فهو دير العشاير كما أسلفنا وكان السلاح المسلم من نوع فرنسي طراز ٣٦ مع خمسين ممشطا ومطرة. ينقل المتطوع سلاحه والذخيرة الى المختارة فيسلم عشرين ممشطا إلى خازن ذخيرة القصر ويبقي معه الثلاثين الباقية.

كان هذا الاسلوب قبل اندلاع الثورة مصدر الامداد الوحيد للذخيرة الاجمالية ولكنه بعد مباشرة العمليات لم يعد كافيا وأخذت تكبر القوافل فانطلق المتطوعون سيرا على الاقدام ذهابا وايابا عبر الجبل وسهل البقاع وأخذت الامدادات الاجمالية تنقل على ظهور البغال المستأجرة من البيرة

والرفيد ورغم ذلك فلم تكن البحبوحة بالذخائر تلازم جميع الاشتباكات والمعارك.

في نهاية صيف ١٩٥٧ م اشتد التضييق على المتطوعين وجرد الدرك في ١٨ أيلول حملة كبيرة على دير العشاير قوامها خمسماية دركي معززين بالاليات. طوقت الحملة منزل شبلي العريان وهاجمته من عدة جهات فاشتبك القلة الموجودون فيه بقيادة شبلي العريان وسلمان أبي حمزة في معركة طاحنة مع الدرك واستمر القتال طويلا حتى تمكن المقاومون من خرق الطوق بشرذمة قليلة والالتفاف على المهاجمين فانهزم الدرك ووقع منهم اثنا عشر رجلا في الاسر بينما تراجعت القوات المهاجمة باشراف قائد الدرك سيمون زوين وقيادة بولس جرمانوس مخلفة وراءها القتلى والأسرى. كان النصر مؤزرا وسقط للتقدميين في هذه المعركة شهيدان هما قاسم أبو كروم وسعيد علي القنطار كما وقع جريحان هما علي أبو حرب وسليم محمود من دير العشاير استبسل في هذه المعركة مدحت العريان ومحمود محمود ونصار محمود وسلمان محمود وفايز فايق وعلي أبو حرب وصالح أيوب وغيرهم من أبناء دير العشاير. ومن وقائع الشهامة الدرزية التي تحكي عن هذه الموقعة وضع علي القنطار والد الشهيد حارسا على الاسرى رغم كون ابنه وحيدا ورغم معرفته باستشهاده قام علي القنطار بواجبه خير قيام ملتزما بالمبادىء الاخلاقية الشريفة مبرهنا عن أصالة القيم العسكرية التي حملها الدروز التقدميون في قلوبهم عبر العصور والتي جذّرها في نفوسهم كمال جنبلاط من خلال مبادئه التقدمية السامية. حاولت الدولة القاء القبض على بعض المشتركين في المواجهة العسكرية ولكن عادل تقي الدين مدعي عام البقاع ساعد الثوار باخلاء سبيل الموقوفين متحملا المسؤولية ونتائج غضب الدولة عليه.

بقيت حال التسليح في مد وجزر خلال خريف ١٩٥٧ م وانقطع خط الامداد في الشتاء حتى مطلع ربيع ١٩٥٨ م بسبب تراكم الثلوج على جبلي الباروك والكنيسة ولذلك لم تستأنف عمليات التسلل والنقل الا بعد

اندلاع الثورة في أيار ١٩٥٨ م ولذا انطلق كمال جنبلاط في تحركه العسكري مرغما وعن فقر بعد أن جرته الاحداث الى المواجهة قبل أن يحن موعدها وقبل أن يتمكن من استقدام الذخائر والمعدات اللازمة لدرجة انه لم يكن يملك الا القلة من الرشاشات (٢٤-٢٩) ولا وجود لهواوين لديه اطلاقا.

بعد اندلاع الثورة في ٩ أيار كلف كمال جنبلاط جميل سعد الدين يعاونه يوسف الحكم ومحمود طربيه بحماية طريق التسلل عبر البقاع الغربي فأخذ يستعين بمقاتلي الشوف الأعلى لتأمين الطريق. كان المسلك يتأمن بمعركة كل ليلة تدوم حوالي الساعة بين صغبين وعين زبدة حيث تضرب كمائن الدرك والقوميين السوريين بعد أن يجري تحديدها على عاتق فريد العموري الذي لعب دورا هاما في تأمين المسالك عبر السهل وفي حماية المواطنين المسيحيين هناك. أثر كل معركة كان تحديد الطريق الآمن يتم بواسطة مشاعل توضع على جانبي المعبر وعلى سفح الجبل، بحيث يراها المتسللون عن بعد فيعبروا من خلالها. لم تكن المعارك بسيطة ولم تتأمن المسالك بشكل نهائي وغالبا ما كان على المتطوعين مواجهة الكمائن التي لم تكتشف وأدل شيء على ذاك استشهاد عارف مكارم في كمين قرب صغبين بتاريخ ١٣ أيار ١٩٥٨ م.

عندما وجدت الدولة أن المتطوعين تمكنوا من ايجاد الوسائل الناجحة للتسلل، دخلت الطائرات الحربية في مهمة ملاحقة المتسللين وبتاريخ ١٩٥٨/٥/١٤ م وقعت مجموعة كبيرة من عناصر الغرب في مكمن للدرك في جبل الكنيسة (وادي الدلم) ونشبت معركة كبيرة أفلت منها المسلحون من الطوق، بعد استشهاد كل من نعيم مطر ونواف مطر من مجدليا وسعيد مجيد ملاعب من بيصور الذي سقط في ضهور عين دارة.

تكررت عمليات الطيران الحربي بتاريخ ١٩٥٨/٥/١٥م عندما وجد سلمان أبو حمزة الذي كان في دير العشاير مع مجموعة كبيرة من المتطوعين بان عليه العودة الى الشوف لقيادة العمليات العسكرية كما رأى

أن الحاجة ماسة للمقاتلين فانتقل على رأس ثلاثمائة متطوع وقافلة من البغال المحملة بالذخائر الى الشوف. ضلت هذه المجموعة الطريق ليلا واتجهت جنوبا نحو تومات نيحا ثم تبينت خطأها عندما طلع النهار فانحرفت شمالا نحو جبل مرستي، ولكن الطائرات الحربية فاجأتها قبل أن تعبر الجبل وأخذت الدبابات بضربها عند باب مارع فاضطرت الى ترك احمال الذخيرة والعبور بدونها بعد أن استشهد رامز أبو المنى من شانيه.

وتجددت المأساة بتاريخ ١٩٥٨/٥/٢٣ عند عبور حملة تربو على الاربعماية مسلح بقيادة سامي عطاالله سهل البقاع نهارا، وكان في صفوفها مجموعة سلطان الاطرش التي هبت من جبل الدروز لمؤازرة التقدميين في لبنان. رفضت الحملة أن تقطع سهل البقاع ليلا وعدت ذلك نوعا من الخوف المنكر فانتقلت نهارا حيث فاجأتها الطائرات الحربية في السهل فضربت قافلة الذخيرة التي كانت تتألف من اثني عشر بغلا فدمرت منها ثلاثة بغال وارتد التسعة الباقون الى جبل عربة حيث مررا في اليوم التالي بمواكبة جميل سعد الدين. أما محصلة الغارة الجوية فكانت خمسة شهداء هم يونس غانم وسليم درويش من العفينة وصالح أبو لطيف وفهد الصفدي وحسين قيسية من الغارية. كان جميع الشهداء من مجموعة سلطان الاطرش وبذلك تعمدت الثورة بدمائهم الذكية قبل أن يصلوا الى ساحة المعركة الحقيقية. لقد أثبتت المجموعة التي بلغ عديدها المئتين باندفاعها وبسالتها في المعارك التالية تحت قيادة غالب سيف وحسن أبي رسلان بانها فعلا تستحق اسم سلطان الاطرش وتمثل بطولاته التاريخية المشهودة.

بعد هذه الحادثة استمرت عمليات التسلل بمجموعات صغيرة ليلا حتى نهاية الثورة ولم تتمكن قوات المراقبين الدوليين التي تألفت صيف ١٩٥٨ م وزودت بطوافات عسكرية من ضبط أية عملية تسلل وسار بذلك أمر الامداد بالذخائر والسلاح بشكل مقبول ومنتظم.

التذخير والتموين/

لم تكن عمليات التذخير في المعارك صعبة لأن القتال لم يأخذ طابع الجبهات المستمرة أو الطويلة الأمد فكل معركة لم تدم أكثر من نهار واحد إلا موقعة شملان التي استمرت زهاء أسبوع. كان المقاتل يذهب إلى المعركة بالذخيرة التي اصطحبها معه من دير العشاير أو بما هو مخزون لديه في المنزل، ومن قلت ذخيرته زود بذخائر جديدة من مخازن القيادة في المختارة، قبل أن ينطلق إلى المعركة. أما التذخير أثناء العملية فلم يكن بالأمر المعقد، لأن كمية الذخائر التي كانت تستهلك لم تكن كثيرة كون السلاح المستعمل مواترا وغير أوتوماتيكي. كانت الشاحنات الثلاث التي يملكها الحزب هي الوسائل الوحيدة لنقل المقاتلين والذخائر والتموين إلى المعركة وكان الاحتياطي من الذخائر يرسل من وقت إلى آخر داخل شاحنة منفردة إلى الخطوط الخلفية حيث يجري تزويد القادمين الجدد والذين تنفد ذخائرهم أبان القتال. بهذه البساطة كان التذخير يتم دون كبير عناء وكثيرا ما كانت احتياطات الذخائر التي يصطحبها المقاتلون معهم تكفي لكامل العملية دون الحاجة إلى امدادات أخرى. وعند الحاجة للذخيرة كانت القوات تنسحب بعض الشيء إلى الوراء ريثما يصلها المدد فتعيد التقدم أو تصمد في مكانها الجديد. أما التموين بالطعام فقد كان يتم بطريقتين: الأولى اصطحاب المقاتل لزاده لمدة ٢٤ ساعة من بيته أو من مخازن التموين في المختارة وغالبا ما كانت الزوادة تكفي لإنهاء المهمة ورجوع المقاتل الذي استنفر للقيام بعملية هجومية والثانية توزيع المخازن العادية على الأرض حيث تزود كل ٢٤ ساعة بمعلبات ونواشف من مخزن التموين في المختارة. لم يستخدم الطبخ الساخن على الأرض اطلاقا في هذه الثورة ولم يفتح أي مطبخ ولم يكن الجهاز الإداري للتغذية كبيرا بل بسيطا لا يعدو كونه مخزنا للمعلبات يسلم المقاتلين والمخافر حصصهم اليومية. أما المقاتلين الذين تبعد بيوتهم كثيرا عن مركز التجمع في المختارة

فقد فتح لهم مطبخ دائم وكانوا يغذون بالطبخ الساخن البيتي داخل القصر.

إن عمليات التموين لم تواجه أية صعوبة لبساطتها ولعدم وجود الجبهات الدائمة ولقلة عدد المقاتلين في المراكز والكمائن المتقدمة فلم يحس القيمون على الثورة أن هناك أية عقبة تموينية تعترضهم سيما وأن المواد الغذائية والمعلبات كانت متوفرة في الأسواق ولم يحس الشعب بأي نقص تمويني يذكر.

الزي والقيافة:

لم يكن هناك زي موحد للمقاتلين فقد كان المتطوع يلبس ثيابه العادية أو ثياب العمل اليومي في حقله أو في متجره. كان هناك زيان طاغيان بوجه الاجمال (الشروال) (والكيلوط)، فالشروال هو لباس الأكثرية الساحقة من الشعب وخاصة في الطبقة العاملة أما الكيلوط والجزمة فقد كانا لباس الذين يعتزون بأنفسهم، وهمايرمزان للشجاعة والإقدام. بالاضافة إلى ذلك فقد كان المقاتلون يصطحبون المطرة التي استقدموها من دير العشاير والجنادات الجلدية حيث توضع الذخائر امشاطا كل مشط من خمس طلقات يحملها المقاتل معه إلى المعركة ويتباهى بحسن صنع الجنادات وتركيبها. أما الشارة الشاملة فقد كانت الكوفية التي وضعها الجميع على رؤوسهم فميزتهم عن جنود الدولة وأنصارها ومؤيديها.

لم تكن عادة اطلاق اللحى دارجة في ذلك الوقت ولكن الشاربين الكبيرين كانا رمز غالبية المقاتلين. لقد اطلق احد المقاتلين لحيته عند اطلاق الرصاصة الأولى للثورة وأقسم أن لا يحلقها إلا بموسى مستهايد جمال عبد الناصر فكان سعيد صالح القعسماني من بعقلين فردا مميزا عن غيره بلحيته ووصل خبره إلى مصر حيث ذهب بعد نهاية الثورة وحلق ذقنه هناك.

لم يحتج كمال جنبلاط في ثورته عام ١٩٥٨م إلى مخزن ألبسة لأن جميع

المقاتلين لبسوا من ملكهم وبذلك لم يوحد اللباس ولم تشعر القيادة بالحاجة إلى توحيده أو وضع شارات معينة بل سارت الأمور على سجيتها دون أي عناء أو تعقيد.

الطبابة:

لم يكن الجسم الطبي في الثورة معقدا وإنما اقتصر على الدكتور بشارة دهان الذي كان يقوم بالإسعافات الأولية وتضميد الجراح ومن ثم يرسل الجرحى إلى الجامعة الأميركية في بيروت. لقد أوفى هذا التدبير بالغرض ولم يفرض نمط المعارك على قيادة الثورة التفكير بتطويره أو تعزيز الخدمات الطبية.

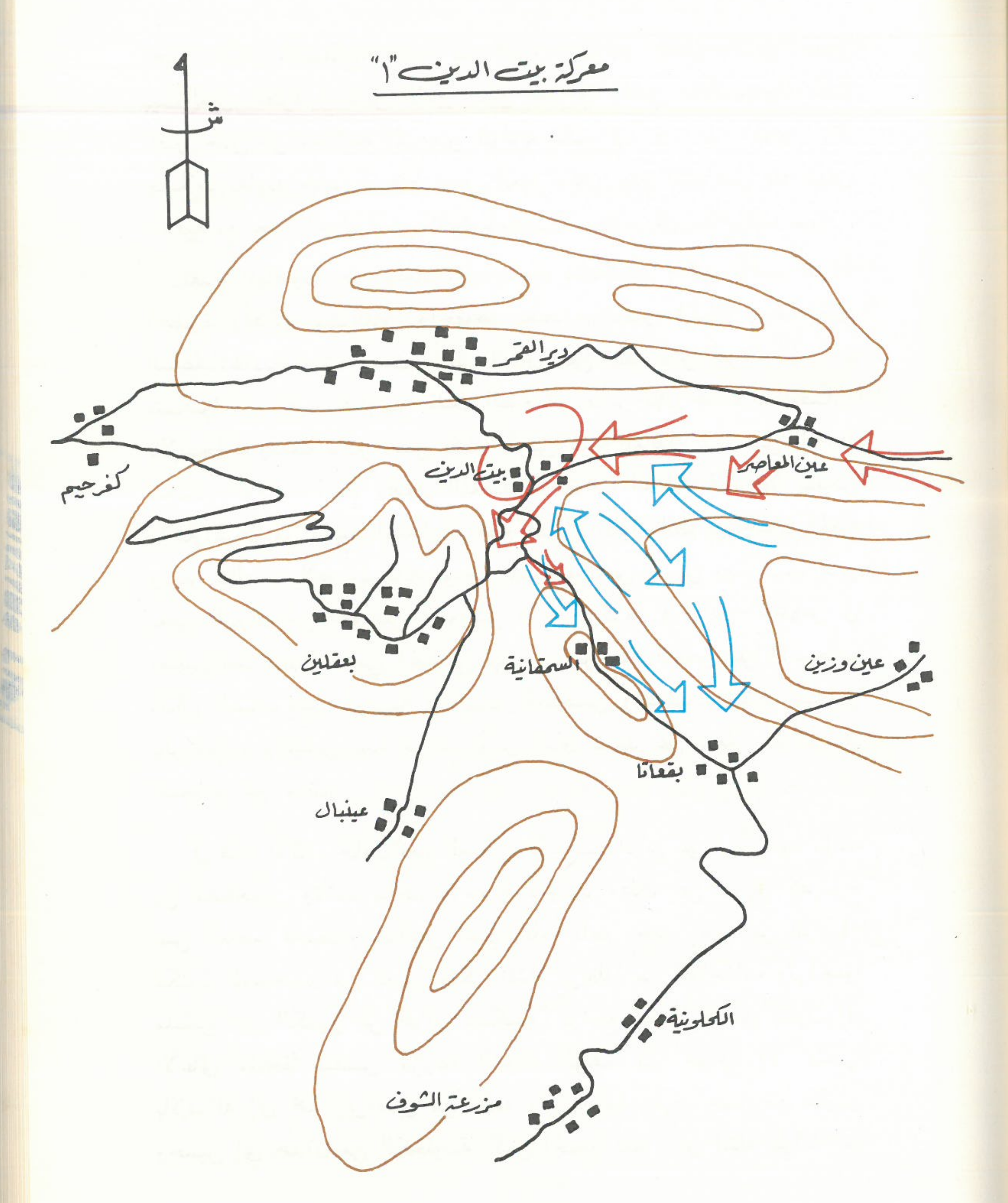
معركة بيت الدين:

اغتيل نسيب المتني بتاريخ ٩ ايار ١٩٥٨م فتقرر المباشرة بالثورة. استدعى كمال جنبلاط بتاريخ ١٠ ايار انصاره وأعلمهم ببداية العمل العسكري وكلف فصيل بتلون وفصيل الباروك بأمرة ناصر حسن بنسف الجسر الواقع بين المعاصر والباروك واحتلال مخفر درك الباروك بتاريخ ١١/ أيار، ومن ثم الالتحاق بالهجوم على فصيلة درك بيت الدين بتاريخ ١٢ أيار صباحا.

بتاريخ ١١ أيار ذهب كمال جنبلاط إلى بيت الدين وأرسل للضابط سامي الخشيحي خبرا يعلمه فيه بأنه سيحتل مركز الفصيلة في اليوم التالي ويطلب منه عدم المقاومة. عندما علم الضابط بالأمر استقدم تعزيزات من المخافر القريبة إلى مركز الفصيلة وعمل على تحصين المداخل بالمتاريس وأبقى القوات في حالة استنفار وإنذار شديد.

ليل ١١/١٢/ أيار نفذ ناصر حسن على رأس مجموعة مؤلفة من ثلاثة وعشرين عنصرا من بتلون والباروك نسف الجسر ولكنه لم يحتل المخفر لأنه اصطدم بدورية درك كبيرة بين المعاصر والباروك.

بتاريخ ١٢ أيار صباحا نفذ الهجوم على بيت الدين على ثلاثة محاور



المحور الأول السمقانية داور بيت الدين السراي والمحور الثاني ضهور بيت الدين المطرانية قصر الأمير أمين السراي والمحور الثالث جاء عليه ناصر حسن من مسكيفة إلى عين الواوية فالسراي. قاد هذا الهجوم كمال جنبلاط يعاونه خالد جنبلاط وعلي العود وكان عدد المشاركين فيه ستين بندقية مع بعض العزل الذين كانوا يأملون الاستيلاء على سلاح الدرك.

تقدم المهاجمون حتى وصلوا إلى ساحة بيت الدين ولكن قوات الدرك المحضرة وأهالي بيت الدين واجهوهم بعنف واستمر القتال شرسا حتى الساعة الحادية عشرة حيث سقط للاشتراكيين اثنا عشر جريحا دون أن يتمكنوا من تنفيذ غايتهم. قلت الذخائر فأمر كمال جنبلاط انصاره بالإنسحاب وكلف ناصر حسن بقطع طريق عين المعاصر عند عين الواوية لبعض الوقت لمنع وصول النجدات لقوات الحكومة ريثما يتمكن الاشتراكيون من تنفيذ انسحابهم. قطع فصيل بتلون الطريق حسب الخطة وباشر كمال جنبلاط انسحابه فواجه المنسحبون عن طريق دوار بيت الدين بعض النيران من القوميين السوريين الذين تمركزوا في رأس الجاموس في بعقلين بعد اتصال سامي الحشيمي بهم. لم يؤثر هذا القنص على الانسحاب ولكن الطائرات الحربية لاحقت المنسحبين وقصفت جوار الدوار بالرشاشات والقنابل عدة مرات الأمر الذي ساعد على تبعثر المقاتلين في انسحاب غير منظم.

في هذه الأثناء حاول نعيم المغبغب نجدة بيت الدين على رأس قوة مؤلفة من مصفحتين وثلاث شاحنات معبأة بالجنود وذلك عن طريق كفرنبرخ عين المعاصر فاصطدم بالكمين الذي اقامه ناصر حسن عند عين الواوية. تمكنت المصفحتان من العبور ولكن المشاة ترجلوا من الشاحنات وتراجعوا ملتفين على الكمين عن طريق مسكيفة. تراجع عندها فيصل بتلون إلى الأعالي ملتحقا بفصيل مزرعة الشوف المؤلف من حوالي ١٢ عنصرا بالإضافة إلى محمد زين الدين من بطمة وابن أخيه وفريد حسن من عثرين وحسين أبي حمدان من الكحلونية. كمن الجميع عند رأس التلة لقوات نعيم

المغبغب التي قدمت عن طريق مسكيفة ولما أصبحت على مرمى الرصاص فتح التقدميون النار عليها فاعتلقت بالأرض ودارت بين الجانبين معركة كبيرة.

عند العصر وجد التقدميون أن عليهم الانسحاب والالتحاق برفاقهم، لئلا تقطع عليهم قوة بيت الدين مع المصفحات التي دخلت طريق الرجعة. لذلك بوشر بالإنسحاب إلى بقعاتا ومر بعض المنسحبين قرب مطرانية بيت الدين ومنهم ناصر حسن وفريد حسن فاصطدموا بجيب ومصفحة للدرك فضربوا الجيب وأصابوا من فيه وتراجعوا أمام المصفحة إلى السمقانية فبقعاتا حيث وصلوها عند الغروب تابعت المصفحة الضغط على المنسحبين خلال ساعات بعد الظهر وتقدمت عصرا إلى مشارف السمقانية وأطلقت النار على أمين صادق الذي لم يكن مع المقاتلين بل كان يحاول اطعامهم ومساعدة المحتاجين منهمفقتلته،وكان الشهيد الوحيد في هذه المعركة حيث قضى فداء الكرم والمروءة. وأثناء تقدم المصفحة أسرت يوسف حمد ابو كروم الذي سمع نيران اشتباك زملاؤه معها ورجع بقصد نجدة المشتبكين فوقع في الأسر وحيدا بعد أن تخلص زملاؤه من الاشتباك.

توقفت المعركة ليلا وبات الاشتراكيون في بقعاتا حيث قام كمال جنبلاط بنسف جسر السمقانية أثر تأكده من وجود مصفحات مع قوات الدرك واختار من وقتها بقعاته لتكون مقبرة جماعية للشهداء واطلق عليها اسم جسر الشهداء بعد أن تمكن من الصمود فيها بوجه قوات الدولة وأنصارها.

معارك كفرنبرخ وبتلون:

هدأت المعركة ولكن كمال جنبلاط استغل الظرف فوزع قواته في طوق حول بيت الدين ونسف الجسر الواقع بين عين المعاصر وبيت الدين بتاريخ ١٣ أيار.

في هذه الفترة كان الأمير مجيد أرسلان قد جيش أتباعه بتحريض من

كميل شمعون ونعيم المغبغب وجاء على رأس قوة من الغرب والجرد تربو على الألف مقاتل وعسكر على نبع الباروك ثم أخذ يرسل في طلب أنصاره الشوفيين لملاقاته إلى هناك. اجتمع الشمل في الباروك بتاريخ ١٥ أيار وأخذ الجميع يتداولون في الأمر بحضور نعيم المغبغب وصلاح جنبلاط. البعض كان متحمسا للقتال والغالبية كانت غير راغبة فيه، ولكنها لم تجرأ على البوح بمكنونات صدورها كان المهرجان خليطا عجيبا من المتناقضات منهم من هو صامت لا يجهر برأيه ومنهم من يسر بأفكاره لأصدقائه ومنهم من سيطر عليه الإندفاع لخوض المعركة. كانت الجموع منعقدة في حلقات وكل حلقة تنظّر على هواها.

أخذ المندفعون بالغناء والحداء مرددين عبارة:

تغـــدينا بنبـــع البـــاروك   منتعشى بـــــالمختـــــارة

دب الحماس في النفوس ولكن فارس محمود انقذ الموقف فخاطب الأمير مجيد قائلا (ما فينا ناكل لحمنا بأيدينا نخينا على غيرهم يا مير وبتشوف) نزل هذا الكلام بردا وسلاما على الذين لم يرغبوا بالقتال وأخذ الجميع يصارحون الأمير مجيد بمكنونات صدورهم ويثنونه عن التدخل لصالح الدولة ضد أهل طائفتهم، فخفت همة الأمير وبرد حماسه ووقع في تردد وحيرة. أحس نعيم المغبغب بخيبة الأمل وأراد أن ينقذ الموقف فقال للأمير مجيد (أنا رايح على بيت الدين خلي صلاح جنبلاط يروح معي). وقع الأمير مجيد في الفخ وسمح لصلاح جنبلاط بالذهاب. تقدم نعيم المغبغب على رأس قوة قوامها جيبان وسيارتا بيك آب للشرطة ولما وصل إلى مشارف عين المعاصر (كوع الترانش بين كفر نبرخ وعين المعاصر) فتحت عليه النار من قوات بتلون التي كانت تتمركز في العريض المقابل. فوجىء نعيم المغبغب وقواته بالكمين وارتبك ووقع له تسعة جرحى فرأى أن الحل هو بتوريط الأمير مجيد وقواته في المعركة. نادى على حسين الدويك الذي كان يركب السيارة الأخيرة وطلب منه ابلاغ الأمير مجيد بأن صلاح جنبلاط قد قتل.

ذهب حسين الدويك في مهمته بينما اغتنم الاشتراكيون الفرصة

وعززوا قواتهم في المنطقة فتقدم فصيل مزرعة الشوف مع بعض الأفراد الآخرين إلى تعمير بتلون قاطعا طريق النجدة وخط الرجعة على نعيم المغبغب في آن معا. كانت مجموعة المزرعة لا تتعدى الأربعة عشر بندقية ورشاش فتمركزت في التعمير وانتظرت التطورات.

ابلغ حسين الدويك الأمير مجيد خبر مقتل صلاح جنبلاط (الكاذب) فثار وسار على رأس القوة الموجودة معه قاصدا المختارة. وصل إلى تعمير بتلون فوقعت معركة شرسة بينه وبين الاشتراكيين استشهد فيها من انصار الأمير مجيد ارسلان نجم الأحمدية وأحمد ملاعب واستشهد من أنصار كمال جنبلاط محمد البعيني وجرح التقدمي حسن بركات. دارت المعركة عنيفة وانحشر التقدميون نظرا لكثرة عدد القوة المواكبة للأمير مجيد ولكنهم صمدوا ولم يسمحوا بفتح الطريق ومرور القوات. عند ذلك وجد نعيم مغبغب نفسه في مأزق فاستنجد بقوات بيت الدين فأنجده سامي الحشيمي بقوة كبيرة اصطدمت عند وصولها إلى عين المعاصر بفصيل غريفة. الذي جاء معززاً القوات الاشتراكية. استمرت المعارك حتى المساء وقلت ذخائر الاشتراكيين فتراجع فصيل بتلون إلى ضهور عين وزين وتبعه في ذلك فصيل غريفة ففتحت الطريق أمام نعيم المغبغب.

عند العصر تراجع الأمير مجيد إلى بتلون وتراجع الاشتراكيون إلى حرش عين وزين على بعد مئتي متر من الموقعة وتوقف القتال أما النجدة التي خفت من بيت الدين لمساعدة نعيم المغبغب فقد تراجعت ليلا مع هواوينها التي استخدمتها في فك الطوق إلى بيت الدين وأخلت طريق كفرنبرخ عين المعاصر.

خض هذا الحدث المجتمع الدرزي فهرع سماحة شيخ العقل الشيخ محمد أبو شقرا وعارف بك النكدي إلى الأمير مجيد وطلبا منه حقن دماء الدروز وعدم التورط في القتال لصالح كميل شمعون دون مبرر درزي استجاب الأمير مجيد لما طلب منه بعد أن لاحظ أن اعوانه غير راغبين في قتال أبناء طائفتهم وما سيرهم معه إلا من باب الحياء. عاد بقواته

بتاريخ ٦ أيار إلى الباروك ومن ثم انسحب بعدها مع جميع انصاره من المعركة بينما تقدم الاشتراكيون مجددا إلى تعمير بتلون.

كان ١٧ أيار يوم راحة بدّل فيه الاشتراكيون قواهم فاستلم آل غريزي تعمير بتلون كما عززت المراكز الدفاعية صباح ١٨ أيار تقدمت قوة من الدرك تعززها مصفحة من الباروك الى بتلون والقت القبض على أولاد يوسف حسن. انقسمت القوة الى فئتين الاولى نزلت في تعمير كفرنبرخ وقوامها شاحنتان والثانية نزلت في بتلون وأخذ الطرفان تشكيل الهجوم على القوات الاشتراكية المتمركزة خلف تعمير بتلون. بعد ساعة من الاشتباك تضايق الاشتراكيون القليلو العدد وخاصة من رمايات الهاون المساندة التي كانت ترمى من الباروك وتراجعوا قليلا نحو عين وزين فتقدم الدرك محتلين جوانب الطريق عندها جمع الاشتراكيون قواهم بعد أن وصل الى الموقع حسين أبو شقرا وعادل عبد الصمد وبعد أن علموا بقرب وصول النجدة المرسلة اليهم من قبل سليمان أبي حمزة، جمعوا قواهم وكروا على الدرك بهجوم معاكس أجبرهم على التراجع الى بتلون والتشبث بالأرض. إستقام الموقف بعدما وصلت النجدة المؤلفة من أربعين متطوعا اشتراكيا الى ساحة المعركة فانحسر هجوم الدرك وارتاح الاشتراكيون.

بعد انكسار هجوم الدرك وهدوء الاوضاع نسبيا استغل الاشتراكيون ليل ١٨-١٩/أيار وأرسلوا تعزيزات عسكرية الى قاطع الباروك. تمركز يوسف حمزة مع مجموعة من الباروك فوق خرارة المياه قبالة بتلون، وذهب فصيل بعذران بقيادة محمد باز وفصيل الخربية الى الحافة الشمالية لحرش دلبون حيث تمركز المقاتلون قبالة طريق الباروك وتحكموا بها.

بتاريخ ١٩ أيار صباحا أعاد الدرك الكرة بهجوم معزز جديد فانطلقت من الباروك احدى عشر شاحنة محملة بالقوات والعتاد بالاضافة لمصفحتين وأربع سيارات جيب نحو بتلون فوصلت ثلاث منها الى داخل البلدة وتوقفت القوة الباقية قرب (تونال مياه عاليه). كان فصيل غريفة بقيادة أديب حرب مسؤولا عن الدفاع في تعمير بتلون يساعده مجموعة من

كفرفاقود ومجموعة من عين وزين وبعض الافراد الآخرين. احتدمت المعركة وأخذ الهاون يقصف القوات الاشتراكية كما أخذت طائرة استطلاع تكشف ارجاء مسرح العملية. طال الاشتباك ولم يكن عدد القوات التقدمية يزيد عن ٢٣ عنصرا فتضايق المدافعون بعد أن تقدم نعيم مغبغب مع مئتا مسلح الى حرف بتلون وبعد أن تغلغل الدرك داخلها. لم يكن مع القوات المدافعة أسلحة مضادة للاليات غير رمانتي انرغا مع بهيج غصن من الفساقين وكامل فرج من عبيه فقر الرأي على الدفاع حتى الموت لئلا تسقط المختارة في حال التراجع. قسم الدافعون أنفسهم لمجموعات انتحارية واختيرت المجموعة الانتحارية الاولى للهجوم على الاليات واعطاب مقدمتها بغية توقيف زحف الرتل الكبير. انطلقت المجموعة المؤلفة من سعيد أبي حويلا من شبعا وعلي ريدان البتديني من كفرنبرخ وبهيج غصن من الفساقين وسليم وديع الغصيني من بعقلين تحت وابل من الرصاص وفي مهرجان من الحداء والزغردة فذعر الدرك ودب الحماس في كامل القوات الاشتراكية فاندفع الجميع في هجوم تلقائي أربك الدرك ودفعهم الى ترك الياتهم والانسحاب هربا من ساحة المعركة. سيطر التقدميون سيطرة شبه تامة وغنموا شاحنتين وهاون ٨١ وهاون ٦٠ وستين معطفا عسكريا وعددا غير قليل من البطانيات وأعطبوا شاحنة واحدة انقلبت الى الوادي.

بعد المعركة لم يتمركز التقدميون في بتلون لقلة عددهم وخوفا من اطباق مجموعات نعيم المغبغب المتمركزة في الحرف عليهم فبقيت البلدة فارغة تحت سيطرة نيران الطرفين.

بتاريخ ٢٠ أيار انتشرت الاشاعات حول رغبة الدرك بحرق بتلون فأرسلت تعزيزات اشتراكية اليها بعد أن أخذ الاهالي يرحلون عنها فتبين أن البلدة خالية من قوات الحكومة التي تراجعت الى ضهور الفريديس.

بتاريخ ٢١ أيار تلقت كتيبة الجيش التي كانت تتمركز في نبع الباروك أمرا بالتقدم الى دير القمر وبيت الدين لفك الطوق المزعوم عن هاتين

البلدتين. علم كمال جنبلاط بالامر فكلف شاهين محمد أبا كروم وفريد حسن بالذهاب الى نبع الباروك ومفاوضة قائد الكتيبة والطلب منه عدم التقدم. لم يسفر التفاوض عن نتيجة تذكر اذ قال القائد بانه عسكري ولديه أوامر عليه تنفيذها علم سماحة الشيخ محمد أبو شقرا بالامر فاتصل بقائد الكتيبة يستمهله تنفيذ المهمة ريثما يقابل اللواء فؤاد شهاب. تمت المقابلة بالفعل وأوقف تقدم الجيش، واجتمع كمال جنبلاط بقائده بحضور شيخ العقل في سبلين وتم الاتفاق على الامور التالية:

* بقاء الجيش في الباروك أولا ثم الانسحاب الى عين زحلتا والعزونية.
* بقاء التقدميين في بتلون.
* عدم تقدم أي فريق نحو الآخر.
* وضع مخفر من الجيش في بتلون بالتنسيق مع الاشتراكيين لتطمين المارة من المسيحيين.

بتاريخ ٢٣ أيار ركز حاجز الجيش بعد أن جاء به النقيب أنيس أبو زكي وكان المخفر يتألف من الرقيب علي صالح من بريتال ومحمود طليس ويوسف سلوم وعبد الرحمن الرز وجورج الشيخ.

بهذا الحل هدأت الاحوال وسلكت الطريق وأخذ مسيحيو منطقة دير القمر يمرون دون خوف.

معركة الفريديس:

لم تدم الهدنة التي اتفق عليها كمال جنبلاط مع فؤاد شهاب طويلا لأن نعيم المغبغب عمل على خرقها فأخذ يحصن بلدة الفريديس وركز أنصاره مع مفارز الدرك عند قبر رشيد نخلة قرب نبع الباروك وسيطر على القرى المسيحية القريبة من عين زحلتا مثل مجدل المعوش والبيرة ووادي الست وأخذ يتحرش بالمارة. أدى هذا الامر الى توتر في منطقة عين زحلتا واقدام ناصيف العبني وسعيفان العبني على اطلاق النار على حرس منزل

نعيم مغبغب في الصفا وأصابه اثنين منهم بجروح والفرار الى الباروك التحاقا بالمخفر الاشتراكي الذي كان يرأسه يوسف أبو حمزة.

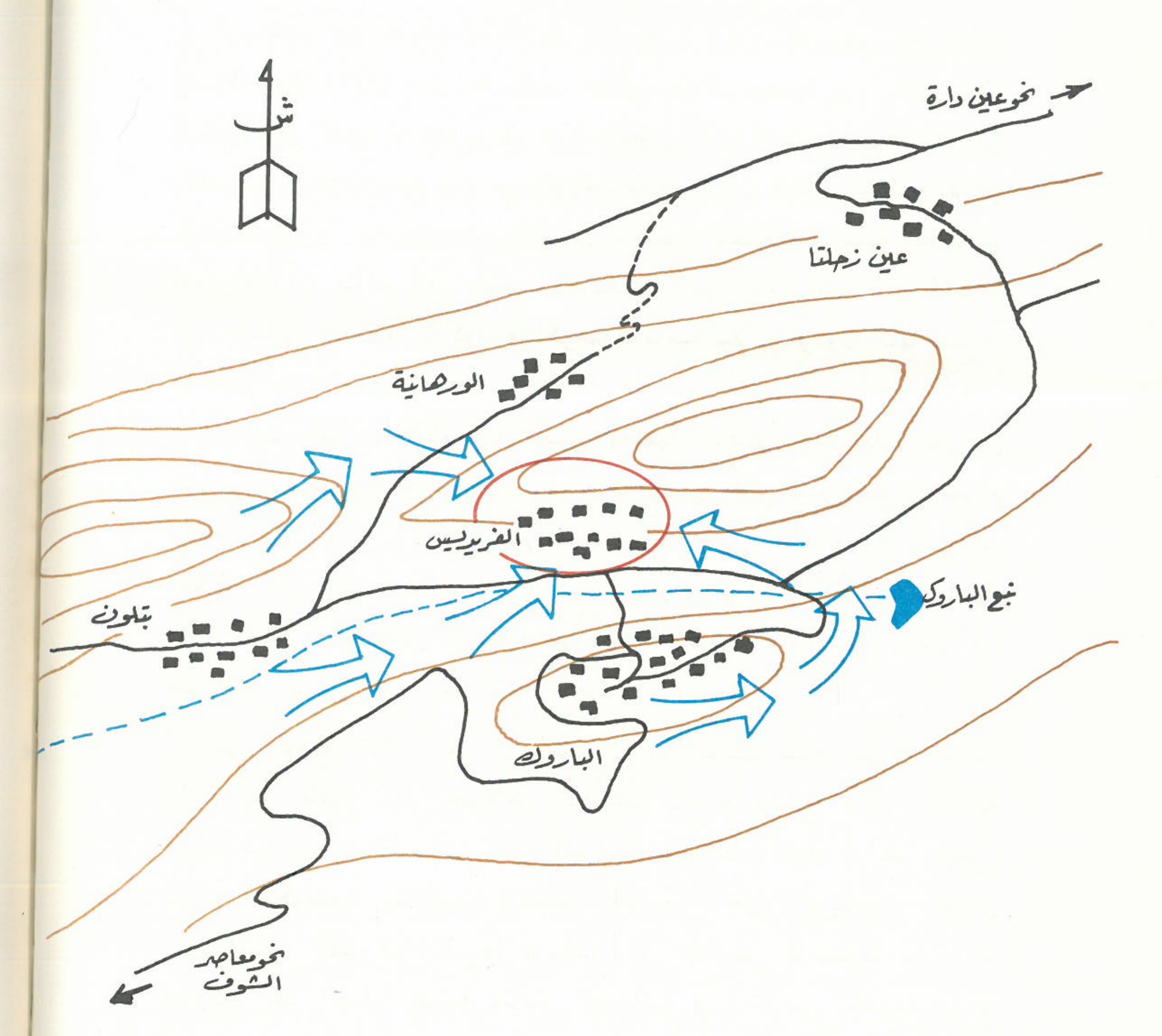
لم يكتف نعيم مغبغب بذلك بل أخذ يعزز قوات الفريديس حتى بلغت في الاسبوع الاول من حزيران حوالي ٧٥٠ عنصرا ولم يكن عدد الاشتراكيين الذين يواجهونهم في حرف بتلون الا ٤٤ عنصرا منهم ٢٤ من بتلون و١٢ من بريح و٨ من الورهانية. كان هذا الوضع يقلق الاشتراكيين لما فيه من عدم التوازن فكثفوا استطلاعهم لجبهة الفريديس فتبين لهم أن عناصر نعيم مغبغب يستهترون بالقوة الاشتراكية لأنهم كشفوها على حقيقتها اذ كانوا يتركون مراكزهم الامامية ليلا ويعودون اليها صباحا كما تبين من الاستطلاع بالنار أن أنصار المغبغب يخشون الرمايات الليلية.

أرادت القوات الاشتراكية تحسين وضعها الدفاعي والانتقال ليلا الى متاريس الحكوميين ولكن كمال جنبلاط رفض ذلك مصرا على الالتزام بالاتفاق مع الجيش رغم أن نعيم مغبغب كان خارج الاتفاق ولم يلتزم به اطلاقا. كان كمال جنبلاط يخشى أمرين: الاول الفشل وانكشاف قلة عديد قواته والثاني ردة الفعل المسيحية على مهاجمة بلدة مارونية فكان يقول: (يا عمي اذا ضربنا الفريديس بتدق أجراس رومية).

بقي الوضع كذلك الى أن استلم الزعيم شوكت شقير قيادة القوات الاشتراكية فاقنع كمال جنبلاط بتخفيف تشدده وسمح بالقيام بعملية استطلاعية ليل ٨ حزيران. كان الليل دامسا والمطر كثيفا (راعد ربيعي) فترك الحكوميون متاريسهم وذهبوا للتدرؤ داخل الفريديس. استغل الاشتراكيون الظروف وتقدموا متسللين الى المتاريس فاحتلوها دون أية مقاومة. بعد العملية بقيت عناصر الورهانية في المتاريس الجديدة ورجع أهل بريح الى حرف بتلون وأهل بتلون الى متاريسهم في قريتهم.

صباح ٩ حزيران عادت القوات الحكومية الى متاريسها فوجدتها محتلة الامر الذي أشعل نار المعركة بقوة. لم يكن كمال جنبلاط راضيا عن هذا التدبير الذي سمح به شوكت شقير وبقي طوال قبل ظهر ٩ حزيران غير

معركة الفريديس



راض بشن هجوم كبير ووصل الخبر الى القوات الاشتراكية في الجبهة فتدنت المعنويات ودب السخط في الصفوف.

عند الساعة الرابعة بعد الظهر تلقت القوات برقية من شوكت شقير تطلب التشبث بالارض وتخفيف اطلاق النار وبدأت النجدات والتعزيزات تصل الى الجبهة تحضيرا للهجوم بعد أن تمكن شوكت شقير من اقناع كمال جنبلاط بالامر. تحرك فصيل المعروفية بقيادة محمود طربيه مع فصيل المعاصر ومرا بالزغاريد والحداء من فوق الباروك وأطبقا بسرعة على المخفر واحتلا متاريس الدرك عند قصر رشيد نخلة ثم تغلغلا داخل البلدة. رفع هذا الحدث معنويات الاشتراكيين في الجبهة فاستمرت المناوشات حامية طوال الليل حتى انطلق الهجوم الرئيس فجر اليوم التالي.

كانت الخطة تتألف من هجوم بثلاث شعب على الشكل التالي:

* تقوم مجموعة من مغاوير الحزب بتفجير الجسر قرب منزل فؤاد كيوان لقطع طريق عين زحلتا الفريديس.
* تهاجم مجموعة سلطان الاطرش مع فصيلي بتلون وبعقلين عبر محور الورهانية الفريديس.
* تهاجم فصائل المعروفية والمعاصر والخريبة وجباع من ناحية نبع الباروك.
* تنطلق فصائل شارون والجرد من الغرب نحو الشرق عبر نهر الباروك مرورا في أرض بتلون.

انطلق الهجوم فجر ١٠ حزيران ١٩٥٨ م بالزغاريد والحداء فلم تقف بوجهه أية عراقيل. دخل الفريديس بقتال ضار من منزل الى آخر وتمكن حوالي الساعة ٩,٠٠ صباحا من تنظيف البلدة بشكل كامل بعد أن سقط للتقدميين عدة شهداء هم: شفيق غانم من الورهانية وسلمان زين الدين من قنوات وفارس حاطوم من ذيبين ورياح الحلبي من ملح وهايل يونس من الهوية وفارس أبو علوان من مردك وفؤاد طربيه من القرية وجاد الله

الجباعي من الرحى وأحمد جزان من قنوات وسلمان جاسر من بكا وهاني الحلبي من ملح.

انسحبت القوات الحكومية نحو عين زحلتا بعد أن تكبدت خسائر فادحة وتركت أسلحة وذخائر كثيرة في أرض المعركة فلاحقها الاشتراكيون في وادي كفرا وأشعلوا معركة مواجهة معها بتاريخ ١١ حزيران فاستشهد لهم كل من شفيق أبو نصر الدين من بطمة وسمير أبو مجاهد من بتاتر استشاط نعيم مغبغب غضبا بعد هذه الهزيمة وكسر بندقيته عندما دخل الى عين زحلتا وشتم ربه الذي لم يخلقه درزي. بعد هذه المواجهة العنيفة هدأ الوضع فتمركز الاشتراكيون في كفرا وتمركزت القوات الحكومية في عين زحلتا والعزونية وقلعة البزي في الجبل ودخلت المنطقة في هدنة شبه تامة. لكن الاخبار بدأت ترد الى كمال جنبلاط بأن حشودا لانصار كميل شمعون أخذت تظهر في عين الحور ووادي أبي يوسف فكلف توفيق تقي الدين الذي كان على معرفة تامة بأهالي عين الحور بالذهاب الى المنطقة واستطلاع الموقف على الطبيعة. ذهب الشيخ توفيق منفردا وقام بجولة على أصدقائه هناك فتبين له أن الاخبار غير صحيحة ولكنه التقى ببعض الجرحى الذين شاركوا في معركة الفريديس وكانوا لا يزالون متأثرين بهول المعركة وبنتائجها الحاسمة الامر الذي أقعد زملاءهم عن الالتحاق بجبهة القتال.

معركة شملان:

لم تكن معركة شملان موقعة واحدة بل استمرت لمدة اسبوع في كل من شملان وعيناب وقبرشمون شارك فيها لجانب الحكومة الطيران العراقي بغارات مستمرة على المقاتلين وتدخل فيها القوميون السوريون بكثافة كما أسهمت فيها سريتان من الجيش الاردني بقيادة مسيّف سلمان. كانت الايام الثلاثة الاولى عنيفة ولكن نمط العنف خف بعدها عندما حدث انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق ونزلت قوات المارينز الاميركية في لبنان بعد خوفها من نتائج أحداث العراق، وأثر طلب كميل شمعون لها عندما

أحس بضغط قوات كمال جنبلاط على مشارف العاصمة والمطار.

كيف حدث ذلك؟

بتاريخ ٢٩ حزيران مر موكب من أهالي بيروت في شملان ذاهبا الى المختارة فاعترضه القوميون السوريون وقتلوا منه محمد عدلوني. وصل الخبر الى كمال جنبلاط فوجد أن الكيل قد طفح بعد تكرر التحرشات بمؤيديه في تلك المنطقة رغم وجود اتفاق مع الجيش لتأمين طرق المواصلات للجميع ورغم القبول بمخفر له في قبرشمون يرأسه الرقيب أول محمد الصايغ. وجد كمال جنبلاط أن الامور وصلت الى منطقة اللارجوع فقرر فتح معركة شملان. كلفت بهذه المهمة فصائل الغرب والمتن وشارون وبعقلين وعين وزين وجبل الدروز (في مجموعة سلطان) وكلف فضل الله تلحوق بقطع طريق النجدة على القوات الحكومية في عاليه.

انطلقت المعركة بتاريخ ١ تموز ومارس القيادة على الارض سلمان أبو حمزة وغالب سيف وحسن أبو رسلان، ففتح الجحيم لمدة أسبوع وكانت الطائرات والهواوين تصب حممها على القوات التقدمية دون هوادة. كان ميزان القوى يوفر سيادة تامة للحكومة في الجو والسلاح الثقيل وعدد القوات البرية لدرجة جعلت الطائرات الحربية تقصف خطأ القوات الحكومية بسبب التداخل في المواقع وقلة التقدميين. احتل الاشتراكيون ضهور بيصور وضهور قبرشمون ووصلوا الى مداخل شملان ودخلوا الى عيناب ومكثوا فيها ثلاثة أيام وانتهت المعركة بعد نزول الاميركين الى الشاطىء ووصولهم الى بعورته حيث اصطدموا بالاشتراكيين في مناوشة محدودة.

كان من المفترض أن تشتعل جبهة بيروت أثناء معركة شملان كنوع من الاسناد لارباك القوات الحكومية ولكن صائب سلام أوقف النار لسببين: أولهما الخوف من صعود نجم كمال جنبلاط في حال وصول قواته الى ضواحي العاصمة والمطار وثانيهما الخوف من عواقب رجحان كفة الثورة بشكل

ظاهر لأن الاميركيين لن يقبلوا بذلك وهذا ما حدث فعلا بعد نجاح انقلاب العراق.

وقعت المعركة فحقق الاشتراكيون معجزة في مواجهة الخليط الكبير من قوات الحكومـة، ولكن فضـل الله تلحوق تخوّف من جعـل عـاليـه جبهة عسكرية في وجه الدولة فلم تدم المواجهة فيها بتاريخ ٣ تموز مع قوى النجدة من الجيش طويلا وفتحت الطريق أمام التعزيزات الحكومية برأي الشيخ فضل الله بعد استشهاد عدة عناصر تقدمية هي: سعدو شميط من عاليه وهاني حاطوم من كفرنبرخ وكمال علي محمود من مجدل شمس واسماعيل زحلان من عاليه وفؤاد غريزي من بتاتر. كانت معركة عاليه شرسة وكان اندفاع الاهالي لصد النجدات الحكومية كبيرا ولكن تقديرات فضل الله تلحوق كانت تصب في خانة التهدئة وتحييد البلدة وعدم تحويلها الى جبهة عسكرية. وقع جدل كثير حول تصرف الشيخ فضل الله ولامه كمال جنبلاط لكن الواقع المادي والموضوعي قد يقدم له الاسباب التخفيفية طالما أن الصمود في عاليه لا يغير شيئا من نتيجة المعركة بوجه عام لأن جبهة بيروت توقفت عن العمل ولأن الانزال الاميركي ضبط حدود النزاع ووضع يده على المسألة برمتها.

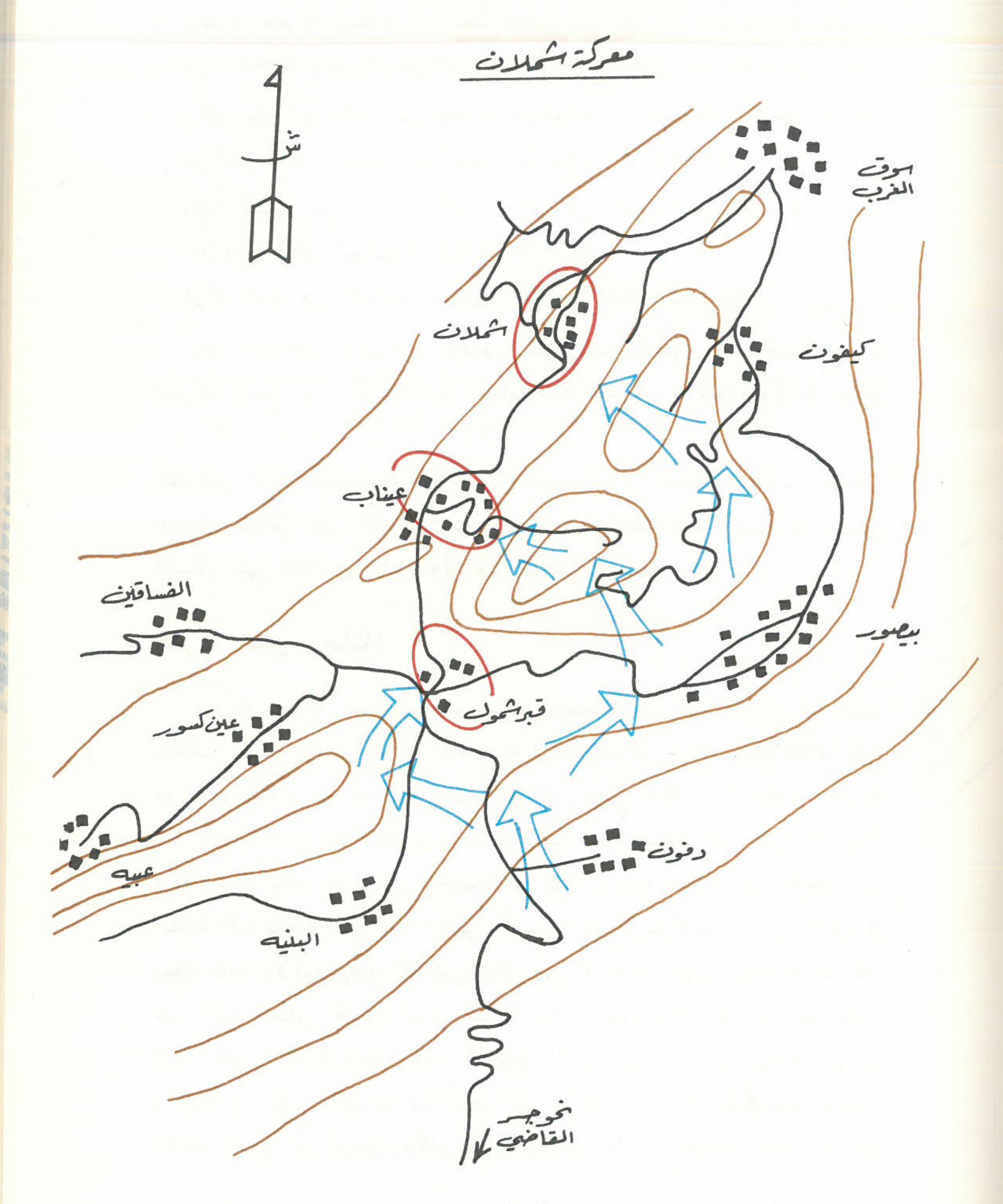
كان عديد الذين استشهدوا في هذه المعركة قليلا جدا بالقياس لضخامتها ولطول مدتها وهذه اسماؤهم فيما يلي:

- **شهداء معركة قبرشمون/** عفيف زين الدين من بطمة ونبيه المصري من صليما وقد استشهدا بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢ م.
- **شهداء معركة عيناب/** شفيق عبد الله من عيتات وشاهين جمال الدين من عاليه وشفيق معن من عين عنوب وجميل أبو تبن من بعقلين ورباح كمال الدين من السويداء وعامر أبو عماد من دير بابا وقد استشهدوا بتاريخ ١٩٥٨/٧/١ م.

حمزة عبد الخالق من بريح استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢ م.

فريد الشعار من عيناب استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٧/٣.





- **شهداء معركة شملان** / أسعد خطار من بعذران وفندي أبو ناصيف من الجاهلية وعلي فارس أبو علي من جباع وفواز أبو شقرا من عماطور ومحمد عمار أبو الحسن من بتخنيه ورضوان نمّور من بعقلين وعلي أبو عمار من دير بابا. جميعهم استشهدوا بتاريخ ١٩٥٨/٧/١ م.
مهنا البنية من الهويا ومحمد بدران من السويدا ويوسف خاطر من المعروفية وقد استشهدوا بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢ م.
فؤاد جمال من المحديثة استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٧/٤ م.

بعد التدخل الاميركي ووصول تعزيزات الجيش الى الجبهة هدأت المعركة وفتح باب الاتصالات الدبلوماسية فتمركز الاشتراكيون في مطيّر عين كسور وبقيت القوات الحكومية في مرتفعات عيناب وفصل بين الطرفين حاجز للجيش في قبرشمون. عينت الامم المتحدة مراقبين دوليين لضبط التسلل عبر الحدود السورية باستخدام الطوافات العسكرية. ولكن التسلل بقي قائما في الليل ولم تحد المراقبة النهارية من شأنه.

معركة عين زحلتا:

هدأت معركة شملان وأحس نعيم المغبغب ان كفة الميزان قد مالت لصالحه بسبب نزول القوات الاميركية في بيروت فأراد أن يوسع نطاق نفوذ قواته ويستعيد ما فقده من هيبة في الفريديس لذلك شن هجوما بتاريخ ١٩٥٨/٧/١٢ م على محورين الاول بالمشاة من القلعة نحو كفرا الباروك والثاني بالاليات من عين زحلتا نحو كفرا الباروك. انطلق الهجوم من القلعة الساعة الرابعة بعد الظهر فتصدى له الاشتراكيون الذين كانوا في يقظة تامة ولاقوه بهجوم معاكس تمكن من الالتفاف حول القلعة واحتلالها. عند ذلك انطلق الهجوم الثاني الساعة ٧,٣٠ مساء وكان قوامه اثنتا عشرة الية. تحول الاشتراكيون لصد الهجوم الثاني فتمكنوا من الوقوف بوجهه واعطاب ثلاث آليات مما أدى الى تراجع القوات الحكومية وتقدم الاشتراكيين الى أوتيل فكتوريا واحتلاله. كانت القوات التقدمية التي

معركة عين زحلتا

ش
نحو الصفا
بمريه
عين زحلتا
نحو بيت الدين
الباروك

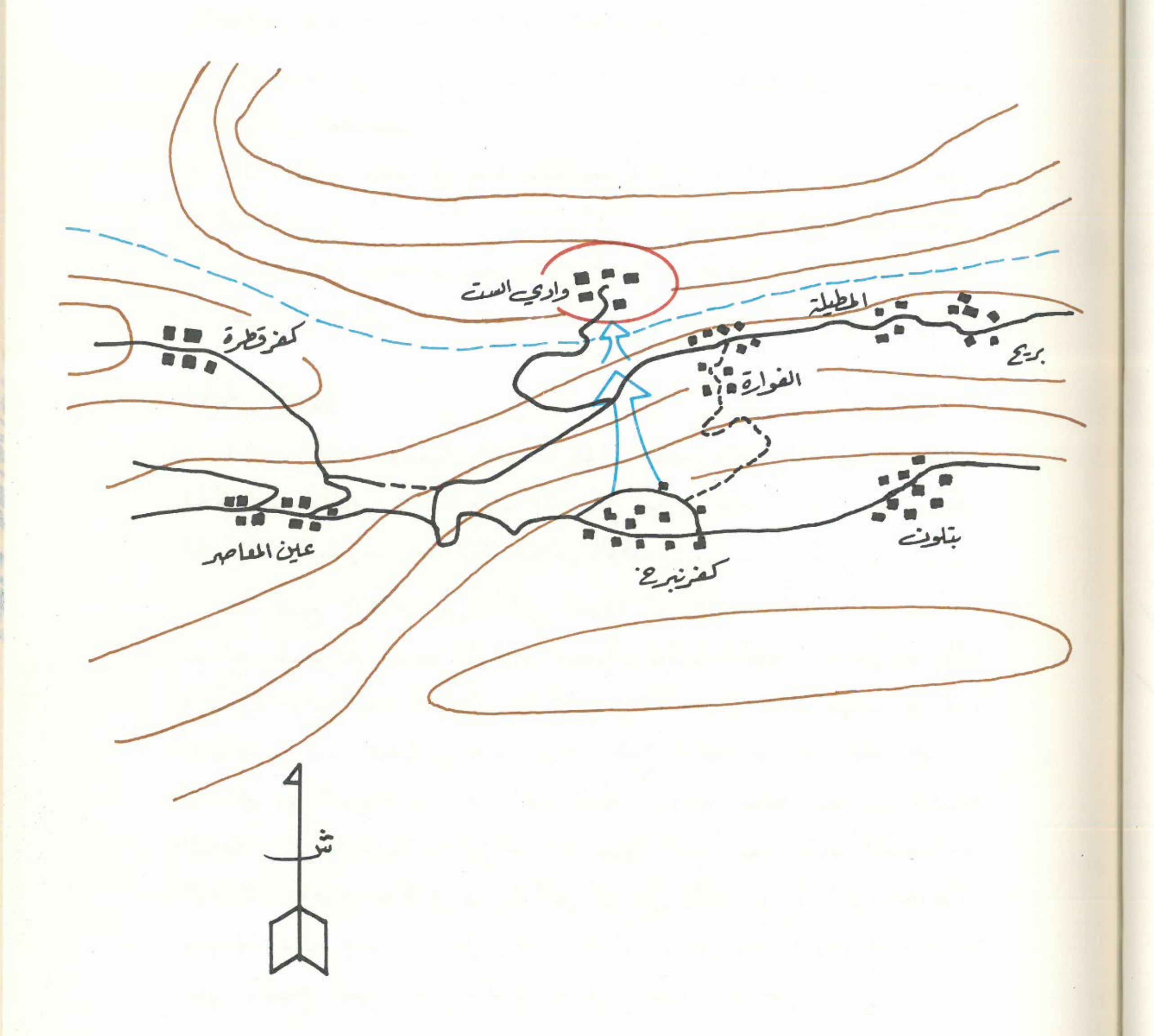
أشتركت في العملية لا تتعدى الخمس وسبعين عنصرا بقيادة جميل سعد الدين ومحمود طربيه وشارك فيها اثنان من رماة الانرجا. استشهد في هذه المعركة حسين العياص من الجاهلية وجرح اثنان آخران كانت جروحها خطرة.

كانت المعركة شرسة شارك فيها من الجانب الحكومي فضلا عن مدافع المصفحات المهاجمة الهواوين ورمايات الدبابات من موقع العزونية ولكن التقدميين تمكنوا بصلابتهم من السيطرة على الموقف ودحر الهجوم المعادي. بعد هذه الموقعة استتب الامر على هذا المحور وسيطر الجيش اللبناني في عين زحلتا ومنع كمال جنبلاط مناصريه من التقدم الى تلك المنطقة منعا باتا التزاما بالاتفاق الذي أبرمه مع الجيش سابقا.

معركة وادي الست:

تحول نعيم المغبغب من عين زحلتا الى القرى المسيحية المجاورة وأخذ يحرضها على التحرش بقوات الحزب التقدمي الاشتراكي فاستجابت له وادي الست وأخذ مسلحوها يطلقون النار على أهالي كفرنبرخ فمنعوهم من الذهاب الى أملاكهم كما منعوا فيليب البستاني من القيام بواجبه في الاشراف على تمديدات مياه الصفا قبالة وادي الست. وبتاريخ ١٩٥٨/٨/٢م أطلق مسلحو وادي الست النار على امرأة مسيحية من كفرنبرخ كانت تزور حقلها فأمر شوكت شقير عندها بنصب الهواوين في كفرنبرخ وضرب وادي الست في حال تكرار الاعتداءات. لم يدم الامر طويلا فتجدد اطلاق النار بتاريخ ١٩٥٨/٨/٣م عندها تقرر الهجوم على البلدة فكلف بذلك فصيل كفرنبرخ وفصيل المتن وأشرف على الهجوم فيليب البستاني وسلمان أبو حمزة، لذلك سميت العملية بمعركة فيليب البستاني. لم تدم الموقعة طويلا فانهزمت شرازم نعيم المغبغب ودخل التقدميون وادي الست وطأنوا الاهالي الى مصيرهم ولم يحدث بعد ذلك أي احتكاك يذكر بين الاشتراكيين وأنصار نعيم المغبغب. استشهد في هذه المعركة رفيق أبو غانم من كفرنبرخ ولم يكن الشهيد الاخير في الاحداث

معركة وادي الست



لان القوميين السوريين وأنصار نعيم المغبغب بدأوا يتبعون سياسة التفجير داخل القرى الدرزية التي سيطر عليها الاشتراكيون ولم تتخلف طائرات الدولة عن القيام ببعض الطلعات وقصف المواقع الاشتراكية فسجل مرصد الاحداث عدة حوادث دامية في المنطقة هي:

- غارة جوية على بتلون بتاريخ ١٩٥٨/٩/١٥ استشهد من جرائها تركي غانم من العفينــــة.
- حادث شجار مسلح في بدغان بتاريخ ١٩٥٨/٩/١٥ استشهد فيه أديب شيا.
- حادث شجار مسلح بتاريخ ٥٨/١٠/٣١ في خريبة الشوف استشهد فيه سعيد زين الدين.

نهاية الثورة:

انتهت الثورة رسميا بانتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية وتسلمه الحكم بعد اتفاق رعاه المبعوث الاميركي مورفي وجمال عبد الناصر ولكن الحزازات استمرت بعد ذلك لبعض الوقت.

لقد صيغ الاتفاق على أساس العودة الى صيغة ١٩٤٣م مع مراعاة مصالح الجمهورية العربية المتحدة اقليميا والولايات المتحدة الاميركية دوليا وسيطرة فؤاد شهاب على الداخل اللبناني. لم يطمئن فؤاد شهاب الى هذا الاتفاق بل ثبته عمليا بتشجيعه ثورة الكتائب المضادة ابان تأليف الوزارة مما أدى الى الخروج بوزارة رباعية سنية مارونية وبذلك تكرست الصيغة القديمة ولكن التعديلات التي طرأت عليها كانت اتباع مبدأ المناصفة في الوظائف واعتماد الحكم في مسيرته على كل من رشيد كرامي وكمال جنبلاط وصبري حماده وبيار الجميل وفؤاد بطرس في تركيبة أفرزت فيما بعد ما سمي بالنهج الشهابي في الحكم والتعامل اللبناني الداخلي.

رضي كمال جنبلاط بالحل من منطلق مفهومه التسووي ودعم الحكم حتى آخر عهد فؤاد شهاب واسهم في بناء المؤسسات الضابطة للسياسة كمجلس

الخدمة المدنية ومجلس القضاء الاعلى والتفتيش المركزي وقدم توطئة هامة وتمهيدا أساسيا لانطلاق الضمان الاجتماعي.

لقد كانت ثورة ١٩٥٨م من منطلق تقدمي ثورة فروسية ونبل مورست فيها الاخلاق العربية الاصيلة والدرزية المتأصلة كان الاندفاع تطوعا ولم يقبض أحد أي قرش فكان لباسه من بيته وزاده من معجنه غالبا ولم تسجل أية تجاوزات أخلاقية ولم يحس الاهالي بوطأة السلاح فلا غطرسة على الحواجز ولا سخرة أو استخدام لاموال ومصالح الغير بل اخوة وتعاون وشهامة وتضحية لقصد سياسي واجتماعي شريف أحس فيه الجميع بأن الثورة ثورتهم رغم وجود التيارات المناوئة الكبيرة في المنطقة كتيار نعيم المغبغب وتيار الامير مجيد أرسلان واتجاه القوميين السوريين. كانت القوة الدرزية المناوئة للثورة في بعقلين حيث اتحد القوميون مع أنصار قحطان حمادة الامر الذي سمح للقوميين بالتمركز في رأس الجاموس في بداية الاحداث واطلاق النار على الثوار مما دفع رجال الدين الى عقد اجتماع عام وتقرير تحييد البلدة ووضع حواجز على مداخلها لمنع الدخول والخروج منها. لكن تصرف كمال جنبلاط الواعي وممارسة الثوار بأخلاقية وانضباط فتح قلب بعقلين للثورة فالتحق بها الكثيرون وانكفأ المعارضون وأصبحت ممرا طبيعيا للنجدات المسلحة الى شملان دون وقوع أي احتكاك أو بروز أية حساسية طبعا كان للسيطرة العسكرية دور كبير في تراجع اخصام الثورة وكبح جماحهم ولكن الحكمة كانت العامل الأساسي في ترويض الاخصام سيما وأن الثورة لم تأخذ الطابع الطائفي فالتحق بصفوفها السني والمسيحي بالاضافة الى الدرزي فكان بعض شباب الفريديس والمعاصر المسيحيين من العاملين بنشاط في حقل التموين والامداد كما اشترك بعض السنة في العمليات كسعيد أبي حويلة مثلا.

لقد فشل كميل شمعون في تحويل المعركة الى صراع طائفي على الأقل في النطاق التقدمي والدرزي، كما فشل في شق الدروز وبذلك يكون كمال جنبلاط قد حقق نجاحا مزدوجا بالاضافة الى انجازاته العسكرية الرائعة

الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٧٥ م.

لم تبدأ الحرب الاهلية في لبنان عام ١٩٧٥ م اذا شئنا الدقة في التحديد ولكن مقدماتها انطلقت مع هزيمة العرب في حرب ١٩٦٧ م وصعود نجم الكفاح المسلح الفلسطيني كعمل بديل للحرب النظامية التي فشلت الجيوش العربية في خوضها. توجهت جميع الانظار العربية الى الكفاح المسلح والعمل الثوري غير النظامي واثبتت منظمة التحرير الفلسطينية القدرة على الضرب داخل اسرائيل ولكنها كانت تحتاج الى منطلقات على الجانب العربي من الحدود لتـؤمن الملاذ الآمن وأماكن الخزن والتدريب وقع الخيار الفلسطيني على الحدود اللبنانية لتكون المنطلق واختيرت المخيمات لتكون قواعد التدريب ومخازن المعدات. لم يكن الاختيار صدفة ولكنه كان بسبب عدم تشديد الحكومة اللبنانية في معاملة المتسللين الفلسطينيين عبر الحدود وبسبب كثرة اللاجئين على الأرض اللبنانية فضلا عن وجود قاعدة شعبية كبيرة داخل الصف اللبناني تـؤيد العمل الفدائي وهي مستعدة للتلاحم معه في معركة مصيرية ضد العدو الصهيوني، هذا بالاضافة الى أن الحدود العربية الأخرى كانت مقفلة بشكل صارم في وجه أي تسلل الى داخل الارض المحتلة وغالبية العرب يشجعون سرا اتخاذ لبنان منطلقا للعمليات.

بدأت أعمال التسلل الفلسطيني عبر الحدود اللبنانية تتكاثر وأخذت اسرائيل ترد بدورها على كل عملية بغارة عسكرية تارة على المخيمات الفلسطينية وطورا على القرى اللبنانية الآمنة الامر الذي قسم الرأي العام

اللبناني الى فريقين: فريق مسيحي ينادي بوقف تسلل الفلسطينيين ونزع سلاحهم ومعاملتهم كما تعاملهم بقية الدول العربية وذلك اتقاء للشر الاسرائيلي ورغبة في ابقاء اللاجئين فئة ضعيفة خوفا من تأثيرها على التوازن الديموغرافي اللبناني لصالح المسلمين والوطنيين مما يؤثر على الصيغة اللبنانية ويضعها في مهب الريح. أما الفئات الاسلامية والوطنية فرأت وجوب تقوية الجيش اللبناني والدخول مع الفلسطينيين في حلف مصيري لمواجهة التعنت الصهيوني ايمانا منها بحتمية وقوف لبنان وانتمائه العضوي الى المجموعة العربية. رغب المسلمون والوطنيون بأن يصبح لبنان دولة مواجهة تحمل وزر القضية العربية الاولى بالسلاح والدم لكن الفئات المسيحية أخذت الخيار الاخر فنادت بمقولة قوة لبنان في ضعفه وفي صداقاته الدولية راغبة في ذلك بالتحلل من الالتزامات العسكرية تجاه العرب وفي جعل لبنان دولة مساندة تؤمن المستشفى للمقاتلين ومنبر الاعلام للقضية الفلسطينية في اطار من عدم تحمل المسؤولية أو التبعات.

خاف المسيحيون من تنامي القوة العسكرية الفلسطينية بدعم عربي فاحسوا بالحاجة الى قوة عسكرية لبنانية موازنة ولكنهم لم يكونوا يرغبون في تقوية الجيش خوفا من اضطرارهم للالتزام العسكري بقضايا الدفاع العربي المشترك أو الاضطرار الى الوقوف في وجه اسرائيل عند اغاراتها على المخيمات الفلسطينية لئلا يتورطوا في مواجهة معها فاختاروا أسلوبا بدائيا آخر أخطأوا في تقدير جدواه وتأثيره على الصيغة التي يرغبون المحافظة عليها. اختاروا أسلوب تكوين الميليشيات الشعبية وجعلها الدرع الأساسية في الحفاظ على الصيغة الوطنية فانطلقت الغريزة الطائفية في عقالها واشتد أوارها بينما دفع ذلك المسلمين والوطنيين الى الوقوع في أحضان المقاومة الفلسطينية خوفا من البندقية المسيحية وجرهم جرا الى التسلح لتأمين التوازن بينهم وبين مواطنيهم المسيحيين.

أخذت القضايا تتفاقم فاصطدم الجيش اللبناني بالفلسطينيين عام

١٩٦٨ م وأدى ذلك الى عقد اتفاق القاهرة الذي لم يرض عنه معظم المسيحيين فأخذت أبواقهم بالتحريض عليه وازدهر شأن الحلف الثلاثي واشتد أوار الحرب السياسية بين المسيحيين والمسلمين الوطنيين، وكان كمال جنبلاط في هذه المعركة رأس الحربة الوطنية في وجه الانعزال المسيحي الذي لم يبق مواجهته مع الفلسطينيين ومؤيديهم بل تعدى ذلك الى الوقوف في وجه كل ما هو عربي والترويج لفينيقية لبنان وبعده عن محيطه، لدرجة ان سعيد عقل أخذ يشدد حملته في الدعاية للغة اللبنانية والدعوة الى الابتعاد عن اللغة العربية. تفاقمت الامور ودخلت القوات الاسرائيلية الى جنوب لبنان عام ١٩٧٢ م أثناء وزارة صائب سلام وتصدى لها الجيش اللبناني دون أي تحرك عربي ولولا تدخل الجنرال ديغول لم ينسحب الاسرائيليون بسرعة كان موقف الجيش اللبناني انتحار ضعيف أمام عدو قوي فاستشهد العديد من العسكريين واستغلت دماؤهم من قبل الوزارة في مجال الاعلام السياسي. زاد هذا الامر الفرقة بين المسلمين والمسيحيين وغذاها اندفاع رئيس الجمهورية سليمان فرنجية بالاتفاق مع كميل شمعون وبيار الجميل في انشاء الميليشيات وتدريبها وتسليحها تحت سمع وبصر جميع أجهزة الاعلام المحلية والدولية وباشتراك ضباط من الجيش اللبناني.

وجاء عام ١٩٧٣م حيث تمكنت اسرائيل من اغتيال ثلاثة زعماء فلسطينيين داخل بيروت الغربية هم أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان دون أن يظهر أية ردة فعل مهمة للجيش اللبناني الامر الذي دفع صائب سلام للاستقالة وأدى الى صدام مسلح عنيف في العاصمة بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية دام أكثر من أسبوع وتدخلت لحسمه الدول العربية فانتهى باتفاق ملكارت المتمم لاتفاق القاهرة.

تجدد الصدام عام ١٩٧٤ م في المناطق الشرقية بين الفلسطينيين وحزب الكتائب هذه المرة، ولكنه طوق بفضل حكمة كمال جنبلاط وممثله في الوزارة بهيج تقي الدين وبقي في اطاره المحدود وأخذت الاجواء تتهيأ للصدام الكبير عام ١٩٧٥ م.

اللبناني الى فريقين: فريق مسيحي ينادي بوقف تسلل الفلسطينيين ونزع سلاحهم ومعاملتهم كما تعاملهم بقية الدول العربية وذلك اتقاء للشر الاسرائيلي ورغبة في ابقاء اللاجئين فئة ضعيفة خوفا من تأثيرها على التوازن الديموغرافي اللبناني لصالح المسلمين والوطنيين مما يؤثر على الصيغة اللبنانية ويضعها في مهب الريح. أما الفئات الاسلامية والوطنية فرأت وجوب تقوية الجيش اللبناني والدخول مع الفلسطينيين في حلف مصيري لمواجهة التعنت الصهيوني ايمانا منها بحتمية وقوف لبنان وانتمائه العضوي الى المجموعة العربية. رغب المسلمون والوطنيون بأن يصبح لبنان دولة مواجهة تحمل وزر القضية العربية الاولى بالسلاح والدم لكن الفئات المسيحية أخذت الخيار الاخر فنادت بمقولة قوة لبنان في ضعفه وفي صداقاته الدولية راغبة في ذلك بالتحلل من الالتزامات العسكرية تجاه العرب وفي جعل لبنان دولة مساندة تؤمن المستشفى للمقاتلين ومنبر الاعلام للقضية الفلسطينية في اطار من عدم تحمل المسؤولية أو التبعات.

خاف المسيحيون من تنامي القوة العسكرية الفلسطينية بدعم عربي فاحسوا بالحاجة الى قوة عسكرية لبنانية موازنة ولكنهم لم يكونوا يرغبون في تقوية الجيش خوفا من اضطرارهم للالتزام العسكري بقضايا الدفاع العربي المشترك أو الاضطرار الى الوقوف في وجه اسرائيل عند اغارتها على المخيمات الفلسطينية لئلا يتورطوا في مواجهة معها فاختاروا أسلوبا بدائيا آخر أخطأوا في تقدير جدواه وتأثيره على الصيغة التي يرغبون المحافظة عليها. اختاروا أسلوب تكوين الميليشيات الشعبية وجعلها الدرع الأساسية في الحفاظ على الصيغة الوطنية فانطلقت الغريزة الطائفية في عقالها واشتد أوارها بينما دفع ذلك المسلمين والوطنيين الى الوقوع في أحضان المقاومة الفلسطينية خوفا من البندقية المسيحية وجرهم جرا الى التسلح لتأمين التوازن بينهم وبين مواطنيهم المسيحيين.

أخذت القضايا تتفاقم فاصطدم الجيش اللبناني بالفلسطينيين عام

١٩٦٨ م وأدى ذلك الى عقد اتفاق القاهرة الذي لم يرض عنه معظم المسيحيين فأخذت أبواقهم بالتحريض عليه وازدهر شأن الحلف الثلاثي واشتد أوار الحرب السياسية بين المسيحيين والمسلمين الوطنيين، وكان كمال جنبلاط في هذه المعركة رأس الحربة الوطنية في وجه الانعزال المسيحي الذي لم يبق مواجهته مع الفلسطينيين ومؤيديهم بل تعدى ذلك الى الوقوف في وجه كل ما هو عربي والترويج لفينيقية لبنان وبعده عن محيطه، لدرجة ان سعيد عقل أخذ يشدد حملته في الدعاية للغة اللبنانية والدعوة الى الابتعاد عن اللغة العربية. تفاقمت الامور ودخلت القوات الاسرائيلية الى جنوب لبنان عام ١٩٧٢ م أثناء وزارة صائب سلام وتصدى لها الجيش اللبناني دون أي تحرك عربي ولولا تدخل الجنرال ديغول لم ينسحب الاسرائيليون بسرعة كان موقف الجيش اللبناني انتحار ضعيف أمام عدو قوي فاستشهد العديد من العسكريين واستغلت دماؤهم من قبل الوزارة في مجال الاعلام السياسي. زاد هذا الامر الفرقة بين المسلمين والمسيحيين وغذاها اندفاع رئيس الجمهورية سليمان فرنجية بالاتفاق مع كميل شمعون وبيار الجميل في انشاء الميليشيات وتدريبها وتسليحها تحت سمع وبصر جميع أجهزة الاعلام المحلية والدولية وباشتراك ضباط من الجيش اللبناني.

وجاء عام ١٩٧٣م حيث تمكنت اسرائيل من اغتيال ثلاثة زعماء فلسطينيين داخل بيروت الغربية هم أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان دون أن يظهر أية ردة فعل مهمة للجيش اللبناني الامر الذي دفع صائب سلام للاستقالة وأدى الى صدام مسلح عنيف في العاصمة بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية دام أكثر من أسبوع وتدخلت لحسمه الدول العربية فانتهى باتفاق ملكارت المتمم لاتفاق القاهرة.

تجدد الصدام عام ١٩٧٤ م في المناطق الشرقية بين الفلسطينيين وحزب الكتائب هذه المرة، ولكنه طوق بفضل حكمة كمال جنبلاط وممثله في الوزارة بهيج تقي الدين وبقي في اطاره المحدود وأخذت الاجواء تتهيأ للصدام الكبير عام ١٩٧٥ م.

في هذه المرحلة أخذ الفلسطينيون يكدسون السلاح، بعد أن أبلغهم الرئيس سليمان فرنجية عدم قدرة لبنان على حماية مخيماتهم وبعد أن أخذوا يشاهدون التدريب والتسليح في المنطقة الشرقية على قدم وساق سيما وأن تجربتهم في الاردن عام ١٩٧٠ م قد أبقتهم على حذر من جميع النظم العربية.

لعب كمال جنبلاط في هذه الفترة دور المدافع عن الفلسطينيين والمحاور بينهم وبين الدولة فأسهم عام ١٩٧٣ م بالتهدئة وشارك مع الوزير بهيج تقي الدين عام ١٩٧٤م بحل الخلاف بين المقاومة والكتائب وبقي اللسان السياسي المدافع عن المقاومة والدرع الشعبية الواقية لها ولكنه كغيره من الصف الوطني أحس بالرهبة من السلاح المسيحي فأخذ يحث أنصاره على التسلح لخلق التوازن الداخلي والاطمئنان النفسي حيال تعاظم القوة العسكرية المسيحية وما رافقها من الشوفينية والتزمت. كان خيار كمال جنبلاط من ذلك الحين لا يزال الدولة القادرة السائرة في الركب العربي ولكنه بعد عام ١٩٧٣ م لم يعد ينادي بتقوية الجيش الا من خلال صيغة مشروطة بالالتزام بالقضايا العربية لأن التجربة علمته بأن المارونية السياسية قد استخدمت الجيش للقضاء على المقاومة الفلسطينية أولا والارتداد الى الصف الوطني اللبناني بعد ذلك.

وانطلقت شرارة الحرب في ١٣ نيسان عام ١٩٧٥ م على أثر مقتل ما يربو على الثلاثين فلسطينيا ولبنانيا في منطقة عين الرمانة. على أيدي الكتائب كان كمال جنبلاط عنيفا في نقده للتفرد الماروني ولاندفاعات حزب الكتائب، ولكنه بقي اللسان العربي الوطني للمقاومة ولم يدخل الى حلبة الصراع العسكري بثقله بل شارك بعناصر الحزب التقدمي الاشتراكي المتواجدين في بيروت فاتحا الباب أمام الحوار ليأخذ مجراه معتقدا بأنه قادر على تحقيق ثلاثة أهداف مترادفة من خلال موقفه الوطني وتقديمه الدرع السياسية للبندقية الفلسطينية بحيث تصبح المعادلة درع وبندقية وهذه الاهداف الثلاثة هي:

★ حماية المقاومة الفلسطينية.

★ المحافظة على عروبة لبنان والالتزام بالمصير العربي.

★ تأمين الاصلاحات اللبنانية الداخلية.

كان كمال جنبلاط يعطي الدور السياسي القسط الاكبر في عمله فأسس الحركة الوطنية وطور مطالبها في ١٣ تموز ١٩٧٥ م بمقترحاته الخمس والعشرين لتعديل النظام التي كانت الارضية التي بنيت عليها مطالب الاصلاح الوطني في الوثيقة الشهيرة التي بقيت ردحا من الزمن الاساس لكل مطلب اصلاحي. لم يهمل كمال جنبلاط الشق العسكري وان كان قد وضعه في المرتبة الثانية فأخذ يسلح مؤيديه باستقدام السلاح عبر قناتين: الاولى من سوريا والثانية بواسطة منظمة فتح. قسم السلاح الى فئتين: السلاح السياسي وهو ما يقصد به تسليح الناس كافة بحيث يعطي كل من يدفع ثمن قطعة سلاح بندقية يتصرف بها كيف شاء في الدفاع عن نفسه. كان المقصود من هذا التدبير تحصين القرى وتطمين الشعب واستقطاب الفئات المناوئة والمترددة. أما الفئة الثانية فهي السلاح التعبوي وكان يخصص للحزبيين أو المناصرين الذين يلتزمون بالعمل العسكري ضمن مجموعات أو فصائل تلبي النداء عند الطلب. لم يدفع المقاتلون ثمن السلاح التعبوي بل تكفل الحزب الاشتراكي بدفع الثمن من ميزانيته ومن الاموال التي توفر من السلاح السياسي لأن ثمن البندقية السياسية كان يزيد عن ثمنها الاصلي حيث حدد سعر الكلاشنكوف بخمسماية ليرة وسعر السمينوف بثلاثماية ليرة لبنانية. كانت عملية التسليح تسير ببطء ولم يزد عدد السلاح المستقدم عن الخمسين قطعة في الدفعة الواحدة كما كان الوقت بين الدفعة والدفعة يمتد الى الشهر غالبا.

وكما كان التسلح يسير ببطء كان التدريب يسير بطريقة ابطأ. الجميع لا يؤمنون بأهمية التدريب، وكل ما يهمهم هو تفكيك السلاح وتركيبه ومعرفة طريقة تشغيله أما الباقي من أمور فنية وتعبوية فلم تكن تعنيهم بشيء. كان الدرزي يحتقر التدريب ويظن أن المقاتل يولد مقاتلا بالفترة وقد

أخذت عملية نزع هذه الفكرة الخاطئة من الرؤوس جهادا ووقتا كبيرين.

كانت فترة صيف ١٩٧٥ م مرحلة تراخ فلم ينطلق التدريب وبقي التسليح في اطار الكماليات عند الشعب ولكن شهر أيلول كان حاسما وغيّر المفاهيم عندما احتدمت المعارك أثر توقيع اتفاقية سيناء وبعد تغيير قائد الجيش في ١٠ أيلول ١٩٧٥ م. اشتدت الهمة في حقل التسليح ومد حنا سعيد القائد الجديد للجيش يده الى كمال جنبلاط محاولا استرضاءه فنقل له بعض كميات الاسلحة كما تفتح الوعي السياسي عند الناس وأدركوا مخاطر الحرب بعد توقيع اتفاقية سيناء فأخذ الاقدام على التسليح يزداد وأخذت تقام حلقات التدريب الصغيرة في القرى يديرها العسكريون المتقاعدون كما أسهمت بعض كوادر المقاومة الفلسطينية في تدريب سادني السلاح التعبوي ولكن ضمن دورات مقتضبة وبدائية.

خلال فصل الصيف تفاقمت الامور بعد أن اندفع المسيحيون جنبا الى جنب مع الجيش في مواجهة القوة العسكرية الفلسطينية مما هيأ الاجواء لكمال جنبلاط ليأخذ نقلة نوعية جديدة وينشىء قيادة عاليه العسكرية والسياسية. تعتبر عاليه معقل الامير مجيد أرسلان وعاصمته الثانية ولكنه لم يتلمس الخطر الذي أفرزته الاحداث فلم يتحرك عسكريا بل بقي ينادي بتأييد الشرعية والجيش ورئيس الجمهورية وأهمل عاصمته عاليه فأخذ كتائب الكحالة يتنقلون داخلها بسلاحهم لدرجة أغرت بعضهم بالاقدام على تنظيم دور شراء الخبز في أحد الافران. أدرك كمال جنبلاط خطورة ذلك وخاف من أن يؤدي الفراغ العسكري في عاليه الى سيطرة الكتائب عليها نهائيا فقرر انشاء قيادة فيها ذات شقين سياسي وعسكري. كانت القيادة السياسية تتألف من خالد جنبلاط وعباس خلف والقيادة العسكرية من الزعيم شوكت شقير وبعض المساعدين. افتتحت القيادة في مركز الحزب على طريق بحشتيه وفي منزل خالد جنبلاط وأخذت تصلّب الموقف وتجمع الانصار فتمكنت في فترة وجيزة من السيطرة على عاليه ومنع الكتائب من

الدخول اليها وذلك قبل أن ينطلق أحمد الخطيب بحركته المشهورة في النصف الثاني من كانون الثاني عام ١٩٧٦ م، ولكنها منيت بنكسة عسكرية بسيطة بعد ذلك في المديرج عندما قاد الفلسطيني أبو العبد الاشتراكيين لمواجهة الجيش اللبناني فسقط للتقدميين عدة اصابات دون مبرر.

بدأت القيادة المركزية في عاليه عملها مع مطلع عام ١٩٧٦ م ولم تضع وقتها بل تحركت بنشاط فحددت بتاريخ ٧٦/١/٧ الوحدة النارية لكل سلاح وأوضحت طريقة تخزين الذخائر في القطاعات. وبتاريخ ١٩٧٦/١/٢٥ شكلت تمشيا مع الظرف السياسي قوة لضبط وقف اطلاق النار في منطقة الجبل ولازالة المظاهر المسلحة واعادت فتح الطرق بعد أن تمت السيطرة النهائية على عاليه وجوارها. وبتاريخ ٧٦/١/٢٧ ورغبة في قمع التعديات والتجاوزات احقاقا للعدالة بين أفراد الشعب انشىء مجلس شرف من رئيس ومستشارين وكلف بتطبيق الاحكام العدلية حسب القوانين اللبنانية على المتخاصمين قوامه السادة عارف الاعور (رئيسا) وحسيب ملاعب وعيد عبد النور (مستشارين) وعادل حاطوم (مدع عام) وحافظ جابر وخالد نصر (محققين) وغسان نصار (محام دفاع).

تابع العمل التنظيمي سيره فطلب من القطاعات بتاريخ ٧٦/١/٢٨ احصاء الاسلحة الفرنسية التي ترمي ذخائر ٧,٥ ملم بغية تأمين الامدادات اللازمة لها، وبتاريخ ٧٦/١/٣٠ كلف يوسف البعيني بإدارة مصلحة المخابرات (الاشارة)، وفي ٧٦/٢/١ حددت الحواجز والمخافر في القطاع الاوسط وبلغ عددها العشرة. بتاريخ ٧٦/٢/٢ صدر جدول بتنظيم الفصائل وتسليحها وبتاريخ ٧٦/٢/٢٠ تقرر انشاء مخيم في منطقة الدوحة (عرمون) للتدريب على مختلف الاسلحة والقتال في مختلف الحالات برئاسة انيل أبي غنام على أن يبدأ العمل بتاريخ ٧٦/٣/١ وخصصت لاول مرة رواتب شهرية لعناصر التدريب والادارة على الشكل الآتي:

- قائد المعسكر ٣٠٠ ل.ل.

- المسؤول الاداري ٢٥٠ ل.ل.
- طاقم المدربين ٥٠٠ ل.ل. (كمبلغ اجمالي).
- عناصر الحرس والمطبخ والسائق ٥٠٠ ل.ل. (كمبلغ اجمالي).

بالاضافة الى ذلك حددت مهمة ضباط وضباط الصف التابعين (لفتح) والملحقين بقيادة القطاعات والقواطع بوضوح ففرق بين التدريب والعمليات وأبقي القرار في يد الحزب التقدمي الاشتراكي وصنف الفلسطينيون كفنيين ومستشارين. لقد كان تحديد راتب شهري لعناصر التدريب التجربة الاولى في هذا المضار لأن كمال جنبلاط لم يكن يؤمن بالعمل المأجور بل كان يعتقد بالاندفاع والتطوع ولكن الاحداث أجبرته فيما بعد على تبني هذا الاسلوب مضطرا بعد أن حاول كثيرا تفادي تبنيه لدرجة جعلته يعارض ارسال كميات قليلة من الدخان الى الجبهة بحجة أن ذلك يضر بالصحة ويفسد المقاتل. عارض كمال جنبلاط ذلك ولكنه اضطر فيما بعد وتحت ضغط الاحداث الى اعتماد سياسة الدفع الاسبوعي ثم الشهري ومن ثم الالتزام داخل قوات نظامية.

بتاريخ ٧٦/٢/٢٥ أخضعت القيادة المركزية الحواجز والمخافر الى سلطة لجنة الارتباط وحددت صلاحيات كمال الجردي قائد سرية الامن في عاليه، كما قررت التدابير التي يجب اتخاذها بحق المقاتلين الذين يتخلفون عن تلبية الواجب أو الذين يسافرون الى الخارج ففرض عليهم اعادة سلاحهم التعبوي الى قيادة الحزب.

بعد هذه الاجراءات الادارية سارت عجلة العمل العسكري والتنظيمي بشكل سليم حتى ضغطت الاحداث بكلكليها وانفراط عقد الجيش في ١٩٧٦/٣/١١م أثر انقلاب عزيز الاحدب فلجأ كثير من الضباط والجنود الى كمال جنبلاط الامر الذي سمح له في أواخر شهر آذار بالتهويل بانشاء جيش فخر الدين المعني ولكن ذلك بقي في اطار التهويل السياسي، ورأى كمال جنبلاط أن يستفيد من خبرة الضباط في اعادة تنظيم قيادته المركزية ابتداء من مطلع شهر نيسان.

جاء نيسان وبدأت عملية اعادة التنظيم تحت ضغط مناوىء من المقاومة الفلسطينية خشية أن تفقد تأثيرها العسكري الفاعل على الحزب. كانت المقاومة تريد ابقاء نشاطات الحزب التقدمي الاشتراكي محكومة بخبراتها كما كانت ترغب في دمج العسكريين بجيش لبنان العربي الذي تسيطر عليه ولكن رغبتها لم تنجح وشقت تنظيمات الحزب طريقها بحذر وبقدم ثابتة بعد أن لاحظ كمال جنبلاط أن المقاومة تحاول ابقاء قراره مرهونا بمواقفها وبعد أن ظهرت له بعض التناقضات السياسية معها.

كان قرار فتح جبهة الجبل قرارا مشتركا بين المقاومة الفلسطينية وكمال جنبلاط والجبهة اللبنانية ولكل هدفه وقد تلاقت التوجّهات رغم تباين الاهداف. رغب كمال جنبلاط بفتح جبهة الجبل لكي يتمكن من رفع مستوى تأثيره في مجريات الحرب لأن المقاومة كانت تسيطر سيطرة تامة على الساحة البيروتية وتوجه خطها العسكري وحوارها السياسي أما الجبهة اللبنانية فقد اندفعت بفتح جبهة الجبل علها تضغط على كمال جنبلاط، الذي لم يكمل تسليح انصاره فيخفّف من غلوائه، ويحد من تهجماته السياسية على الصف المسيحي، أما المقاومة الفلسطينية فقد رغبت في تشديد الضغط على الجبهة اللبنانية ودفع كمال جنبلاط للانغماس اكثر فأكثر في العمل العسكري. فُتحت المعركة في أواخر آذار على يد رئيس الرابطة المارونية شاكر أبي سليمان، الذي أنذر دروز المتين لتسليم سلاحهم كونهم قلة، ولكنهم رفضوا واشتبكوا مع القوات اللبنانية وتمكّنوا من السيطرة على الموقف، بعد أن أنجدهم كمال جنبلاط وبذلك فتحت جبهة الجبل رسميا.

معارك الكحالة:

في مطلع شهر نيسان عام ١٩٧٦م وبعد فتح جبهة الجبل كانت أنظار الاشتراكيين موجهة الى الكحالة لأن كتائبها كانوا قد تحرشوا أكثر من مرة بأهالي عاليه قبل أن يفتح كمال جنبلاط القيادة المركزية فيها. كان

الاشتراكيون يرغبون في مهاجمة الكحالة ولكن المقاومة الفلسطينية كانت لا ترغب في ذلك مسايرة لسوريا والتزاما بوعد قطعه ياسر عرفات للمسؤولين السوريين. تضاربت الاغراض وكانت المقاومة هي التي تسيّر دفة العمليات العسكرية في ذلك الحين ولم يكن دور الزعيم شوكت شقير يتعدى صلاحيات مسؤول التعبئة الذي يؤمن المقاتلين للقائد الفلسطيني المشرف على ادارة المعركة. حاول الفلسطينيون ارضاء كمال جنبلاط وسوريا في نفس الوقت فأخذوا يشنون هجمات صورية على الكحالة ويتراجعون عنها بحجة صعوبة سقوطها وقد ساعدهم في ذلك قلة خبرة الاشتراكيين بالقتال وعدم ملاحظتهم للمناورة الفلسطينية الذكية التي انكشفت بعد الهجوم الثالث وبعد اطلاع الضباط اللبنانيين على سير المعركة وأسلوب الحركة والقيادة مما أدى الى ايقاف الهجمات لفترة طويلة. هوجمت الكحالة في ذلك الوقت ثلاث مرات منها مرة نهارا ومرتان ليلا وكان المهاجمون يصلون الى كنيسة البلدة ويتراجعون بناء للاوامر أو بعد انسحاب القائد الفلسطيني دون ضغط معاد. وقد جاءت المهزلة في الهجوم النهاري حيث رجع الجميع بالحداء والحوربة يبشرون بسقوط الكحالة وكانت حجة رجوع كل منهم أنه يريد ابلاغ ذلك للقيادة ولذا لم تسقط الكحالة سيما وأن المقاومة لم تضع قوات من عناصرها في العملية بل اكتفت بقيادة الاشتراكيين غير المدربين وغيرهم من عناصر الاحزاب اللبنانية وأخذت تناور بهم دون معرفتهم لما يجري.

اعادة التنظيم:

بعد انقلاب عزيز الاحدب التحق العديد من الضباط والعسكريين بقيادة عاليه فكان لا بد من اعادة التنظيم وادخال الكوادر الجديدة في هيكلية القيادة الامر الذي لم ترض عنه فتح وحاولت عرقلة مسيرته ولكن اصرار كمال جنبلاط دفع العملية في مسارها الصحيح.

بوشر بالتنظيم الاول بتاريخ ٧٦/٣/٢٧ ثم عدل مرارا واستقر بتاريخ

٧٦/٤/٩ بعد أن تخلف عن متابعة المسيرة في بدايتها كل من المقدم يوسف ذبيان والرائد حسان جابر والملازم أول رياض مزهر والملازم أول سامي الينطاني والملازم الاول زيدان نصر الدين والنقيب محمد السلطان والرائد ماجد حماده والملازم ناصر الزهيري. على أثر ذلك شكلت قيادة عاليه من الضباط الآتية أسماؤهم:

الاسم	المهمة
- الزعيم شوكت شقير	القائد العام
- العقيد فؤاد المرود	مساعد القائد العام
- المقدم فؤاد حسن	رئيس الاركان
- الرائد عادل ذبيان	رئيس الشعبة الثالثة
- الرائد معروف أمين	مسؤول سلاح الاشارة
- الرائد شريف فياض	مساعد رئيس الشعبة الثالثة
- النقيب رياض تقي الدين	رئيس الشعبة الثانية
- النقيب ناجي حسن	رئيس الشعبة الاولى
- الملازم أول رفيق البعيني	رئيس الشعبة الرابعة
- الملازم أول عصام ذبيان	أمانة السر العامة
- الملازم أول كمال رشيد	مسؤول سرية المساعفة
- الملازم أول سليم أبو اسماعيل	سلاح المدفعية
- الملازم رياض شيا	سلاح المدفعية
- الملازم سهيل حماد	سلاح المدفعية
- الملازم غسام العياض	سلاح المدرعات

هذا وقد قل عدد الضباط في هذه القيادةفيما بعد بانتقال بعضهم الى الشوف وبترك البعض لمهامهم كما التحق بها الملازم شوقي المصري من جيش لبنان العربي والملازم أول جميل حمدان والملازم أول عادل أبي ربيعة أما الضباط المسئولون في القطاعات والمجموعات العسكرية فهذه أسماء بعضهم:

الاسم	المهمة
- الرائد سليم حماده	مسؤول قطاع المتن
- الملازم أول رجا حرب	مسؤول القطاع الامامي في المتن

- الملازم أول أنور البعيني — مساعده
- النقيب أنور أبو خزام — مسؤول قطاع شويفات
- النقيب أمين أبو عاصي
- الملازم كمال الاعور
- الملازم حسان البعيني
- الملازم ناجي ملاعب
- الملازم غسان المهتار
- الملازم غسان أبو شقرا
- الملازم أول أحمد أبو زكي
- الملازم أول أديب أبو شقرا
- بعض تلامذة الضباط.

وأما في قيادة الشوف فقد التحق كل من النقيب عصام أبو زكي والملازم أول ذوقان البعيني والملازم بهيج أبو شقرا والملازم احسان أبو شقرا.

هذا كان وضع الالتحاق الاولى ولكن الاستقرار النهائي للتنظيم عدل بعض الشيء في الأسماء بعد انسحاب عدد من الضباط وتخليهم عن دورهم.

سارت عجلة التكامل التنظيمي والعمل فتقرر افتتاح معسكر تدريب في بعورته بتاريخ ٧٦/٤/٦ وافتتاح معسكر تكميلي في حمانا في نفس التاريخ. كذلك عولجت مسألة سقوط ثكنة حمانا وتفشي أعمال النهب لمعداتها وذخائرها بتكليف سلمان أبو حمزة بضبط المسروقات واحصاء المعدات ووضعت بتصرفه فصيلتان من القطاع الجنوبي.

بتاريخ ٧٦/٤/٦ تقرر انشاء قوة مشتركة من فتح والحزب التقدمي الاشتراكي في منطقة المتن لضبط الامن ومنع التجاوزات واقامة الحواجز بالتنسيق مع القيادة العسكرية المركزية.

بتاريخ ٧٦/٤/٩ أخضعت كافة القطاعات للقيادة العسكرية المركزية

وانشىء موقع بيصور العسكري الذي ألحقت به كل الطاقات المتوفرة من عناصر الجيش اللبناني وكلف النقيب عاطف ذبيان بادارته.

بتاريخ ١٩٧٦/٤/١٠م شكل جهاز اداري في قيادة عاليه على سبيل التسوية كون المباشرة بالعمل قد تمت تاريخ ٧٦/٤/١.

بتاريخ ١٩٧٦/٤/١٤ اتخذت اجراءات تعبوية لتحسين الدفاع عن زرعون خاصة ومنطقة المتن عامة بتعزيز المدافعة عن النقاط التالية:

- المتين.
- محور بعبدات صليما.
- أرصون.
- محور قرطاجة رأس المتن.

كذلك عزز الدفاع عن القماطية بفصيلة من مجموعة سوق الغرب التي انشئت كاحتياط للتعزيز والتعويض بالأشخاص.

بتاريخ ٧٦/٤/١٥ أعيد تنظيم القطاع الاوسط فكلف بقيادة قاطع الجرد الملازم حسان البعيني وكلف عبد الله شيا بالقيادة السياسية كما عين النقيب أمين أبو عاصي لقيادة قاطع عاليه وكلف شفيق باز بالقيادة الحزبية. كذلك عين النقيب أنور أبو خزام يعاونه الملازم وليد مشرفية لقيادة قاطع الغرب الساحلي وكلف زاهي الغصيني بالقيادة الحزبية. في نفس التاريخ نظم أمر اقامة الحواجز في القطاعات العسكرية وصدر تنظيم الشعبة الرابعة في القيادة المركزية.

ومع الانتباه لاعادة التنظيم لم يهمل أمر تركيز الدفاع عن الجبهات كما رأينا فبعد تعزيز المدافعة في المتن والقماطية جاء دور جبهة عاليه (ضهر الوحش الكحالة) بتاريخ ٧٦/٤/١٦ فنظم دفاعها على الشكل التالي:

- مجموعتان في بناية سعيد شهيب.
- مجموعتان في المركز رقم ٢ (مفرق شويت).
- مجموعة أو مجموعتان احتياط لصالح الخط الامامي.

ملاحظة/ مصدر هذه المجموعات قواطع عاليه والجرد والساحل بالتناوب وفصيلتان قوامها خمسون عنصرا من (مجموعة راشيا). احداهما بتصرف قيادة العمليات المتقدمة في منظمة فتح وقد جرى، تركيز هذه القوى على الوجه التالي:

- مجموعة من ١٢ عنصرا في المبنى الكائن على خط المواجهة حوالي ٥٠ مترا غربي بناية سعيد شهيب.
- مجموعة من ١٤ عنصرا في المبنى الكائن شرقي ثانوية الارز.
- مجموعة من أربعة أشخاص بتصرف المدفعية العاملة في الخط الامامي والتابعة لمنظمة فتح.
- الفصيلة الباقية احتياط متمركزة في البناء الكائن عند مقطع السكة الحديدية في المركز رقم ٢.
- فصيلة من العسكريين يجري ارسالها يوميا من موقع بيصور لصالح جبهة عاليه وتعتبر بمثابة الاحتياط للقيام ببعض المهات الخاصة (دوريات- حواجز -... الخ).
- تركيز مدفع ٢٠ ملم في الزهار يعمل لصالح جبهة شويت وسدنته من عسكريي موقع بيصور.

بتاريخ ٧٦/٤/١٧ عززت جبهة المتن بفصيلتين من مجموعة سوق الغرب كما أجريت دراسة حول اللامركزية في التموين بالذخيرة وحددت كميات الاحتياط اللازم تحقيقه على مستوى القيادة بشكل مبدئي. وبتاريخ ٧٦/٤/٢٠ تقرر ترقيم الاليات العسكرية وتوحيد ألوانها في جميع القطاعات وحدد لكل قاطع سلسلة من الارقام. أما بتاريخ ٧٦/٤/٢١ فقد تقرر احصاء الشهداء وجمع معلومات ادارية عنهم.

في ٧٦/٤/٢٢ تقرر اعادة تشكيل ميليشيات الحزب التقدمي الاشتراكي في ضوء الملاحظات التي استخلصت من المعارك التي خاضها الحزب في المتن وعاليه فقسمت القوى الى نوعين: عناصر متفرغة وتضم

فصائل القتال وفصائل المساندة ثم مجموعات مستقلة. حدد تنظيم خاص لكل من النوعين وتقرر بعد جدل قوي ومعارضة كمال جنبلاط المبدئية دفع راتب شهري قدره مئتان وخمسون ليرة لبنانية للمقاتل الملتحق بفصائل القتال النظامية ومبلغ اسبوعي أو يومي للمقاتل من فئة المجموعات المستقلة لقاء خدماته الاسبوعية أو اليومية على الجبهات على أن لا يتعدى الراتب الاسبوعي الخمسين ليرة لبنانية.

بتاريخ ٨٦/٤/٢٤ فصل الملازم حسان البعيني من قاطع الجرد إلى سوق الغرب لاستلام امرة المجموعة بسبب غياب النقيب الفلسطيني بركة الآمر السابق.

وفي ٧٦/٤/٢٨ تقرر افتتاح دورتي تدريب جديدتين في مخيمي بعورته وحمانا اعتبارا من ٧٦/٥/٤ ولمدة أسبوعين تتألف دورة بعورته من مئة عنصر من البقاع ودورة حمانا من مئة عنصر من القطاع الشمالي.

وفي نفس التاريخ تقرر بشكل نهائي بيان الحد الأدنى من السلاح والذخيرة الواجب توفره بصورة دائمة في الحزب بحيث يكفي لمدة عشرة أيام قتال لـ ٥٠٠ عنصرا.

في ٧٦/٤/٣٠ تقرر إنشاء سرايا مقاتلين متفرغين ومعاملتها كالعسكريين النظاميين بحيث تتمركز بصورة دائمة في معسكر محدد وتكون جاهزة للتدخل عند الطلب.

وبتاريخ ٧٦/٥/٣ انشىء مطبخ دائم في ثكنة حمانا وبدأ يمون المراكز والجبهات بصورة مستمرة كما أخذ مطبخ عاليه يؤمن الأكل الساخن لكافة العاملين في القطاع والمتواجدين على جبهة الكحالة.

بتاريخ ٧٦/٥/٦ أعيد تنظيم القطاع الشمالي على الشكل التالي/
القائد العسكري للقطاع الرائد سليم حمادة ويقسم القطاع إلى ما يلي/

- القاطع الأمامي
- القائد العسكري الملازم اول رجا حرب.

- القائد الحزبي والإداري فخري أبو الحسن

ويقسم هذا القاطع إلى محورين/

١١ - محور قرنايل

- القائد العسكري الملازم الأول كمال الأعور.
- القائد الحزبي والإداري فهيم معضاد.

١٢ - محور رأس المتن

- القائد العسكري الملازم شوقي أبو رسلان
- القائد الحزبي والإداري نبيه العنداري

٢ - القاطع الخلفي

- القائد العسكري الملازم أول أنور البعيني
- القائد الحزبي والإداري وجيه مفرج

ويقسم هذا القاطع إلى محورين

٢١ - محور حمانا

- القائد الحزبي والإداري سلطان أبو الحسن

٢٢ - محور قبيع

- القائد الحزبي والإداري نديم عثمان

وفي نفس التاريخ انشىء مكتب للنقليات في كل من القطاعين الشمالي والجنوبي على أن يضم كل مكتب رئيس نقليات وسبعة سائقين وميكانيكي واحد وتحدد الأجر الشهري لكل عنصر على الصورة الآتية/

- رئيس مكتب نقليات ٣٥٠ ل ل شهريا
- سائق ٣٠٠ ل ل شهريا
- ميكانيكي ٣٥٠ ل. ل شهريا

بتاريخ ٧٦/٥/٧ وردت معلومات للقيادة المركزية تفيد عن تسلل عناصر كتائبية مسلحة على محور دير الحرف بريح قتالة مع تحركات مريبة لقوافل التموين حول قتالة ونبع عين الدلة. ترافق ذلك مع تفاعلات

قضية انتخاب رئيس الجمهورية فتقرر الطلب إلى كل من القطاع الجنوبي وقطاع الساحل إرسال مئة مقاتل خلال ٢٤ ساعة إلى القيادة المركزية على أن يؤمن قطاع الساحل العناصر من مقاتلي بيروت.

بتاريخ ٧٦/٥/١٣ تقرر تأليف سرية مقاتلين متفرغين اعتبارا من ٧٦/٥/١٧ ركزت في ثكنة سوق الغرب وأخضعت لسلطة القيادة المركزية مباشرة وكلف الملازم حسان البعيني بالإشراف عليها.

بتاريخ ٧٦/٥/٢٤ انشئت قوة ردع في القطاع الشمالي بأمرة الملازم فؤاد محمود وأخضعت مباشرة للقيادة السياسية وكلفت بالتنسيق مع قيادة القطاع وقوة الردع الموجودة في عاليه.

انتخاب الياس سركيس رئيسا للجمهورية/

بعد المطالبة العنيفة بانتخاب رئيس جديد للبلاد ووجوب ترك سليمان فرنجية لسدة الرئاسة قبل انتهاء ولايته تقرر أن يعقد مجلس النواب جلسة الانتخاب بتاريخ ٧٦/٥/٢ قرب الخط الفاصل بين الشرقية والغربية وفي منطقة المحكمة العسكرية وذلك بعد سلسلة من الاتصالات الداخلية والعربية والدولية كان لسوريا فيها السهم الكبير. حشر كمال جنبلاط بهذا الاجراء لسببين/ أولهما أنه كان في صدد متابعة الحوار مع المرشحين البارزين ريمون اده والياس سركيس حول مشروعه للاصلاح السياسي وثانيهما أن العلاقات بينه وبين سوريا كانت مترديه وكان يأمل أن يتمكن ياسر عرفات من وصل خيط الود بينهما من جديد قبل انتخاب الرئيس لينظم مع سوريا أسلوب دعم المرشح المشترك وأخذ الضمانات الإصلاحية الكافية قبل تنفيذ الانتخاب. لم تكن سوريا في وارد تأجيل الانتخاب ولا في وارد الاتفاق مع كمال جنبلاط وإعطائه دورا في عملية التقرير لذلك اصرت على ياسر عرفات لكي يسهل أمر الانتخاب في الموعد المحدد تحت طائلة التهديد بالتدخل العسكري السوري المباشر ضده لإنجاح العملية سيما وأن القوات السورية كانت قد تحركت بتاريخ ٧٦/٤/٩ إلى منطقة الصويري كإنذار للمقاتلين على الساحة اللبنانية وكدليل على الدور الذي قررت لعبه في

لبنان وإشارة إلى الضوء الأخضر الدولي والإقليمي الذي بدأ يمهد لهذا الدور. وقع ياسر عرفات في مأزق بين تناقضات سوريا وكمال جنبلاط فساير حليفه بتاريخ ٧٦/٥/٢ وقصف منطقة اجتماع النواب بالمدفعية فاضطر المجلس إلى تأجيل اجتماعه لمدة أسبوع حيث نشطت المساعي على طريق دمشق والياس سركيس لإزالة سوء التفاهم بينها وبين كمال جنبلاط. لم يبد أي طرف تنازلات في سبيل الاتفاق وبقي الخلاف سيد الموقف وهددت سوريا ياسر عرفات بحزم فاضطر أن يسايرها ويترك حليفه. انعقد اجتماع الانتخاب بتاريخ ٧٦/٥/٩ في جو هادىء وشاركت قوات فتح في نقل النواب إلى مكان الاقتراع دون أن يتمكن كمال جنبلاط من التأثير العسكري على الموقف لأنه لم يكن يسيطر على المدفعية حيث كانت فتح تستأثر بالسلطة على مدفعيتها ومدفعية جيش لبنان العربي. تم الانتخاب وكمال جنبلاط يأمل قرب الإنفراج وهو عاجز عن التأثير في مجريات الأمور ولكن الامال سرعان ما تبخرت عندما أصر سليمان فرنجية على اكمال مدة ولايته وسانده في ذلك جميع عناصر الجبهة اللبنانية وعلى الأخص كميل شمعون.

متابعة المسيرة التنظيمية/

بعد معمعة انتخاب رئيس الجمهورية هدأت الأوضاع قليلا على أثر التنسيق السوري الفلسطيني واجتمعت اللجنة العسكرية العليا والتي لم تكن الحركة الوطنية ممثلة فيها (أعضاء اللجنة هم سوريا والمقاومة الفلسطينية والجبهة اللبنانية) وخرجت بقرار يقضي بوقف فوري لإطلاق النار على أن يصبح ناجزا الساعة ٢٤,٠٠ من تاريخ ٧٦/٥/١٤. التزم الحزب التقدمي الإشتراكي بهذا القرار وبلّغه لمقاتليه، رغم عدم تمثيله في اللجنة وأمر بأن تبقى القوات في مراكزها بوضع الحذر ووجوب الرد على كل اعتداء بما يتناسب وطبيعته. كذلك كلفت لجان المراقبة في كافة المناطق برعاية التنفيذ والإبلاغ عن أي خرق للإتفاق.

في نفس التاريخ وبعد أن لمس كمال جنبلاط الحاجة الماسة لتعبئة طاقات الشعب كافة أصدر قرارا رقمه ٢٨ يقضي بإنشاء جهاز حرس قومي في جميع قرى أقضية عاليه والمتن والشوف وعين العقيد مفيد غصن قائدا لهذا الجهاز.

بتاريخ ٧٦/٥/١٩ وبعد أن لاحظ كمال جنبلاط إسرافا في المدفوعات الشهرية في قطاع الشوف حيث بلغ المصروف الشهري ١٥١٠٠ل.ل قرر وضع ملاك جديد للقطاع والاستغناء عن بعض الوظائف بحيث لا تتعدى النفقات التسعة آلاف ليرة لبنانية في الشهر الواحد.

وفي نفس التاريخ وعملا بمبدأ عصر النفقات وبعد أن وزع العدد الأكبر من العسكريين النظاميين على القطاعات تقرر انتهاء العمل في موقع بيصور وإغلاق المطبخ المفتوح فيه اعتبارا من ٧٦/٥/٢ وألحقت عناصر المشغل من ناحية التغذية بمطبخ سوق الغرب بحيث ينقل إليها الطبخ بوسائلها الخاصة.

بعد عصر النفقات تطلع كمال جنبلاط إلى ناحية الإندفاع عند المقاتلين ولمس تقاعسا لدى البعض لأن شعارات النضال لم تدخل إلى قلوبهم واعتبروا أن القضية لا تعنيهم وأنها قد تعني كمال جنبلاط إلى حد يسير لذلك كانت مشاركتهم في القتال من باب رفع العتب أو من باب التضحية في سبيل كمال جنبلاط بالذات وليس في سبيل قضية أو وجود أو تطوير. كان شعار كمال جنبلاط مرتكزا على ثلاثة عناصر هي/

- حماية المقاومة الفلسطينية.
- تأكيد عروبة لبنان.
- تحقيق الإصلاحات السياسية الداخلية.

لم تستهو هذه الشعارات عامة الناس ولم يحس العنصر العادي أنها تعنيه. لقد كانت هذه الشعارات ارفع من مستوى الشعب وهي مستخلصة من فكر النخبة لذا لم تتمكن من تعبئة المجتمع بشكل كاف فقرر كمال

جنبلاط احداث صدمة في الضمير عن طريق جمع السلاح من المتقاعسين وكلف جهاز الردع بمباشرة التنفيذ اعتبارا من ٧٦/٥/٣٠ كما طلب من قادة القطاعات تنظيم لوائح اسمية بهم وأيداعها القيادة المركزية فورا للتمكن من تنفيذ القرار.

بتاريخ ٧٦/٥/٣١ تقرر إنشاء سرية قتال من عناصر جبل العرب بقيادة الملازم أول المتقاعد فضل أبو رجاس وحدد مكان تمركزها في مدرسة سوق الغرب. لم تكتمل السرية وتخلف فضل أبو رجاس نفسه عن الالتحاق فكلف سعدو القنطار بأمرة الفيصلة التي جهزت وشاركت فيما بعد بمعركة عاريا واستشهد قائدها سعدو القنطار نفسه في تلك الموقعة.

الدخول السوري والمواجهة في ضهر البيدر:

كانت بوادر الدخول السوري قبيل مطلع حزيران ظاهرة للعيان من تحرك سياسي نشط إلى دخول كتيبة سورية إلى الصويري في ٧٦/٤/٩ إلى تصريح بيار الجميل بتاريخ ٧٦/٥/٩ على أثر انتخاب الياس سركيس رئيسا للجمهورية وعودة وفد الكتائب من زيارة دمشق بقوله بأنه لا مانع من أن تقوم سوريا بحفظ الأمن لفترة محدودة مع قوات عربية أخرى. كل هذه الأمور كانت مؤشرات واضحة سيما إذا أضيفت إلى النشاط السوري الفاعل في عملية انتخاب رئيس الجمهورية وفي التنسيق مع حركة فتح لتأمين الجو الملائم للانتخاب.

حل الأول من حزيران وجاء معه الدخول العسكري السوري، فتقدمت القوات بكثافة نحو زحلة وشتورا ووصلت إلى منطقة مكسة دون أية مواجهة حيث تفادت المقاومة الفلسطينية أي احتكاك وظهر العمل كأنه منسق بين الطرفين. رافق هذه العملية حركة إعلامية واسعة كان من مظاهرها ولادة طلائع الجيش العربي اللبناني وحملة الأحزاب الوطنية والقومية الترحيبية بالتدخل. لم يرق هذا الأمر لكمال جنبلاط خاصة وأن اتصالاته بسوريا لم تسفر عن نتيجة وفاقية فأراد أن يواجه التحرك وحده

بمهرجان عسكري إعلامي.

استنفر أنصاره من كافة المناطق وحشدهم فوق مرتفعات ضهر البيدر بتاريخ ٧٦/٦/٢ وزرع الطريق من مكسة حتى المديرج باللافتات التي تمجد بطولات العسكري السوري في الجولان وتطلب منه عدم ضرب الحركة الوطنية في لبنان كما اطلق تصريحات صحفية ضد هذا التدخل. باتت الجماهير في ضهر البيدر ليلتين في جو بارد ولما لم يتحرك الرتل السوري عادت الأكثرية إلى بيوتها ولم يبق في الموقع إلا القلة القليلة وبعض عناصر المقاومة الفلسطينية في جبل الكنيسة وعند جسر النملية لحماية التدميرات المعدة عليه ولتفجيرها عند مباشرة السوريين بالتقدم. بتاريخ ٧٦/٦/٤ وبعد أن لاحظ السوريون خلو الجبهة تقدمت قواتهم بكثافة بعد أن مهدت لها طائرات الهوكرهنتر اللبنانية بضرب معبر ضهر البيدر بالرشاشات. اشتبك الحزب الاشتراكي مع القوات السورية في مكسة فدمرت له مصفحة وجرح ثلاثة عناصر كذلك وقع اشتباك آخر عند مفرق عين الصحة قتل فيه بعض الاشتراكيين. لم تدمر المقاومة الفلسطينية جسر النملية وسلمته سلميا للقوات السورية دون أن تبدي أية مقاومة وبذلك تأكد التنسيق المشترك او المسايرة على الاقل بين الفريقين في هذا التحرك. توقّف التقدم السوري عند مفترق عين الصحة وتمركزت القوات على المرتفع المشرف على المديرج، ونشطت الرسل في الطلب من الحركة الوطنية لفتح طريق بيروت أمام المتقدمين وعدم المقاومة لأن القوات السورية جادة في الأمر ومن الأفضل عدم مواجهتها. اتصل اللواء عبد الحميد الجمل بكمال جنبلاط عبر الشيخ صالح عبد الخالق طالبا اللقاء به لتوضيح الغاية من التقدم العسكري فلم ينجح الاتصال وطلب من اللواء الجمل دخول بيروت عبر طريق ضهور الشوير إذا كانت الغاية حماية المخيمات الفلسطينية المهددة (تل الزعتر..... الخ) كما صرح اللواء.

معركة صوفر/

تخلفت المقاومة صراحة عن المواجهة ونقلت مدافعها إلى الشحار وأخذت في تحصين المخيمات الفلسطينية وتشديد قبضتها على بيروت وتركت كمال جنبلاط يحل أزمته مع سوريا منفردا. قرر كمال جنبلاط المواجهة وبقي أنصاره غير مصدقين لهذا القرار واعتبروه مناورة اعلامية في البداية.

بتاريخ ٧٦/٦/٥ أرسل السوريون دورية من الدبابات لاستطلاع الطريق، فمرت وتوصلت إلى بعلشميه دون أن تصادف أية مقاومة في بداية رحلتها. فوجيء الناس بالدورية ولم يكن الحزب الاشتراكي قد نشر قواته على طريق التقدم بعد فأخذ أهالي بعلشمية يطلقون نيران الأسلحة الخفيفة على الدبابات فأصيب منظار أحد السائقين الأمر الذي أدى إلى سقوط الدبابة في حفرة إلى جانب الطريق. انسحبت الآليات الأخرى وبقيت هذه الدبابة في الفخ مما سمح للاشتراكيين باستقدام (اربي جي) من القرية وإطلاق النار عليها وتدميرها.

نبه هذا الأمر القيادة المركزية في عاليه فصعد بتاريخ ٧٦/٦/٦ العقيد فؤاد المرود والرائد شريف فياض والنقيب رياض تقي الدين إلى صوفر وركزوا الدفاع فيها على أساس تمركز الأسلحة المضادة للدروع عند مفترقات الطريق بحيث يتمكن رامي (الـب٧) من الانسحاب إلى مفترق آخر بعد أن يرمي هدفه وبذلك يتأمن الدفاع بالعمق داخل البلدة ويتمكن المقاتل من القيام بأكثر من واجب واحد سيما وأن عدد المقاتلين كان محدودا بعد أن ترك الاشتراكيون وحيدين في تلك الجبهة.

بتاريخ ٧٦/٦/٧ صباحا أخذت القوات السورية تشكل رتل الهجوم قرب المديرج فوضعت الدبابات خلف بعضها في قطار واحد وجهزت للتقدم أمام المشاة في دخول استعراضي، يراد منه ادخال الرهبة في القلوب لعل ذلك يؤمن الدخول السهل ويوفّر المواجهة والمعركة. لم يتمكن

معركة صوفر

ش
نحو حمانا
نحو البقاع
المديرج
صوفر
رويسات صوفر
عين دارة
مجدلبعنا
شاروق
بوارج

الاشتراكيون من التدخل ضد التحضيرات السورية، لأن المدفعية كانت في أيدي الفلسطينيين ولو أن منظمة التحرير استعملت المدافع في ذلك الوقت لدمّر العديد من الآليات ولفشل الهجوم قبل أن يبدأ.

نظمت القوات للهجوم وأرسل السوريون إلى الاشتراكيين يطلبون منهم فتح الطريق وعدم المواجهة ولكن كمال جنبلاط كان قد أخذ قراره فلم يتراجع عنه بدأ الهجوم ظهر ٧٦/٦/٧ وصمد الاشتراكيون بأعجوبة فاستمرت المعركة حتى الساعة السابعة مساء ولم يتقدم السوريون إلا مسافة كيلومتر واحد تقريبا حيث وصلوا إلى رويسات صوفر بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في الاشخاص والعتاد. لم يطبق الاشتراكيون التعليمات في اتخاذ عدة مراكز رماية متتالية على طريق التقدم بل كان الرامي يترك مركزه ويذهب إلى منزله بعد أن يطلق النار على الآلية التي يواجهها وبذلك توقف الهجوم عند خلو الساحة من المقاتلين الاشتراكيين ولم يبق في الجبهة إلا خمسة عشر عنصرا في منطقة بعلشمية. ولو أن السوريين تابعوا هجومهم قليلا لوصلوا إلى بيروت في نفس اليوم ولكن الظروف خدمت الاشتراكيين بالخسائر الفادحة التي نزلت بالقوات السورية. أما خسائر الحزب التقدمي الاشتراكي فلم تتعد الشهيد الواحد وذلك يعود لأربعة اسباب هي/

★ الدخول السوري بصورة استعراضية بعيدة عن الفكرة العسكرية.
★ قلة عدد المقاتلين الاشتراكيين.
★ التمركز الدفاعي وراء التحصينات داخل القرية.
★ الانسحاب من الجبهة بعد القيام بالواجب الأول.

توقف القتال مساء ٧٦/٦/٧ في هدنة طويلة استمرت حتى نهاية الصيف وفتحت الباب أمام التحرك السياسي والتنظيم والمعارك على الجبهات الأخرى.

ما بعد المواجهة

عند المواجهة الأولى مع السوريين في ضهر البيدر تنحى الزعيم شوكت شقير عن العمل العسكري وتسلم العقيد فؤاد المرود القيادة حيث عمل على تنفيذ توجيهات كمال جنبلاط في التصدي للتقدم وعدم التراجع أمامه.

أدت المواجهة في ضهر البيدر وصوفر إلى اشتداد التوتر في بيروت وعرمون بين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية من جهة والصاعقة السورية من جهة أخرى فقطعت طريق عرمون وأصبح تنقل الحركة الوطنية بين بيروت والجبل محفوفا بالخطر. تفاقم الوضع في منتصف شهر حزيران وأدى إلى صدام واسع بين الطرفين في بيروت حيث تمكنت المقاومة الفلسطينية من تصفية الصاعقة والسيطرة عليها بعد أن نقل زهير محسن إلى سوريا عبر المنطقة الشرقية (جونية). أزمت هذه الحادثة الوضع بين سوريا والمقاومة وكمال جنبلاط بشكل جدي مما عجل في التدخل العربي عبر قوات السلام المؤلفة من خمسماية عسكري ليبي وخمسماية عسكري سوري حيث تم الاتفاق على وقف اطلاق النار بتاريخ ٧٦/٦/٢٢ ووصول قوات السلام إلى بيروت في نفس التاريخ.

لقد تزامنت هذه الفترة مع تصعيد عسكري خطير في الساحة اللبنانية وتحركات سياسية هامة حيث انشأ كمال جنبلاط بتاريخ ٧٦/٦/٢٢ المجلس السياسي المركزي لمدينة بيروت بعد تطويق الجبهة اللبنانية لجسر الباشا وتل الزعتر وضرب الحصار على النبعة.

بتاريخ ٧٦/٦/٢٩ سقط جسر الباشا وقلعة البسينات وتلة المير وتشدد الحصار على مخيم تل الزعتر وأصبح بحاجة إلى عمل عسكري انقاذي. حاولت المقاومة مساعدة المخيم على الصمود بإرسال متسللين إليه عبر نهر بيروت حاملين بعض الإمدادات اليسيرة ولكن هذه المساعدة المتواضعة لم تغير الواقع ولم تنقذ أي شيء.

معركة عاريا

لم تنفع اجراءات التسلل التسكينية التي اخذتها المقاومة لتعزيز صمود تل الزعتر وكان لا بد من القيام بعملية عسكرية لفك الطوق أو لاستدراج القوات اللبنانية بعيدا عن المخيم لكن الحركة الوطنية أصبحت لا تثق بقيادة المقاومة للعمليات ولا ترغب في وضع مقاتليها بتصرفها بعد المناورات المتعددة في الكحالة وبعد تخليها عن الحزب التقدمي الاشتراكي في معركـــتي ضهر البيـــدر وصوفر. دُرس الأمر وقر الرأي عـــلى القيام بعملية واسعة يخصص لكل فئة فيها واجب منفصل بحيث يمكن تحديد مسؤولية التقاعس والخطأ. لم يعجب هذا الرأي قيادة فتح ولكنها رضخت للواقع مرغمة ووزعت المهات في العملية التي تقرر تنفيذها بتاريخ ٧٦/٧/٣ على الشكل التالي/

- مهمة الحزب التقدمي الاشتراكي هي احتلال عاريا وتطهيرها وصولا إلى مخفر الدرك على طريق الشام.
- مهمة الجبهة الديمقراطية والحزب القومي السوري هي احتلال كاليري خيرالله والقصور (قصر المنصور وجواره) امتدادا حتى (شارب) مشارف عاريا على طريق الشام.
- مهمة فتح ولواء عين جالوت هي احتلال بلدة الكحالة من جنبها الايسر حتى المدرسة والإلتقاء بالحزب التقدمي الاشتراكي عند مخفر عاريا.
- مهمة جبهة التحرير العربية والجبهة الشعبية هي احتلال بلدة بسوس وصولا إلى الجسر بين بسوس والجمهور والجسر بين بسوس ووادي شحرور.
- مهمة الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي هي احتلال بدادون.

بعد توزيع المهات اعطيت القيادة العامة للعقيد أبي المعتصم مسؤول فتح وكلف بإدارة العملية وتنسيق فروعها. انطلق الهجوم الصامت بتاريخ ٧٦/٧/٣ بعد منتصف الليل وشارك فيه من الجانب الاشتراكي القيادات

معركة عاريا

نحو بيروت
الجمهور
عاريا
نحو العبادية
شويت
الكحالة
بسوس
نحو بحمدون
عاليه
نحو سوق الغرب

التالية/ الرائد شرف فياض والنقيب رياض تقي الدين والأستاذ انو الفطايري والأستاذ عادل سيور والملازم أول رجا حرب والنقيب عادل أبو ربيعة والملازم حسان البعيني والملازم أول كمال الأعور والملازم أول جميل حمدان والملازم بسام أبو الحسن والأستاذ عبدالله شيا والأستاذ سعد الزهيري والسيد رامز عساف وكلف الملازم أول سليم أبو اسماعيل والملازم شوقي المصري والنقيب أمين ابو عاصي بتقديم نيران المساندة من مدفعية وهواوين. كانت الخطة الاشتراكية تقضي بأن يتم الهجوم على محورين/ الأول من شويت عبر الوادي إلى داخل عاريا ثم إلى مخفر الدرك بأمرة كمال الأعور والثاني من شويت إلى عاريا عبر الطريق العام بأمرة رامز عساف وحسان البعيني على نسقين بعد التمكن من احتلال كاليري خيرالله المتحكمة بشويت على همة الجبهة الديمقراطية والحزب القومي السوري كما وضع احتياطان اشتراكيان/ الأول في شويت والثاني في ضهور عاليه عين الجديدة لملاقاة الحالات الطارئة واستثمار النجاح. انطلق الهجوم وتمكن كمال الأعور من احتلال عاريا بعد تعثر العمل على المحور الثاني ووصل إلى عسل يزبك وزجت القوات الاحتياطية للاستثمار. ولكن المقاومة الفلسطينية لم تكن جادة في هجومها فتركت الشيوعيين يلاقون النار منفردين في جبهتهم ولم تتقدم نحو الكحالة ولم تحتل كاليري خيرالله الأمر الذي أثّر على الهجوم الاشتراكي وزاد من اصاباته، سيما بعد أن أخذت قيادة العملية توزع اخبارا غير صحيحة عن احتلال الكحالة وتنظيف منطقة القصور وكاليري خيرالله. عند مباشرة الهجوم هرع بشير الجميل إلى الجبهة واستقدمت التعزيزات المسيحية من كل صوب فاضطر الاشتراكيون للقتال وحدهم طيلة النهار ولكنهم عندما حل الليل وتأكدوا من تلكؤ المقاومة الفلسطينية سحبوا قواتهم إلى شويت معتبرين ما قاموا به من باب الغارة الكبيرة. فقد الاشتراكيون في هذه المعركة ٢٧ شهيدا ولكن الجبهة اللبنانية تكبدت في المقابل مئة وواحد وثلاثين قتيلا على طول عاريا حتى طريق الشام.

كشفت هذه العملية من جديد تفرد المقاومة الفلسطينية في قراراتها وتناقض أهدافها مع أهداف الحركة الوطنية الأمر الذي أسهم كثيرا في ولادة قوات التحرير الشعبية.

انشاء قوات التحرير الشعبية

على أثر فتح جبهة الجبل والتجربة العسكرية في معارك المتن والكحالة اقتنع كمال جنبلاط بعد لاي بوجوب الاتجاه نحو تبني القوات الملتزمة والمحترفة لعدة أسباب أهمها.

* رفع مستوى المقاتل التقدمي عسكريا ونقله من عالم الارتجال والعفوية إلى عالم الاحتراف والعقلانية.
* ضرورة الاحتفاظ بقوات نظامية ذات طواعية عالية لتلبية المهات الطارئة لأن المليشيات غير النظامية كانت تنقصها المرونة اللازمة والسرعة في تلبية المتطلبات.
* التخلص من هيمنة المقاومة الفلسطينية على العمل العسكري الوطني بامتلاك قوات جاهزة للتدخل في أي مكان ذات فعالية قتالية عاليه.
* تلبية متطلبات المعركة وظروفها.

أخذ كمال جنبلاط يسير نحو النظامية والاحتراف بالمباشرة بإعادة تنظيم قيادته المركزية مستعينا بالخبرات العسكرية التي افرزها الجيش وعندما أراد في شهر نيسان عام ١٩٧٦م فتح مخيم تدريب بملاك لبناني حاولت المقاومة الفلسطينية ثنيه عن هذا الموضوع وعرضت عليه إقامة المخيم بكوادرها وتقديم كل ما يلزمه من امدادات وتموين. قبل كمال جنبلاط العرض واستقدم مقاتلي بيروت لتدريبهم على أيدي المقاومة واستمر في قراره بفتح مخيات التدريب اللبنانية وبذلك أمن المصلحة وراعى رغبة المقاومة الفلسطينية في آن معا.

وجاءت الخطوة الثانية في مجال الاحتراف بإعادة تشكيل مليشيات الحزب بتاريخ ٧٦/٤/٢٢ وتقسيمها إلى فئتين/ فصائل متفرغة ومجموعات

مستقلة وبتاريخ ٧٦/٤/٣٠ تقرر إنشاء سرايا مقاتلين متفرغين أما بتاريخ ٧٦/٥/٣١ فتقرر إنشاء سرية نسور الجبل (جبل العرب). جاء هذا الأسلوب في التقرب من الاحتراف ناجحا وأعطي نتائج جيدة على الأرض الأمر الذي زاد من اقتناع كمال جنبلاط في تبني الصيغة النظامية. أما الحدث الهام الذي سرّع في اتخاذ قرار إنشاء قوات التحرر الشعبية فقد كان معركة عاريا وما رافقها من تصرفات فلسطينية كشفت بعض زوايا التناقض مع الحركة الوطنية وقد عزز ذلك الاتفاق السوري الفلسطيني الذي جرى بتاريخ ٧٦/٧/٢٩ في وزارة الخارجية السورية دون علم الحركة الوطنية اللبنانية.

عند هذا الحد تقرر إنشاء جيش التحرير الشعبي من جميع مقاتلي الحركة الوطنية اعتبارا من ٧٦/٨/١ ثم أجل الموعد حتى ٧٦/٨/٧ وقد لاقى ذلك محاولات فلسطينية جادة لعرقلة التنفيذ تارة تحت ستار الخبرة والتجربة الفلسطينية التي أثبتت عقم القوات النظامية وطورا تحت ستار وجوب دعم جيش لبنان العربي وعدم بناء جيش نظامي بديل. أخذ الأمر جدلا لبعض الوقت مع قيادات فتح وتقرر في النهاية اطلاق اسم قوات التحرير الشعبية على التنظيم الجديد تطمينا لجيش لبنان العربي.

كيف سارت مسيرة بناء القوات؟

تقرر أولا إنشاء جيش التحرير الشعبي اعتبارا من ٧٦/٨/١ وحدد ملف الجهاز العسكري الفردي وكلف السيد زياد البيطار بتحقيق المعدات اللازمة.

بتاريخ ٧٦/٧/٢٨ عينت قيادات مخيمات التدريب لجيش التحرير الشعبي على الشكل التالي/

- عين الرائد شريف فياض قائدا لمجموعة مراكز التدريب يعاونه النقيب رياض تقي الدين.
- عين النقيب سمير القاضي لقيادة مركز بيصور.

- عين الملازم أول رياض الأعور لقيادة مركز عبيه ولكنه لم يستمر طويلا بالعمل بل التحق بقوات الطلائع في البقاع بتحريض من أحد أقاربه المقرب من كميل شمعون.
- عين النقيب عادل أبو ربيعة قائدا لمركز بعورته ولكنه لم يستمر طويلا في العمل وتخلى عن دوره العسكري مع الحزب الاشتراكي.
- عين النقيب عاطف ذبيان قائدا لمركز بطمه.

بعد الحوار مع قيادة فتح حول الموضوع وبسبب بعض التأخيرات الإدارية أجل البدء بإنشاء الجيش إلى ٧٦/٨/٧ وعدل الاسم فأصبح قوات التحرير الشعبية.

بتاريخ ٧٦/٨/٢٦ شكلت لجنة لاختيار الضباط لصالح قوات التحرير الشعبية من الأشخاص التالية أسماؤهم/

- العميد الركن المتقاعد كامل زين الدين.
- العقيد فؤاد المرود.
- الرائد شريف فياض.
- النقيب رياض تقي الدين.
- السيد داوود حامد.
- السيد أنور الفطايري.
- السيد زاهي الغصيني.

وحدد الثالث من ايلول موعداً لمقابلة المتطوعين والبت بطلباتهم.

بتاريخ ٧٦/٨/٢٧ تقرر وضع أسس جديدة وواضحة لاستخدام المقاتلين ودفع التعويضات بحيث تصبح موحدة في جميع القطاعات وذلك على الشكل التالي:

١ - في الاستخدام:

أ - **المدنيون/** يمنع من الآن وصاعدا قبول أي عنصر في فصائل الميليشيات واعطاؤه سلاحا إلا إذا انضم إلى قوات التحرير الشعبية

(يستثنى التسليح السياسي).

ب - **العسكريون/** لا يستخدم من العسكريين ان في صفوف المليشيات وإن في قوات التحرير الشعبية الا أصحاب الاختصاص بالقدر الذي تقضيه ظروف الخدمة. ويقصد بالاختصاص (المدربون- الإداريون - الإشارة - الآلويون - الممرضون - الحجامون). ومن أراد من العسكريين أن يشارك في النضال افراديا عليه أن يشارك مع فصيل بلدته فيتقاضى التعويضات التي تمنح للفصائل والمجموعات.

٢ - في التعويضات

تدفع التعويضات لمستحقيها وفقا للقواعد التالية/

أ - **فصائل المليشيات/**

-يدفع(٧٥)ل.ل أسبوعيا لكل عنصر يمضي أسبوعا على إحدى الجبهات.

- يدفع (١٢٥)ل.ل للعازب و(١٥٠)ل.ل للمتزوج شهريا من عناصر الحواجز المعينة من قبل القيادة والتي تمضي شهرا على الحاجز.

ب - **للعسكريين الاختصاصيين/**

يدفع للعسكري تعويضا مقطوعا قدره (٣٠٠) ل.ل. للمتزوج و(٢٥٠) ل.ل. للعازب مهما كانت رتبته والعمل الذي يقوم به. **(إنتهى)**

انشئت قوات التحرير الشعبية والحقت بمخيمات التدريب في كل من الحزب التقدمي الاشتراكي والاحزاب الشيوعية ولكن بناء هذه القوات في الاحزاب الوطنية الاخرى تعرقل لاسباب خاصة. أقام الشيوعيون معسكر التدريب في المشرف فلم يتجاوز عديد الملتحقين به المئة عنصرا أما الاقبال على مخيمات الحزب التقدمي الاشتراكي فكان أكبر.

عين الرائد شريف فياض قائدا للقوات وعين النقيب رياض تقي الدين مساعدا له وقد تمكنت هذه القوات في تدريبها خلال الصيف من

بلوغ مستوى قتالي جيد أهلها للاشتراك في معركة بحمدون خلال شهر تشرين الاول والصمود في مواقعها الى آخر الشوط بعد أن فشلت الميليشيات غير النظامية الامر الذي أثبت أن الاحتراف أمل المستقبل والركيزة الاساسية التي يجب أن يعول عليها.

بعد دخول قوات الردع العربية وتوقف المعارك اتجهت نية الحزب التقدمي الاشتراكي والاحزاب الوطنية الاخرى الى ابقاء قوات التحرير وتعزيزها فعين النقيب رياض تقي الدين قائدا للواء التنوخي (قوات الحزب التقدمي الاشتراكي) اعتبارا من ٧٦/١١/١ وتفرغ الرائد شريف فياض لقيادة كامل القوات التابعة لجمع الاحزاب كما انشئت كتيبة صوفر اعتبارا من نفس التاريخ وكلف الملازم أول رجا حرب بقيادتها حيث تمركزت في بقعاتا في ثكنة الشهيد كمال الدبيسي.

بذلك تمكنت قوات التحرير الشعبية من الظهور الى الوجود واثبات مصداقيتها وأصبحت نواة جاهزة للتطور والتقدم.

النشاط الصيفي

بعد دخول قوات السلام العربية وانشاء المجلس السياسي المركزي لمدينة بيروت استمرت المسيرة التنظيمية في القيادة المركزية في عاليه فتقرر بتاريخ ٧٦/٦/٢٤ وضع ثلاثة شروط على الراغبين في الحصول على سلاح هي:

★ أن يمضوا اسبوعا على الأقل في احدى الجبهات التي تعينها القيادة قبل استلام السلاح ومن تثبت جدارته يُعطى سلاحا.

★ على المقاتل الذي يتسلم سلاحا أن يوقع على سند بقيمة السلاح.

★ على المقاتل الذي يتسلم سلاحا أن يوقع على تعهد بأنه سيلبي دعوة الاستنفار والاشتراك في القتال حيثما تدعو الحاجة وفي المكان الذي تعينه القيادة والا يسحب السلاح منه.

بتاريخ ٧٦/٦/٢٧ تقرر تقييم المقاتلين اسبوعيا واذكاء روح المناقبية

والصبر والانضباط والاندفاع القتالي والاخلاق الحميدة فيهم وذلك برفع لائحة اسبوعية الى القيادة تنوه بالمبرزين وتحدد المتقاعسين والمخالفين على أن يشهر بالمخالفين على مستوى القطاعات كافة.

بتاريخ ٧٦/٦/٢٩ انشىء مركز لاستيفاء رسوم على مرور الاليات والبضائع المشحونة قرب تمثال الامير فؤاد أرسلان في خلدة.

بتاريخ ٧٦/٧/١ تقرر اعطاء مساعدات مادية وعينية شهرية لعائلات الشهداء والجرحى طيلة فترة العلاج.

بتاريخ ٧٦/٧/٨ اعتمد ملاك جديد لقيادة قطاع عاليه على الشكل التالي:

السيد شفيق باز — مسؤول حزبي
النقيب أمين أبو عاصي — مسؤول عسكري
السيد سامي مروش — ضابط الشؤون الادارية
السيد غسان أبو حمزة — أمين سر
السيد سمير مراد — سائق
السيد كمال معروف — حاجب

كان تموز شهر مد وجزر بين السوريين والفلسطينيين، ولم ينقطع خيط الحوار بينهما فتوصلا بتاريخ ٧٦/٧/٢٥ الى قرار وقف النار على الساحة اللبنانية فالتزم الحزب التقدمي الاشتراكي بهذا القرار وأصدر التعليمات لكافة القطاعات للتقيد بالاوامر التالية:

- التقيد التام بقرار وقف اطلاق النار وتعميمه على جميع المراكز.
- الافادة عن كل خرق لهذا القرار يقوم به الفريق الانعزالي.
- عدم الرد على النار بالمثل الا بعد افادة القيادة العسكرية وأخذ التعليمات منها بهذا الصدد.

بتاريخ ٧٦/٧/٣٠ ألغي تعيين النقيب أنور أبو خزام والملازم وليد مشرفية في قيادة قاطع الغرب الساحلي وكلف السيد زاهي الغصيني القائد

الحزبي والاداري للقطاع بالقيادة العسكرية بالاضافة الى وظيفته.

بتاريخ ٧٦/٨/٥ ألغيت الشعبة الرابعة بسبب سفر الملازم أول رفيق البعيني واتخذت الاجراءات التالية:

- اشراف السيد زياد البيطار أو من ينوب عنه على فرع التموين.
- اشراف السيد داود حامد أو من ينتدبه على فرع الأسلحة.
- اشراف السيد أمين ملاعب على فرع الاموال.
- ابقاء وضع فرع المحروقات على حاله.

بعد سقوط النبعة في ٧٦/٨/٦ وسقوط تل الزعتر في ٧٦/٨/١٢ اشتعلت جبهة المتن عينطورة المروج بسكنتا وصنين وأخذ الوضع المعنوي للاهالي في المتن الاعلى وعاليه يتأثر بالاشاعات وتفاعلات هزيمة المقاومة الفلسطينية في الساحل الامر الذي دفع البعض للنزوح الى أماكن آمنة أو التفكير بالهجرة مما حدا بكمال جنبلاط الى اتخاذ القرار التالي:

نظرا للظروف الراهنة وبغية بعث روح الصمود لدى المواطنين ووضع حد للهجرة غير الموجبة من القرى والمدن تقرر ما يلي:

١ - توجيه انذار الى الذين هجروا بيوتهم وقراهم للعودة الى منازلهم خلال اسبوع من تاريخ نشر هذا القرار.

٢ - مصادرة منازل الذين يتركون منازلهم ويهاجرون من بلدهم وضبط منازل الذين لا يعودون الى قراهم وتسكين من تراه القيادة مناسبا في هذه المنازل.

٣ - يعمل بهذا القرار فور نشره.

عاليه في ١٩٧٦/٨/٢٤.
كمال جنبلاط

بتاريخ ٧٦/٨/٢٥ وضعت ثانوية سوق الغرب بتصرف الحزب التقدمي الاشتراكي وعين السيد أديب نصر مسؤولا عنها بكامل موجوداتها.

بتاريخ ٧٦/٨/٢٧ عين السيد زيد نصرالله آمرا لفصيل نسور الجبل

وأصبح مسؤولا عن الفصيل وأسلحته وعتاده.

بتاريخ ٧٦/٩/١ انشىء مركز رئيسي للتموين في مدرسة سوق الغرب وكلف بامداد قضائي عاليه والمتن وبيروت وضواحيها والغي مستودع الشويفات في نفس التاريخ وكلف السيد زياد البيطار بالاشراف على المخزن الجديد.

بتاريخ ٧٦/٩/٢ عين العقيد الركن جميل تقي الدين قائدا عسكريا في الشوف مكان العميد كامل زين الدين.

وبتاريخ ٧٦/٩/٣ وبعد ظهور بعض الاشكالات من جراء تشابك الصلاحيات بين عاليه والمختارة والمسؤولين السياسيين والأمنيين أصدر كمال جنبلاط القرار التالي:

ان رئيس الحزب القائد الاعلى بناء لطلب القيادة العسكرية يقرر ما يلي:

١ - ان جميع المعاملات والتبليغات المتعلقة بالعسكريين يجب أن تتم بواسطة القيادة العسكرية وبموافقتها.

٢ - يمنع توقيف أي عسكري الا بواسطة القيادة العسكرية الا في حالة الجرم المشهود على أن تعلم القيادة العسكرية فورا بالحادث وترسل ضابطا ليشرف على التحقيق.

٣ - يحق للقيادة العسكرية مصادرة الاموال المنقولة وغير المنقولة بما فيها أبنية السكن مباشرة وذلك لصالح الاغراض العسكرية.

٤ - ينشر هذا القرار ويبلغ حيث تدعو الحاجة ويعمل به فور صدوره.

عاليه في ٧٦/٩/٣

كمال جنبلاط

بتاريخ ٧٦/٩/٨ وبعد سفر الملازم أول فؤاد محمود كلف النقيب المتقاعد حليم حاطوم باستلام جهاز الامن في المتن وأبلغت القيادات للتعاون معه وتسهيل مهمته.

جاء شهر ايلول بتعقيداته لتضيق الدائرة على كمال جنبلاط، فسافر الرئيس الياس سركيس الى سوريا بتاريخ ٧٦/٨/٣١ طالبا تحجيمه قبل تسلمه سدة الرئاسة ليتمكن من التعامل معه، كما طلبت صحيفة البرافادا السوفياتية بتاريخ ٧٦/٩/٨ بتسوية معقولة وانتقدت اليسار المتطرف في المقاومة والحركة الوطنية.

بتاريخ ٧٦/٩/١٠ عُقد اجتماع فلسطيني سوري في صوفر لتنقية الاجواء، وتم ما بين ١٧ و٧٦/٩/١٩ اجتماع في شتورا حضره ياسر عرفات وحسن صبري الخولي وناجي جميل حيث درس أمر انسحاب المقاومة الفلسطينية من الجبل دون أن يكون لكمال جنبلاط أي رأي في الموضوع. وزكي ذلك زيارة بيار الجميل لدمشق والقاهرة وعودته بتاريخ ٧٦/٩/١٦ رافضا عرض كمال جنبلاط للقاء حول الطاولة المستديرة.

أحس كمال جنبلاط بالضيق خاصة بعدما أخذت بعض الاصوات المناوئة له تتحرك وتمهد للدخول السوري فقرر السفر الى الخارج لتقوية مركزه عربيا ودوليا، واتخذ عدة اجراءات لاستمرار المسيرة في غيابه صدر منها بتاريخ ٧٦/٩/١٧ الآتي:

- تكليف الاستاذ خالد جنبلاط بمهمة الحاكم الاداري لقضائي عاليه والمتن الجنوبي.
- منع انتقال المصانع والمعامل التي كانت تعمل داخل المناطق الوطنية في الجبل الى خارج البلاد أو المنطقة الا بموافقة القيادة العسكرية في عاليه.
- قرار استيفاء رسم (٢٥) ل.ل. لصالح القيادة العسكرية عن كل شخص يخرج من المناطق الوطنية الى المناطق الانعزالية ومبلغ مئة ليرة عن كل سيارة خاصة.
- منع دخول المشروبات الروحية الى المناطق الوطنية في جبل لبنان الا بموافقة القيادة العسكرية بعد استيفاء رسوم خاصة عند اعطاء الترخيص.

- قرار استيفاء ليرة لبنانية عن كل صحيفة بنزين من أصحاب محطات المحروقات وذلك اعتبارا من ٧٦/٩/٢١.

بتاريخ ٧٦/٩/٢٧ أقيم حاجزا أمني على طريق الدامور بعورته وكلف بمهمة تفتيش السيارات ومصادرة الاشياء الممنوعة وتوقيف المشبوهين.

استئناف العمليات السورية:

سافر كمال جنبلاط الى القاهرة بتاريخ ٧٦/٩/٢٧ بعد أن أقسم الياس سركيس اليمين الدستورية بتاريخ ٧٦/٩/٢٣ في شتورا. في نفس اليوم وقعت حادثة فندق سميراميس في دمشق على أيدي فدائيين فلسطينيين الامر الذي دفع بسوريا للتحرك عسكريا نحو المتن الاعلى. بدأ الهجوم السوري بعد وضع الجبهة اللبنانية في الجو بتاريخ ٧٦/٩/٢٨ على محورين الاول من عين حزير باتجاه المتن الشمالي والثاني من المديرج باتجاه حمانا وساهمت فيه قوات من طلائع الجيش العربي اللبناني. أحرجت فتح بالامر سيما وأن الحوار الذي قام في شتورا في ٧٦/٩/١٧ كان لم يزل مفتوحا ورأت انه من الافضل عدم مواجهة القوات السورية فصدرت الاوامر لجميع مقاتلي المقاومة بالانسحاب التدريجي أمام السوريين بشكل يؤمن الترضية لكمال جنبلاط والحركة الوطنية فلا تظهر العملية على حقيقتها بل تبرز كهزيمة قوات ضعيفة فأمام جحافل أكبر منها. صدرت الاوامر بالانسحاب فأخليت المواقع في صليماليل ٢٧ - ٧٦/٩/٢٨ دون ابلاغ الحزب التقدمي الاشتراكي واخذت تنسحب القوات من صنين والزعرور بشكل سري في تلك الليلة. حاول بعض قادة المقاومة الصغار اللجوء الى المواجهة العسكرية ولكن أوامر أبي جهاد التي كان يرسلها من حين الى آخر على الراديو والتي تقول (عليكم العمل على أساس السلامة والدفاع المستمر) كانت تذكر القادة الكبار بنوع التصرف الواجب اتخاذه لدرجة أن أحدهم أجبر مساعدة بقوة السلاح على عدم المقاومة والالتزام بالاوامر.

دخلت القوات السورية الى المتن دون مواجهة تذكر من قبل المقاومة

الفلسطينية ووقعت العناصر الاشتراكية في صنين والزعرور في قبضة السوريين بعد أن تخلى عنها قادتها من فتح سرا ولم يدر المقاتل التقدمي ماذا كان يدور حوله. مساء ٧٦/٩/٢٨ وجد الاشتراكيون أن الطوق بدأ يغلق حولهم ولم يبق الا طريق واحدة بينهم وبين منطقة عاليه هي طريق رأس المتن قبيع وقد أصبحت على وشك الاغلاق فانسحبوا عبرها الى عاليه في حلول المساء وأخليت المنطقة بذلك من أية قوات عسكرية تابعة للحركة الوطنية. سيطر السوريون ليلا على جميع مداخل ومخارج المتن في جو اعلامي تضليلي خلقته المقاومة الفلسطينية حيث أخذت تشيّع عن قتال ضار يدور في صنين مع الاعلان عن خسائر فادحة في صفوف السوريين من جراء المواجهة الفلسطينية العنيفة. كان الاعلام لا يخرج عن اطار براءة ذمة للمقاومة أمام الحركة الوطنية لدرجة أن قيادة المقاومة في عاليه أخذت تعلن عن بقاء جيوب لها في رأس المتن تقاتل من بيت الى آخر وذلك من باب الاحراج للاشتراكيين الذين انسحبوا قبل أن يحكم الطوق السوري حولهم. أما الواقع فكان غير ذلك انسحاب فلسطيني شامل واستيلاء سوري على الاسلحة الثقيلة حيث تم نقلها الى منطقة راشيا وسلمت للفلسطينيين هناك من جديد.

استغلت الجبهة اللبنانية الدخول السوري وانسحاب الاشتراكيين من المتن فشنت هجوما عبر العربانية على الاهالي العزل في صليما وأرصون وبزبدين وخربت المنازل ونفذت مجزرة رهيبة في صليما بتاريخ ٧٦/٩/٢٩ ذهب ضحيتها حوالي ٧٦ شخصا من النساء والشيوخ والاطفال ولم يتمكن السوريون من الحؤول دون وقوعها بسبب المفاجأة والهمجية والبربرية التي ظهرت في صفوف مقاتلي القوات اللبنانية.

نجحت المداورة الفلسطينية في المتن في احتواء الغضبة السورية وظنت فتح بأن السوريين لن يتابعوا هجومهم بل سيكتفوا بعملية المتن كرد على فندق سميراميس ولكن فالهم خاب عندما علموا أن السوريين يرغبون متابعة الهجوم بجدية لحسم الامر والوصول الى بيروت.

أمام هذا الواقع حزم الفلسطينيون أمرهم وباشروا بتحصين مدينة بحمدون بهمة ونشاط فأصبحت كخلية نحل تعمل فيها جميع فصائل الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية لحفر الخنادق وزرع الالغام واقامة التدميرات والنسفيات ووضع السواتر.

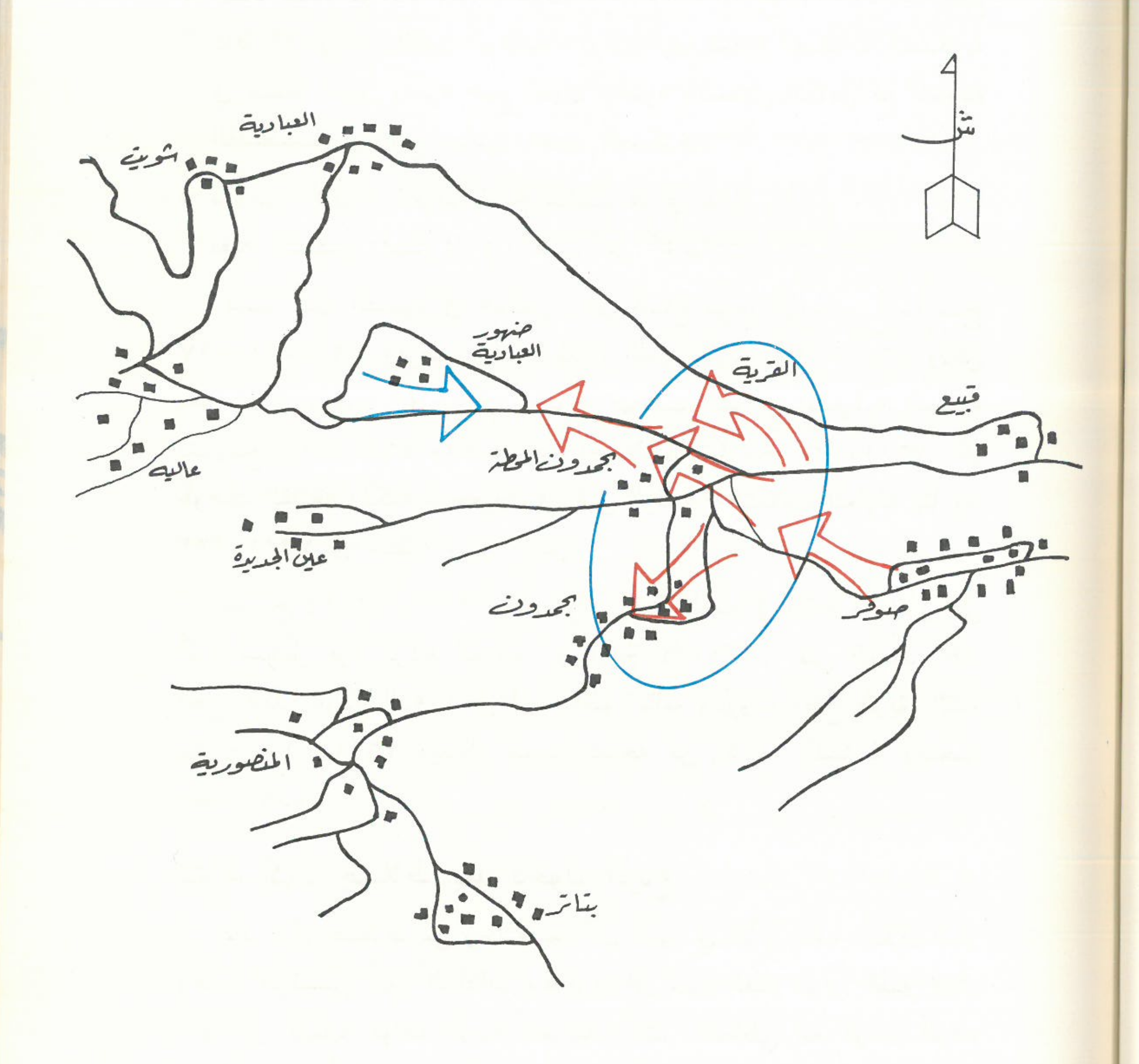
استمرت أعمال التحصين وحشد القوى حتى انطلق الهجوم السوري بتاريخ ٧٦/١٠/١٤ فاشتعلت الجبهة لمدة أربعة أيام متتالية وضع فيها جميع الفرقاء ثقلهم ولم تسقط بحمدون مواجهة بل سقطت بالتفاف السوريين عليها بمشاتهم (القوات الخاصة) من الجهة الشمالية الغربية.

استلم الاشتراكيون الدفاع عن المرتفعات الجنوبية للبلدة واستلمت فتح الدفاع عن قلب المدينة وتوزعت الفصائل الاخرى على المراكز المختلفة حول هاتين المجموعتين الكبيرتين، أما قوات المرابطون فقد تمركزت مع مصفحاتها في النسق الخلفي. كان الصمود رائعا وتمكنت قوات قليلة من الدفاع عن بحمدون شبرا شبرا الامر الذي أفسح المجال لمؤتمر القمة في الرياض لتحقيق التسوية الموقتة وفرض وقف لاطلاق النار.

قبل هجوم بحمدون وقعت تحركات سياسية وعسكرية ذات دلالة وكان بعضها توطئة لهذا الهجوم الكبير ويمكن ايجازها بالآتي:

- زيارة سماحة شيخ العقل الشيخ محمد أبو شقرا الى سوريا بتاريخ ٧٦/١٠/٤ على أثر مجزرة صليما للبحث في الضمانات التي يحتاجها المواطنون خوفا من اعتداءات مقاتلي الجبهة اللبنانية وعدم نجاح الزيارة.
- بتاريخ ٧٦/١٠/٥ حظي كمال جنبلاط بتأييد الاحزاب اليسارية أثناء زيارته لباريس.
- بتاريخ ٧٦/١٠/٨ تحرك جبهة مرجعيون القليعة.
- بتاريخ ٧٦/١٠/١١ اجتماع في شتورا للجنة الرباعية (سوريا والمقاومة ولبنان والجامعة العربية). لم يسفر عن إتفاق.
- بتاريخ ٧٦/١٠/١٢ هجوم سوري على محور حيطورة جباع.

معركة بحمدون "١٩٧٦"



لقد رافق التحضير للدفاع عن بحمدون عدة اجراءات ادارية لتلاحم القوى الوطنية وتعزيز صمودها ومنها على سبيل المثال.

* انشاء قيادة موحدة للقوات الوطنية المشتركية بتاريخ ٧٦/١٠/١٠ تضم كافة الاحزاب والقوى الوطنية، أوكل اليها قيادة العمليات العسكرية في منطقة الجبل وأمرة جميع القوى مباشرة بالتنسيق الكامل مع المقاومة الفلسطينية في جميع ميادين العمل العسكري.
* مساعدة الافواج العربية لفتح مكتب لها في عاليه بتاريخ ٧٦/١٠/١٠ بغية التحضير للمشاركة في القتال على الجبهة.

قلنا أدى الصمود في بحمدون الى نجاح مؤتمر الرياض بتاريخ ٧٦/١٠/١٨-١٧ وفرض وقف اطلاق النار بتاريخ ٧٦/١٠/٢١ ولكن بعد أن احتدمت الحرب في الجنوب فهاجمت القوات المشتركية العيشية بتاريخ ٧٦/١٠/١٨ وتمكنت من احتلالها بتاريخ ٧٦/١٠/٢٠، كما هوجمت القليعة وثكنة مرجعيون في نفس الوقت ثم اشتعلت المعارك بتاريخ ٧٦/١٠/٢١ في منطقة بنت جبيل.

بتاريخ ٧٦/١٠/٢٦-٢٥ عقد مؤتمر القمة الموسع في القاهرة وتقرر على أثره تشكيل قوة الردع العربية، وبتاريخ ٧٦/١١/٤ عين العميد أحمد الحاج قائدا للردع الذي دخل الى مناطق عاليه وبيروت وفتح طريق الشام بتاريخ ٧٦/١١/١٠ وبذلك طويت صفحة من الازمة اللبنانية وفتحت صفحة جديدة.

نشاط كمال جنبلاط بعد دخول الردع

عاد كمال جنبلاط من رحلته بعد أن أسهم في نجاح وقف اطلاق النار وتحرك الرئيسين أنور السادات وهواري أبي مدين لعقد مؤتمر القمة الذي أدى الى تأليف قوات الردع العربية. باشر التعاطي مع قوات الردع بانفتاح فسلم أسلحته الثقيلة وذخائره وأخذ يتعامل مع الرئيس الياس سركيس بايجابية.

كان كمال جنبلاط يخشى من أبعاد تحركات الجبهة اللبنانية في الجنوب وعدم تمكن السوريين من مواجهتها بسبب الظروف الاقليمية والدولية فتابع مسيرة بناء قواته النظامية لتبقى درعه الواقية حيث أنشأ بتاريخ ٧٦/١١/١ اللواء التنوخي وكتيبة صوفر بعد أن عقد اجتماع عمل بتاريخ ٧٦/١٠/٢٨ درس فيه الامور التالية:

* قضية قوات التحرير.
* اعادة النظر في الفصائل على مستوى القرى.
* تنظيم القيادة بين عاليه والشوف.
* اعادة تنظيم الامن.
* قضية مفوضية العبئة.
* قضية الاعلام.
* تنظيم العلاقة بين المقاومة والقوات الوطنية.

في هذا التاريخ وخلال اجتماع العمل استشهد النقيب عاطف ذبيان في عين المعاصر، أثناء قيامه بتهدئة الاوضاع التي وترها كميل شمعون بغية حث قوات الردع العربية على الدخول الى الشوف. أدى هذا الحادث الى قيام الاهالي بمهاجمة عين المعاصر ليلا واحراقها ومحاولة المتابعة الى دير القمر ولكن كمال جنبلاط ضبط الوضع ومنعه من التطور والتفاقم.

بتاريخ ٧٦/١١/١٣ قرر كمال جنبلاط اعتماد شارات للسلاح وتوزيعها على العسكريين كما درس شأن الانتقال فقرر ما يأتي:

* يمنع منعا باتا على جميع العسكريين الانتقال مع السلاح في جميع المناطق الوطنية وخارجها دون أمر مهمة.
* يمنع انتقال العسكريين المأذونين الى المناطق التي تسيطر عليها قوات الامن العربية باللباس العسكري.
* انتقال القيادة من سوق الغرب الى عبية بتاريخ ٧٦/١١/١٥ وحراستها على همة فصيل من قوات التحرير الشعبية.

بتاريخ ٧٦/١١/٢٠ قرر ترقية تلامذة الضباط الذين اتبعوا دورة تدريبية في بعورتة وبتاريخ ٧٦/١١/٢٩ وزعهم على السرايا المقاتلة.

بتاريخ ٧٦/١٢/٨ عقد اجتماع لدراسة أمر مفوضية التعبئة وقدمت عدة مشاريع تقرر على أثرها تأليف لجنة صياغة من أنور الفطايري ورشيد حسن ورياض تقي الدين للخروج بمشروع يأخذ بالافكار الجيدة من كافة المشاريع المطروحة. أنجزت اللجنة عملها بتاريخ ٧٦/١٢/٢٢ وعرض المشروع الموحد على كمال جنبلاط فأقره بشكله النهائي بعد ادخال بعض التعديلات عليه وقد وافق مجلس القيادة على هذا النظام بتاريخ ٧٧/١/٣.

لم يهمل كمال جنبلاط محاولة وصل خيط الود مع سوريا فكلف رياض رعد للقيام بهذه المهمة وكان كل همه ايجاد رؤية مشتركة بينه وبين القيادة السورية حول الوضع في الجنوب سيما بعدما أخذت سوريا ترسل الذخائر والمعدات للفدائيين هناك (ارسال ٦٠ شاحنة ذخائر بتاريخ ٧٦/١٢/٢٩).

بتاريخ ٧٧/١/٥ قرر كمال جنبلاط بناء قوات نظامية من ٢٥٠٠ عنصرا موزعة على المتن والغرب والشوف وحاصبيا وراشيا بعد أن نجح الامير عبد الله السعودي من ترطيب الاجواء بينه وبين سوريا وتقرر تأجيل دخول قوات الردع الى الشوف لخلق نوع من المساواة بين كسروان والشوف.

بتاريخ ٧٧/١/٧ تقرر اخراج القوات النظامية الفلسطينية من لبنان في ٧٧/١/١٢ بعد أن تتسلم قوات الردع جميع أسلحتها الثقيلة في هذا التاريخ وقع انفجار في ثكنة الحزب التقدمي الاشتراكي (ثكنة الدبيسي) في بقعاتا وبعد دراسة الامر من مختلف جوانبه تقرر صرف قوات التحرير الى منازلها على أن تبقى جاهزة تحت الطلب لتلبية أي طارىء وذلك تفاديا للمضاعفات التي قد تنشأ في حال تكرار أعمال التخريب والنسف.

بتاريخ ٧٧/١/١٢ كان الوضع بالنسبة لكمال جنبلاط مربكا. فقد انفتحت اسرائيل بشكل مكشوف على القرى المسيحية في الشريط الحدودي وأخذت تربطها بالداخل الاسرائيلي. أما سوريا فأدخلت لواء فلسطينيا بكامل عتاده الى جنوب لبنان وأصبح وضع الصراع غامضا. خشي كمال جنبلاط من أن تضطر سوريا تحت ضغط دولي وعلى الأخص اميركي للانسحاب من لبنان في الربيع فأخذ يردد (اذا انسحبت سوريا سنقع أمام القوات اللبنانية مثل تشيكوسلوفاكيا لذلك لا يسعنا حل الجيش الشعبي بل يجب تعزيزه) وقد أبلغ وجهة نظره للسوريين بواسطة كمال أبي لطيف ورياض رعد وشدد على أن المسيحيين يقومون باجراءات تقسيمية غير معروفة الابعاد كالسيطرة على المرفأ ووزارة الدفاع ونقل بعض دوائر وزارة الاقتصاد الى جونية هذا بالاضافة الى عجز الياس سركيس عن حسم أمره مع قائد جيشه حنا سعيد.

كانت سوريا تريد من كمال جنبلاط صرف جيش التحرير لان الضمانة الامنية في نظرها تتوفر في الجيش السوري وكان كمال جنبلاط يماطل في ذلك خوفا من اضطرار سوريا للانسحاب تحت ضغط دولي ويطلب السماح بارسال بعض القوات الى الجنوب. وافق السوريون على ذلك بشرط انهاء تسليم السلاح الثقيل فالتزم كمال جنبلاط بالامر وصرح عن مخازن الذخيرة الموجودة في نيحا وبعذران وسلمها للقوات السورية بينما كان الياس سركيس يريد تسليمها للدولة اللبنانية. كذلك تحسنت العلاقات على الساحة المحلية بين القوات السورية والاشتراكيين فسمح محمد غانم بتاريخ ٧٧/١/١٦ للقادة الحزبيين بالتحرك في سياراتهم الحزبية داخل المنطقة التي يتواجد فيها الردع وكان ذلك ايذانا بولادة صفحة جديدة بين الفريقين.

في هذه الفترة أخذ الامير مجيد أرسلان خصم كمال جنبلاط التقليدي يمد الخيوط الى سوريا والى كافة القوى الفاعلة على الساحة اللبنانية بغية تطويقه كما أخذت الاتصالات بين مختلف الفرقاء تتم متجاوزة الحركة

الوطنية ومحاولة اهمالها. وتطورت عملية الصراع من الجنوب فاحتلت الكتائب بمساندة اسرائيل قرية القليعة وأرسل السوريون بعض العناصر الى الجرمق كما دخلت القوات السورية بتاريخ ٧٧/١/٢٦ الى صور والنبطية لكن اسرائيل لم ترض عن ذلك فأرسلت الى سوريا انذارا شديدا بواسطة الولايات المتحدة الاميركية.

بتاريخ ٧٧/٢/٦ وردت الى كمال جنبلاط أخبار عن وجود مدربين اسرائيليين لدى القوات اللبنانية في عين الصحة فاطلع السوريين عليها وأبدى مخاوفه من ظهور القوات الكتائبية باللباس الرسمي أمام البيت المركزي في بيروت.

بتاريخ ٧٧/٢/١٧ احتلت القوات اللبنانية مدعومة بمجنزرات اسرائيلية بلدة الخيام وبلغت اصابات المواطنين حوالي السبعين. أما بتاريخ ٧٧/٢/٢١ فقد هاجمت القوات الكتائبية ابل السقي الامر الذي دفع كمال جنبلاط الى الخوف من عمليات تهجير واسعة في الجنوب فراسل السوريين بشأن خوفه وفكر في لقاء السفراء الاجانب ومباحثتهم في الموضوع.

بتاريخ ٧٧/٢/٢٧ أخذت القوات اللبنانية نقلة نوعية في سبيل تكثيف وجودها في الجبل فبدأ المقاتلون بالعودة الى القرى الدرزية بكثافة وتحرك الانعزاليون في حمانا متحدين المشاعر الدرزية والقوات السورية فرفعوا اللافتات الاستفزازية الامر الذي اضطر السوريين لقمعهم بالقوة ولم يقتصر أمر التوتر على اللافتات فأنزل حاجز كتائبي بتاريخ ٧٧/٣/٢، كما برزت في المنطقة بعض المواقف المتطرفة ذات الدلالة وهي:

★ تعرض المسيحيين بعد دق الاجراس لمئة طالب من الجامعة الاميركية حاولوا اعادة بناء البيوت الدرزية المحروقة في صليما وقد اضطرت قوات الردع للتدخل وحسم الامر.

★ كتابة الشعارات الكتائبية على الحيطان في ثانوية بحمدون وافتعال

مشكلة مع الدروز.

★ رفع شعارات استفزازية في بلدة فالوغا وافتعال حادثة مسلحة مع الاهالي.

★ عودة جميع المقاتلين المسيحيين الى قراهم بما فيهم الجرحى.

بعد تدخل اميركا على أثر الانذار الاسرائيلي اتفق على سحب القوات السورية من الجنوب بناء لرغبة الرئيس الياس سركيس الامر الذي أدى الى وقوع اشتباك في النبطية بين فتح والصاعقة من جهة والجبهة الشعبية من جهة أخرى وذلك بسبب الخلاف حول تهدئة الجبهة تفاديا لأي تدخل اسرائيلي محتمل وتنفيذا لرغبة الرئيس سركيس.

هذه كانت حال كمال جنبلاط مع قوات الردع العربية والحكم مواقف ايجابية وتعاون مع تخوف دائم من ثغرة الجنوب وامكانية انسحاب القوات السورية تحت ضغط دولي مما دفعه الى الابقاء على قوات التحرير الشعبية والتفكير في تطويرها ومحاولة التنسيق مع الحكم السوري في ذلك الشأن.

المسيرة العسكرية بعد استشهاد كمال جنبلاط:

استشهد كمال جنبلاط بتاريخ ٧٧/٣/١٦ وكان الوضع السياسي والعسكري مترجرجا. كانت وفود المصالحة بينه وبين سوريا لا تزال في طور توضيح المواقف وكان المقاتلون في منازلهم ينتظرون الموافقة السورية الناجزة للذهاب بأسلحتهم الى الجنوب. كان التشديد في الضغط على المقاتلين قد انحسر وأصبح بامكان المسؤولين الحزبيين التنقل بسياراتهم الحزبية داخل منطقة عاليه ولكن الظهور بالسلاح كان محظورا رغم أن حزب الكتائب كان يمتلك حرية أكبر في التحرك داخل مناطقه. أما علاقات كمال جنبلاط بالياس سركيس فكانت تتحسن ببطء ولكن الياس سركيس كان لا يزال مترددا في الاسلوب الذي يجب اتباعه في اعادة بناء الجيش ولم يأخذ بوجهة النظر القائلة بالغاء منصب القائد والابقاء على وظيفة رئيس الاركان كما كان لا يرغب في حل القوات واعادة بنائها من الأساس.

في هذا الجو المعقد كان كمال جنبلاط قد أذن عناصر قوات التحرير الشعبية وأخذ يتجه لاعادة التنظيم فابتدأ بمفوضية التعبئة ثم انتقل الى بناء الخطط المستقبلية في مجالات الصمود والدفاع ولكن القدر لم يمهله ليتم ما أراد بناءه وليتمكن من ربط الاواصر المتينة مع سوريا فاستلم الراية بعده وليد جنبلاط في جو من الضياع العام ولكنه تمكن بحزمه وارادته الصلبة من الخروج من الدوامة بسرعة منتهجا سياسة حكيمة قوامها:

- ربط ما انقطع من خيوط مع سوريا وتمتين العلاقة معها.
- الانفتاح على العالم العربي.
- تمتين العلاقات والتحالف مع الاتحاد السوفياتي مع الانفتاح على الولايات المتحدة الاميركية.
- مهادنة الياس سركيس ومد يد الوفاق اليه من خلال اشتراكه بالوزارة بشخصي حليفيه بهيج تقي الدين ومروان حماده.
- اتباع سياسة المرونة في التعامل والثبات في الاهداف النهائية.
- تقوية نفسه عسكريا بخطوات وئيدة ولكن ثابتة.

انطلق وليد جنبلاط في هذه السياسة من نجاح الى نجاح فانعكست على وضع القوات العسكرية ولم يهملها أبدا بل بدأ في تجميعها خلال شهر نيسان عام ١٩٧٧ م، واستأنف تدريبها تحت ستار الكشاف التقدمي. ولما حل الاول من أيار موعد ذكرى أربعين كمال جنبلاط انزل حوالي أربعمئة عسكري باللباس المدني الى بيروت في اليوم السابق للمهرجان حيث جمعوا في ملعب الصفاء في الصباح التالي باللباس العسكري الذي هرّب الى بيروت داخل سيارات خاصة. اشتركت هذه القوة بالتشريفات وبضبط السير على الطريق العام وكان ظهورها مفاجأة للجميع بما في ذلك قوات الردع العربية.

أعطى المهرجان في الاونسكو حجما كبيرا لوليد جنبلاط وأبرز صدق ولاء الشعب لمبادىء والده ومدى التقدير الذي يكنه الجميع له الامر الذي أثر في أفكار العاملين على الساحة اللبنانية وسهل لوليد الدخول الى المحافل السياسية من الباب العريض.

بعد هذا المهرجان استمر المسار العسكري في نشاطه فافتتح في بداية شهر حزيران ١٩٧٧ م معسكر تدريب باللباس الرياضي في مخيم بقعاتا (ثكنة الدبيسي) وتتالت الدورات حتى نهاية الصيف. أما القوى النظامية فابقيت في منازلها تتقاضى نصف راتب شهد الوضع العسكري في الشوف في هذه الفترة تراجعا رغم متابعة الدورات التدريبية فسافر بعض المقاتلين للعمل في الخارج وارتبط آخرون بوظائف وأعمال داخل البلاد. أما الوضع في منطقة حاصبيا فبقي محافظا على المستوى الذي بلغه في نهاية الاحداث حيث كان الأمن الشعبي التابع لجميع الاحزاب يسيطر على المنطقة بالاضافة الى سرية متفرغة من قوات التحرير التابعة للحزب الاشتراكي.

خلال فترة الصيف كثرت الاعتداءات الاسرائيلية على منطقة صور فأرسلت سرية من الحزب التقدمي الاشتراكي بامرة جمال حمد الى المنطقة وبقيت هناك حتى وقوع عملية الاجتياح الاسرائيلي (عملية الليطاني) في ٧٨/٣/١٥.

لم يهمل وليد جنبلاط أمر السعي الحثيث للتقرب من سوريا وبذلك أخذت ظروف عمل الحزب التقدمي الاشتراكي على الأرض تتحسن يوما بعد يوم، سيما وأن العلاقات الكتائبية السورية أخذت بالتعكّر، الامر الذي ساعد على نجاح مهرجان ٧٧/١٢/٦ في ذكرى ميلاد الشهيد كمال جنبلاط. حضر هذا المهرجان جمع غفير فكان عدد العسكريين كثيرا ولكن السلاح كان قليلا واقتصر على العناصر المكلفة بالحفاظ على أمن المهرجان. عرضت جميع القوى باللباس العسكري والكشفي ولكن التحضير للمهرجان في اليوم السابق فاجأ الجميع وخلق جوا تعبويا هاما وذلك بانارة المرتفعات واطلاق النار في القرى والقاء المتفجرات الضخمة في الاماكن الخالية. لم يحضر أبو عمار الاحتفال واكتفى بارسال مندوبين عن المقاومة الفلسطينية ولكن ضخامة المهرجان فاجأته وجعلته يعيد النظر في حساباته فيتعمد الحضور في المهرجانات اللاحقة.

لم يكتف وليد جنبلاط بتسليح الحزب الاشتراكي بل اهتم بتسليح

أبناء التوحيد وتدريبهم الامر الذي اسهم في تعبئة قاعدته الشعبية ورص صفوفها.

في شتاء ١٩٧٨ حضّر وليد جنبلاط الاجواء مع الاتحاد السوفياتي وخاصة بعد عملية الليطاني في ١٥ اذار وبذلك بدأت دورات تدريب الاشتراكيين تقام في روسيا ابتداء من شهر نيسان.

لم يقم مهرجان كبير في ١٦ آذار بسبب الظروف في الجنوب واكتفي بإقامة حفلة مركزية في سينما الكونكورد جرى تأمينها على همة قوات التحرير الشعبية كما أقيمت ندوات في القرى ومسيرات شعبية إلى ضريح الشهيد في المختارة.

بعد مباشرة التدريب في روسيا استدعيت قوات التحرير الشعبية للخدمة اعتبارا من أول حزيران ١٩٨٧م وشهد العمل العسكري الجدي انطلاقة جديدة وسميت القوات بجيش التحرير الشعبي قوات الشهيد كمال جنبلاط وكان لم يتبق من الكوادر السابقة سوى مئتين وخمسين عنصرا أصبحت الملاك الجديد في بناء الجيش الشعبي الحاضر. على الأثر افتتح معسكرا تدريب الأول في نيحا بقيادة عبدالله شيا والآخر في كفرقوق بقيادة عادل سيور وكانت باكورة التعامل العسكري مع سوريا بإرسال مدربين سوريين إلى هذين المعسكرين، هذا وقد اغنت ملاك التدريب الكوادر التي عادت من الدورات في الاتحاد السوفياتي فالتحقت بالمعسكرين فور وصولها.

لم تهمل القوات الجديدة التي دربت بل شكلت في كتيبة نظامية تمركزت منها سرية في المختارة وأخرى في راشيا وثالثة في حاصبيا. وفي أوائل عام ١٩٧٩م زاد عديد القوات النظامية فأرسلت سرية إلى كفرتبنيت للإسهام في الدفاع ضد الغارات الإسرائيلية التي بدأت تستهدف المنطقة.

تطور التدريب عام ١٩٧٩م وافتتحت معسكرات في تومات نيحا

حيث بدأت تقام دورات الاختصاص للعمل على الهواوين والأسلحة المضادة للدروع والطائرات بالإضافة إلى دورات المغاوير والرتباء. كل هذه الأمور رفعت من جاهزية القوات الاشتراكية ومن تعاظم عديدها الأمر الذي دفعها إلى التوجه نحو الاحتراف الكامل وهذا ما حدا بسعد الحداد إلى قصف المعسكر بمدفعيته الثقيلة البعيدة المدى.

وجاء عام ١٩٨٠م وبوشر العمل لإقامة التحصينات في تومات نيحا خوفا من التقدم الإسرائيلي بعد أن أخذت قوات سعد الحداد بالتعاظم وبعد أن ظهرت بوادر النوايا الإسرائيلية في العبور إلى العميق اللبناني. رافق هذا الإجراء نقل معسكر التدريب إلى حرش دلبون حيث استقام العمل العسكري وأخذت الكوادر مواقعها الدائمة وانتظم التدريب.

ولم تقف تدابير وليد جنبلاط الاحترازية عند هذا الحد بل نسق مع قيادة الجيش اللبناني واستصدر امرا للكتيبة ٤٣ هذا مضمونه.

مشروع

أمر عمليات للكتيبة ٤٣ للمساهمة في التصدي للغزو الإسرائيلي المحتمل.

أولا/ **الوضع**/ احتمال اجتياح إسرائيلي كبير للأراضي اللبنانية.

ثانيا/ **مهمة الكتيبة ٤٣**/ التصدي مع قوات الردع العربية للاجتياح الإسرائيلي في منطقتي جزين وجبل الباروك ومساعدة الأهالي على الصمود ومنع النزوح.

ثالثا/ **التنفيذ**/

٣١ -**الفكرة**/ الدفاع في النسق الخلفي لوقف أي توغل معادي وكسب الوقت لتمكين القيادة من اتخاذ الإجراءات المناسبة.

٣٢ -**توزيع القوى**/ تقسم الكتيبة إلى ثلاثة ألفاف تكتية وتتمركز دفاعيا في المناطق التالية/

أ - **اللفيف الأول/** على المدخل الجنوبي لبلدة جزين حول محور جزين كفرحونة.

ب - **اللفيف الثاني/** على محور صباح حيطورة عين الطغرة.

ج - **اللفيف الثالث/** على محور معاصر الشوف كفريا في المراكز التالية/

- الرادار ق ٤٥٣٥ - ن ٨٩٧٥
- مفرق محطة الإرسال التلفزيوني/ ق ٤٦٨٠ - ن ٩٢٨٠
- المنعطف المشرف على كفريا/ ق ٤٧٤٠ - ن ٩٢٠٠

ملاحظة/ إذا حالت كثافة قوات الردع العربية دون التمركز في الأماكن المحددة يسمح لقائد الكتيبة باختيار مراكز بديلة تفي بالغرض.

١٩٨١/٥/٨م

مرحلة الاحتلال الإسرائيلي/

بقي خط تطور القوة الإشتراكية في ارتفاع رتيب بعد عام ١٩٨٠م مع الحذر من التحركات الإسرائيلية ومع تقدير عال لقيمة القوات العسكرية للمقاومة الفلسطينية في الجنوب وإمكانية تصديها لأية هجمة سيما بعدما آلت إليه نتيجة عملية الليطاني عام ١٩٧٨م وما رافقها من إعلام فلسطيني. لكن واقع الحال جاء ليثبت عكس ذلك فاجتاحت إسرائيل بتاريخ ١٩٨٢/٦/٤م الأراضي اللبنانية بحركة سريعة فاجأت الجميع بمن فيهم قوات الردع العربية وتطور الاجتياح بتاريخ ١٩٢٨/٦/٦م ليشمل مناطق لم تكن لتظن أن الجيش الإسرائيلي قد يطأ أرضها يوما وبذلك لم يتمكن أي حزب من استنفار قواته أو تعبئة طاقاته.

عندما بدأ الاجتياح الإسرائيلي كان وليد جنبلاط خارج لبنان وكانت القوات الإشتراكية الموضوعة في الخدمة والمواجهة موزعة على الصورة التالية/

★ سرية مشاة في تومات نيحا مع راجمة (١٠٧).

★ فصيلة مشاة في مزرعة الشوف مع قاذف غراد فردي.

عزّز السوريون عند انطلاق العملية الإسرائيلية محور جزين بمجموعة عملانية، ولكن الاجتياح جاء سريعا ولم تصمد مقاومة الجنوب أمامه كثيرا. وصل الإسرائيليون إلى الشوف فجأة دون أية معلومات عن وصولهم وكان الكل يظن أنهم جيش لبنان العربي. جاء الرتل الإسرائيلي عن طريق إقليم الخروب مزرعة الشوف وغريفة ووصلت طلائعه إلى عين زحلتا قبل أن تتحرك جبهة جزين.

انهارت جبهة جزين عند تعرّضها في الصدمة الأولى وبعد الالتفاف عليها عبر اقليم الخروب الشوف واضطرت القوات السورية للانسحاب، الأمر الذي أوجب على سرية جيش التحرير الشعبي المتواجدة في نيحا القيام بمهمة توجيه القوافل السورية المنسحبة سيرا على الأقدام بعد أن دمرت الياتها بين باتر وجسر الجديدة كلفت سرية الجيش الشعبي بهذا الواجب فوجهت المنسحبين عبر جبل الباروك إلى البقاع وأخلت الجرحى في جو عسكري صعب حيث اضطرت إلى العمل باللباس المدني وتهريب بعض الجرحى عبر الخطوط الإسرائيلية. كذلك ساهمت القوات الإشتراكية في منطقة عاليه من إخلاء الجرحى السوريين من عيناب وشملان إلى عاليه ثم إلى بحمدون كما قام الإشتراكيون هناك بدور الأدلة للقوافل السورية المنسحبة.

عند وقف اطلاق النار شدد الإسرائيليون قبضتهم على الشوف فصادروا الأسلحة الثقيلة ومنها كتيبة مدفعية (١٣٠ملم - ١٢٢ملم) وعدد من الراجمات والرشاشات المضادة للطائرات والآليات. اثر هذا الاجتياح الصاعق انتقل القسم الأكبر من الجيش الشعبي منسحبا إلى عاليه ثم إلى المتن وتفرق الباقون ضمن قراهم وحافظت الوحدات على تنظيمها داخل القرى باللباس المدني وخبأت الأسلحة الفردية بعد أن ابقيت سرية باللباس المدني في قصر المختارة.

حاول الإسرائيليون جمع السلاح من بعض القرى كبعقلين وبتاتر والمختارة ولكن الأهالي ورجال الدين تصدوا لهم الأمر الذي دفعهم للعدول عن هذا العمل والتريث رغبة في عدم إثارة الشعب سيما وأنهم كانوا يستخدمون افراد القوات اللبنانية كأدلة في تحركاتهم المختلفة.

الممارسة الإسرائيلية حيال الإشتراكيين

دخل الإسرائيليون الجبل وفي ذهنهم القضاء على الحزب التقدمي الإشتراكي ووليد جنبلاط بالذات وإبراز التيار الدرزي الآخر بجمعه مع القوات اللبنانية في إطار صيغة ذات هيمنة مسيحية ودونية درزية. فوجىء الإسرائيليون بأن خطتهم لم تنجح بسبب كثافة التأييد الدرزي لوليد جنبلاط ورفض الإنضواء تحت جناح المارونية السياسية. فوجئوا بذلك فحاولوا مد اليد لوليد راغبين في تأليف قوات محلية بعد فرط ثكنة الجيش في بيت الدين يكون ربعها اشتراكيا وثلاثة ارباعها من القوات اللبنانية مع قيادة مسيحية. رفض العرض واستمرت الاقتراحات الإسرائيلية تتوالى حتى أصبح الطرح بأن يكون العديد مناصفة والقيادة اشتراكية. رفض هذا ايضا وكان القرار الإشتراكي بوجوب إخراج القوات اللبنانية من الجبل مهما كلف الأمر ولو أدّى ذلك إلى المواجهة المباشرة مع الإسرائيليين.

كيف سارت الأحداث؟

عند دخول الإسرائيليين ضربوا ثكنة بيت الدين التابعة للجيش اللبناني ودخلوها ثم أرسلوا العسكريين إلى منازلهم وأبقوا على جهازها الإداري أولا. كانوا يرغبون بجمع العسكريين تحت أمرتهم وضبطهم كما ضبطوا صيدا ولكنهم أحسوا بتعاطف الجنود والضباط مع وليد جنبلاط ففضلوا فرط الثكنة واستقدام القوات اللبنانية للحلول مكانها، سيما بعدما ضغطت الجبهة اللبنانية وعلى الأخص كميل شمعون في هذا الاتجاه.

استقدمت القوات اللبنانية وتمركزت داخل بيت الدين وفي ثكنة

الجيش كما وزعت مخافرها على الطرقات والنقاط الحساسة كجسر القاضي وسوق الغرب وغير ذلك من المراكز. لم يتأخر الرد الاشتراكي بعد قرار التصدي فهوجم مخفر جسر القاضي بقوات نظامية وأسفرت العملية عن سيطرة الإشتراكيين وقتل أربعة من مليشيا القوات اللبنانية ولكن التقدميين لم يتمكنوا من البقاء على الجسر بسبب الموقف الإسرائيلي فتركوه بعد تنفيذ الغارة مباشرة. وفي بيت الدين هاجم الاشتراكيون مركز القوات اللبنانية في الساحة ومحطة المرحوقات في عين المعاصر مما أدى إلى سقوط ثلاثة قتلى من القوات أما في بيزون فلم يجدوا أحدا في المركز بعد ما أخلته القوات اللبنانية عند ملاحظتها التحضير للهجوم. أما النقلة النوعية فقد جاءت بتاريخ ١٩٨٢/٨/٢٦م عند دخول القوات الكتائبية إلى قريتي قبيع والقرية بأمرة ارنست الجميل وتحت رعاية الدبابات الإسرائيلية حيث هب الإشتراكيون للمواجهة وتمكن عدد قليل منهم من طرد الكتائب وقتل ارنست الجميل نفسه وسبعة من رفاقه فكان ذلك الحدث ايذانا بمباشرة المواجهة الصارمة. تتالت العمليات على قوافل القوات اللبنانية في عاليه وطريق بحتشيه ثم مستديرة عاليه ثم الشويفات والطريق الساحلي الأمر الذي جعل تنقل القوات اللبنانية محفوفا بالخطر وغير آمن وكانت أهم حادثة في هذا المجال معركة الغابون التي انتصر فيها الأهالي الوادعين على دورية كبيرة من القوات اللبنانية أرادت نزع سلاحهم فحطموا ملالتها وأوقعوا فيها إصابات عدة بقيت في أرض المعركة طويلا حتى اخلاها الإسرائيليون.

أخذت العمليات تتوالى في الشوف وعاليه وهذا ما اربك الإسرائيليين فأصبح انتقال القوات اللبنانية دون مواكبة إسرائيلية أمرا شبه مستحيل.

بعد انقضاء الصيف تمكن الإشتراكيون من التكيف مع الظروف الراهنة فبوشر العمل العسكري النظامي تحت ستار من السرية والتحرك الشعبي المحلي وفتح محور بريح في ٨٢/١١/١ بعد أن حشدت القوات اللبنانية قوة كبيرة في البلدة تمهيدا للسيطرة عليها. لم يظهر الاشتراكيون

بلباسهم المميز ولكنهم تدخلوا تحت ستار الأهالي والأقارب والأصحاب وبقيت الجبهة مفتوحة بين أخذ ورد حتى حسمت المعركة بعد الإنسحاب الإسرائيلي

قبل فتح محور بريح بتاريخ ١٩٨٢/٧/٨م وقعت حادثة كفرنبرخ حيث حاولت القوات اللبنانية اظهار قوتها اثناء تشييع جثمان أحد المسيحيين بعد أن ذبحت عجوزا درزيا مسالما وزوجته في المطيلي ولكن الدائرة دارت على القوات وأوقع الاشتراكيون في صفوفهم خسائر كبيرة (٣٠ قتيلا).

في هذه الفترة بدىء باستخدام الأسلحة الثقيلة على شكل غارات بالقواذف الفردية والهواوين (٨١ - ٨٢) ثم اخفائها بسرعة بعد الاستعمال خوفا من الإسرائيليين حاولت القوات اللبنانية بقيادة الياس ناصيف (جعفر) الرد بمساعدة الإسرائيليين. فتسللت مفرزة من دير القمر إلى كفرفاقود ليلا وقتلت أحد الأهالي، ولكنها منيت بفشل ذريع وسقط في صفوفها عدد من الاصابات وكان بينهم جنود إسرائيليون أثبتت المخلفات والأسلحة التي تركوها في موقع المعركة اشتراكهم. ولم يقف التواطؤ الإسرائيلي عند هذا الحد بل تعداه إلى حماية دير درويت ومنع التعرض لها إثر إقدام القوات اللبنانية فيها على اقتراف مجزرة الجسر التي وقع ضحيتها اربعة عشر درزيا من المارة الأبرياء فاهتز بذلك المجتمع الدرزي بأسره وأصبحت دير درويت في نظره رمز الغدر والخيانة.

تعذر على الإسرائيليين النجاح في محاولة إقامة الصلح الدرزي الماروني المنفرد على قاعدة الأرجحية المارونية وخرج الأمر من يدهم خاصة بعد المواجهة الناجحة بين أهالي بيصور والجيش الإسرائيلي حيث احتجز بعض العسكريين وانتزعت أسلحتهم الأمر الذي طور المواجهة لتأخذ الطابع الجماهيري وهذا ما أدى إلى اندفاع الأهالي والحزب وعبور العين على الجندي الإسرائيلي مما حضر لعملية اقتحام الاشتراكيين للحي الغربي في

عاليه بهجوم ناجح بتاريخ ١٩٨٣/٢/٦ إثر قصف القوات اللبنانية للجماهير التي كانت تشيع أحد المشايخ إلى مثواه الأخير.

ثغرة كفرمتى

أدت المواجهة الناجحة التي قادها الحزب التقدمي الاشتراكي في مختلف المناطق وعلى الأخص في كفرمتى إلى تدخل الأمير مجيد أرسلان في مسعى صلحي بعد وقوع اشتباك داخل البلدة أسفر عن سقوط إصابات من الطرفين. عقد الاجتماع في خريف ١٩٨٢م في منزل الأمير مجيد في عاليه وحضره عن الحزب التقدمي الاشتراكي الوزير خالد جنبلاط. حضر الوزير جنبلاط الاجتماع بروح إيجابية ووافق على تمركز الجيش اللبناني في كفرمتى حيث اقيمت الحواجز داخل البلدة وفي محيطها. لم يكن الجيش صادقا في وعده بتحييد المنطقة وتجنيبها الصراعات فأخذ ينسق مع القوات اللبنانية ويعزز مواقعها بعد أن عمل قائده إبراهيم طنوس على تهريب الكتائبيين باللباس المدني عبر الخط الساحلي وتأمين السلاح لهم في المواقع بواسطة اليات الجيش. خدع الاشتراكيون أولا بنوايا الجيش فلم يعززوا قواتهم في الشحار ولم يمدوهم بالحاجات اللازمة من العتاد والذخائر معتمدين على صدق الوعود التي قطعت في اجتماع عاليه الأمر الذي أسهم فيما بعد بسقوط الشحار عند الإنسحاب الإسرائيلي.

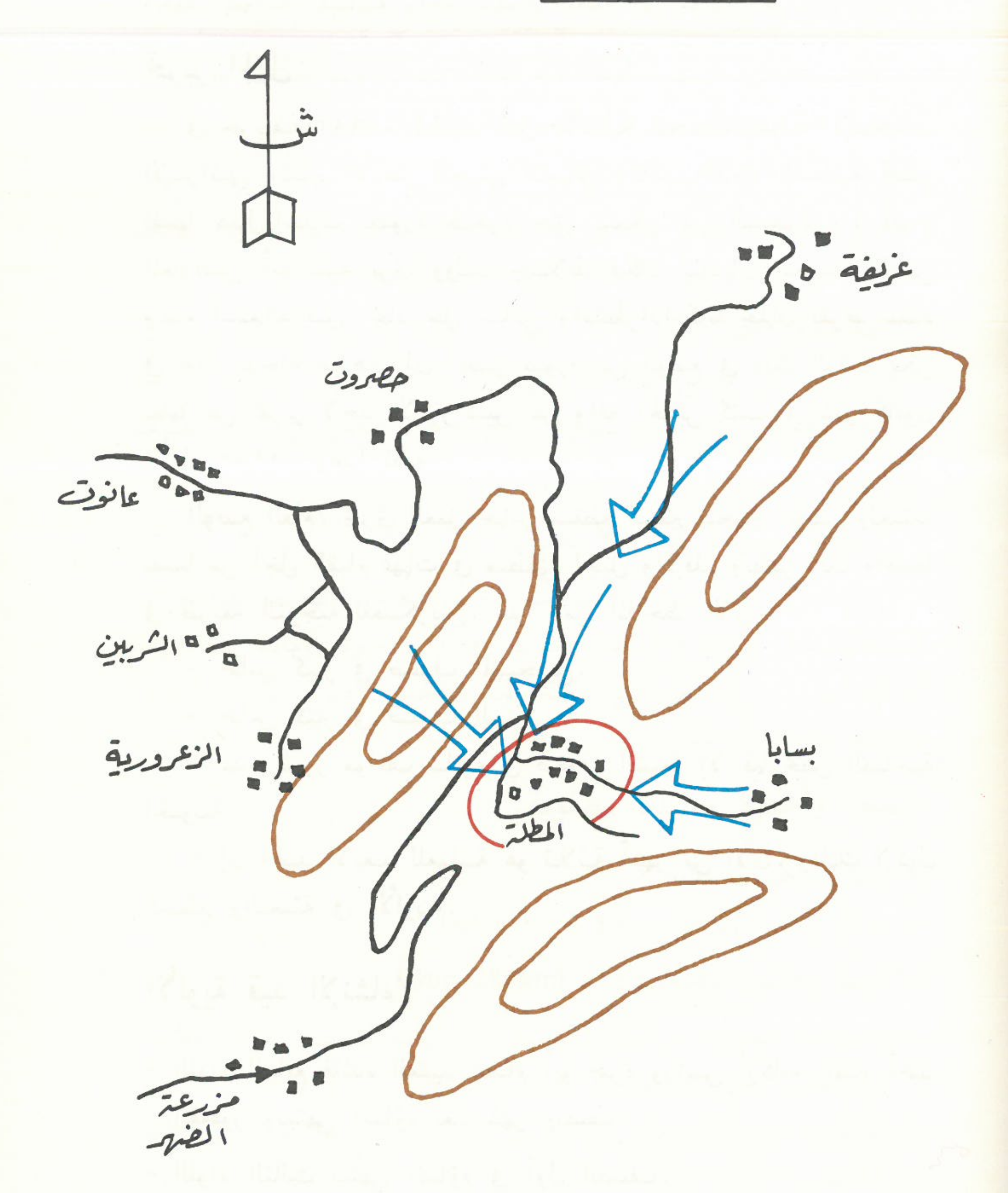
اكتشف الإشراكيون الخدعة الكبيرة التي اوقعهم بها الجيش اللبناني في صيف ١٩٨٣م فأخذوا ينقلون السلاح من المناصف ومن الغرب على ظهور البغال إلى كفرمتى ولكنهم ظلوا في موقع الدونية الواضحة ان من ناحية العديد أو العتاد، الأمر الذي اضطرهم إلى مواجهة الجيش في عملية جريئة تمكنوا من السيطرة فيها وإلقاء القبض على مجموعة كبيرة من العسكريين ونزع سلاحهم. ولكن التسوية جاءت لتعيد الأمر إلى ما كان عليه ثم لتسمح لإبراهيم طنوس بتهريب العسكريين والقوات اللبنانية باللباس المدني إلى المنطقة تعزيزا للموقف المشترك بعد أن افتتحت قيادة موحدة

للطرفين في المشرف وبذلك أصبحت كفرمتى ثغرة خطيرة في خاصرة الإنتشار الإشتراكي والدرزي.

معركة المطلة:

إثر المواجهة الاشتراكية الناجحة للقوات اللبنانية أخذت التعزيزات تتدفق على القوات من مختلف المناطق بحرا وبرا وبوشر بإقامة التحصينات القوية ومنها تحصين بلدة المطلة التي واجهت محور بيقون مزرعة الشوف من جهة وسيطرت على طريق غريفة إقليم الخروب من جهة أخرى. تمكنت القوات اللبنانية من السيطرة على طريق إقليم الخروب عند عين بيزون وصار المرور متعذرا فأصبح التنقل بين الشوف والإقليم بالسيارات المدنية الخفيفة متعذرا الأمر الذي دفع الاشتراكيين للتفكير بضربة عسكرية للمطلة تأخذ أحد صيغتين: عملية احتلال أو غارة تأديبية وذلك حسب الظروف وموقف القوات الإسرائيلية. تقررت الخطة بهجوم على محورين الأول من ناحية مزرعة الشوف بيقون والثاني من ناحية غريفة بوشر العمل ليل ٨٣/٥/٨ وحشدت القوات اللازمة، ولكن الاسناد المدفعي لم يكن مؤمنا بالشكل الكافي فاجتاحت القوات الإشتراكية البلدة عبر الدشم والتحصينات وتوصلت لاحتلال معظم المطلة حتى باحة الكنيسة حيث تراجعت القوات اللبنانية تحت ضغط الصدمة ولكن حدثين غيرا الموقف وحولا العملية الاحتلالية إلى إغارة الا وهما: تحرك الدبابات الإسرائيلية لنجدة القوات اللبنانية من ناحية مزمورة واستشهاد ثلاثة قادة اشتراكيين هم اسعد حماد ونصير ذبيان وكميل نمور وإصابة رابع. أوقع هذا الوضع ارباكا في صفوف القوات الإشتراكية وساعد القوات اللبنانية على لمّ شملها والصمود في مواقعها مما حدا بالقيادة الإشتراكية إلى إصدار الأمر بالإنسحاب واعتبار العملية غارة ناجحة، بعدما سقط للقوات اللبنانية ٩٦ قتيلا واستشهد سبعة عشر اشتراكيا. ورغم نجاح العملية الجزئي اعتبرها الاشتراكيون نكسة عسكرية لأنهم كانوا يرغبون في تحقيق الاحتلال وإنهاء

معركة المطلة



دور البلدة كشوكة في الخاصرة، لكن الموقف الإسرائيلي الحازم حافظ على وجود القوات اللبنانية وأجل سقوط المطلة إلى موعد آخر.

تحرير الجبل:

في خريف ١٩٨٢م كانت كل الألسنة تتحدث بمقولة الإنسحاب الإسرائيلي وتسليم الأرض للجيش اللبناني وكانت الدولة اللبنانية تحضر نفسها لهذا الحدث بصورة ظاهرة حتى تتمكن من السيطرة وكم أفواه المعارضين أما نبيه بري ووليد جنبلاط فكانا ينايدان بتحييد الجيش وعدم استعماله قبل إيجاد حل سياسي واستطرادا كانا يحلمان بفرط عقده في حال تدخله ضدهما. إن أفضل صورة عن الوضع في ذلك الوقت يمكن نقلها عن تقرير لأحد الإشتراكيين عن واقع الجيش كتب في شهر كانون الأول ١٩٨٢م وهذا نصه.

الوضع العام/ يجري العمل بحماس منقطع النظير لتجهيز الجيش وتعبئته نفسيا من أجل القيام بمهمات في منطقتي الجبل والإقليم ويظهر ذلك واضحا في طريقة التوجيه للعسكريين. هذا ومن الملاحظ الآتي:

- حماس كبير في صفوف المسيحيين.
- حماس كبير في صفوف السنة.
- عدم ظهور مواقف سلبية في صفوف الشيعة إلا فيما يخص الضاحية الجنوبية.
- إن الحد الأبعد للعملية هو ثلاثة أشهر من الآن، وذلك لإكمال التنظيم والتعبئة في الألوية.

الألوية قيد الإنشاء/

- اللواء السابع قائده العقيد عصام أبو جمرة ورئيس أركانه المقدم أحمد القعقور وينتهي انشاؤه بعد شهر ونصف.
- اللواء الثالث ينتهي انشاؤه في أول الصيف.

- اللواء التاسع ينتهي انشاؤه في أول الصيف.
- اللواء الثاني يوجد منه كتيبة في بيروت والباقي في الشمال قيد الإنشاء.
- اللواء المجوقل وينتهي العمل فيه خلال شهرين وهو يتألف على غرار الوية المشاه من كتائب مؤلله ومدفعية للأسناد يقوده المقدم نسيب عيد ويرأس أركانه معن الضناوي.
- فوج المغاوير الجديد سينتهي انشاؤه خلال ثلاثة اشهر ويقوده يوسف الطحان.

ملاحظة/ تجهز الكتيبة الآن بعشرين ملالة وحوالي (٣٠٠ - ٤٠٠) جنديا على أن تصل الملالات إلى ثمانية وعشرين عند استلام الدفعة الجديدة. يتوقع أن تصبح عشرة ألوية جاهزة للعمل في أول الصيف القادم.

- اسلحة جديدة قيد الاستعمال/

استحصل الجيش على راجمات صواريخ شرقية من (المرابطون) والمقاومة الفلسطينية في بيروت ثم استقدم مدرب روماني وذخيرة رومانية منذ فترة. كذلك جهز الجيش بمنظار ليلي يمكنه رؤية الشخص بوضوح حتى ٢٠٠ مترا والآلية حتى ٧٠٠ مترا.

اسلحة وأجهزة جديدة مطلوبة:

- مئتان وخمسون ملالة.
- ثلاثة كتائب دبابات م ٤٨ (١٠٠ دبابة).
- أربعة وخمسون مدفعا ١٥٥م (Gun 28 km).
- رادارات لتحديد مرابض المدفعية ورادارات لتحديد حركة الآليات والأشخاص حتى ٧ كلم.
- طائرات هليكوبتر من نوع كوبرا لقتال الدبابات فضلا عن البوما الحالية.

توزيع الألوية الحالي:

- اللواء الخامس في سوق الغرب وجبهة عاليه مع كتيبة مجوقلة.
- اللواء الرابع في مثلث خلدة.
- ك ٤٢ مع المجوقلة بأمرة النقيب سامي أبي نادر من مثلث خلدة حتى آخر الحي السكني في عرمون (القصر الفلسطيني).
- ك ٤٣ في تلة الونش سرية.
  في رأس الدوحة سرية.
  في الساحل المقابل فصيلة.
  سرية (-) احتياط في قيادة اللواء.
- قيادة اللواء في ليبانون بيتش.
- ك ٤١ في محور قبر شمول بأمرة النقيب انطوان عبد النور موزعة كما يلي/
  سرية في تلة الروس وسرية في تلة البنية.
  سرية احتياط بالإضافة إلى فصيلة مدرعات في عين درافيل وأربعين عنصرا مجوقلا كتعزيز مع خمسين تلميذ رتيب للمساندة والتدريب.

- معلومات عامة:

- يتم الاستعانة بتلامذة الرتباء بعد شهر من دخولهم إلى المدرسة في محاور القتال للتأقلم مع الميدان والحرب ويرجعون إلى المدرسة بعدها لإكمال التعليم.
- يبدي النقيب انطوان عبدالنور تذمره الدائم من المجوقلين لعدم التزامهم بوقف إطلاق النار وكذلك من تصرفهم في سوق الغرب ومحور عاليه.
- استنفر اللواءان الخامس والسابع منذ أسبوع وذلك لتنفيذ خطة الدخول إلى إقليم الخروب بالقوة ومنع قوات الأحزاب من دخوله. أوقف الاستنفار بعد يومين ربما لممانعة رئيس الجمهورية أو اميركا أو إسرائيل.

- يظهر واضحا أن قائد الجيش هو القائد الوحيد الذي يعطي الأوامر وينفذ ما يريد دون الرجوع إلى رئيس الجمهورية.
- سيتم التبديل في قبر شمول بين (١٠و١٥) شباط إذا سمحت الظروف الأمنية ويمكن أن يجري التبديل بين الكتيبة (٤١) والكتيبة (٤٣).

نقاط سياسية تستدعي الانتباه:

- يتخوف الشيخ محمد مهدي شمس‌الدين من السير مع وليد جنبلاط ونبيه بري في قضية فرط الجيش لأن إسرائيل كما يظن لن تنسحب من الجنوب عند ذلك وهذا ما اقنعته به السلطة. إن الاعتقاد السائد هو بأن إسرائيل لن تسلم الجنوب إلا للسلطة ولهذا سيحل قائد جديد من الجيش مكان سعد الحداد وهو الياس خليل.
- من الصعب القيام بعمل سلبي يؤدي إلى فرط الجيش في الوقت الحاضر إلا بتحرك شيعي واسع كون الشيعة يؤلفون ٦٠٪ من الأفراد مع العلم بأنه لا يوجد أكثر من ١٢٠٠ شيعي في إبلح وخمسماية آخرين في الضاحية بعضهم يرجع إلى صفوف الجيش عند هدوء الأحوال.
- وجود تململ في صفوف الضباط السنة ولكن عدم التنظيم ووضوح المستقبل يمنعانهم من الإقدام على أي تحرك.
- هناك تساؤل عام في صفوف العسكريين عن المستقبل: مستقبل الجنوب والإقليم وبيروت وربما الشمال والبقاع.
- هناك تخوّف من ضربة اسرائيلية قوية من الاقليم والجبل وربما الضاحية وذلك في حال سقوط الجيش واختلال التوازن الداخلي.
- عودة إسرائيل لتدريب مغاوير القوات اللبنانية وهذا واضح من تصاريح وأحاديث ضباط الجيش وذلك يعني استمرار ارتباط الدولة والكتائب بإسرائيل.
- لقد تقدم الجيش كثيرا وتجاوز هزائمه المادية والمعنوية بسرعة.

- إن الوقت يعمل لصالح الدولة والكتائب وما السلم والخطط الأمنية إلا خدعة كبيرة للتقدم إلى مواقع جديدة ضمن أهداف ثلاثة: أولها الإقليم وثانيها الجبل وثالثها الضاحية وقد تبقى الضاحية إلى المرحلة الأخيرة للاستفادة من العسكريين الشيعة في تحقيق الهدفين الأولين. **(انتهى)**

يعكس هذا التقرير الوضع العام خلال سنة ١٩٨٣م قبل الإنسحاب الإسرائيلي ويظهر مدى التنسيق الذي كان قائما بين إسرائيل والسلطة الشرعية في مجال تسليم الأرض على مراحل. على أية حال جاء الصيف وقرب موعد انسحاب الإسرائيليين ولم يتمكنوا من خلق صيغة كتائبية اشتراكية في الجبل فقرروا بالفعل تسليم أماكنهم للسلطة وهذا ما دعاهم لإقامة جولات كشف واستطلاع مشتركة بين الضباط الإسرائيليين والضباط اللبنانيين بغية وضع خطة منسقة للتسلم والتسليم. ولم تنجح الخطة المنسقة تحت ضغط التجمعات الشعبية في الجبل وغضبتها الهادرة التي كان أحد مظاهرها مهاجمة الموكب الاستطلاعي الإسرائيلي الذي ضم العقيد ميشال عون في ساحة عاليه والتي كادت تودي بحياته. وجد الإسرائيليون أن التنسيق الكامل مستحيل وهو يخلق لهم اشكالات تؤثر على عملية انسحابهم وعلى أمن قواتهم ففضلوا ترك الساحة دون التنسيق مع أحد إلا في موقعين هما مطير عبية ومحيط بحمدون بتاتر.

دقت ساعة الحقيقة وكان كل من الاشتراكيين والكتائب والدولة في استنفار كامل. في ذلك الوقت كانت هناك خطتان في حلبة الصراع/ الخطة المشتركة للدولة والكتائب وخطة الحزب التقدمي الاشتراكي. كانت العقدة أمام الدولة والكتائب عقبه بيصور عاليه فباحتلالها مع السيطرة على الشحار يتم الاتصال السهل بين المسيحيين المسيطرين على قلب الشوف وبين عمق المتن وكسروان وبالتالي يتمزق التواجد الدرزي ويسهل سقوط الغرب والمناصف ويتحجم المتن والشوف. أما العقبة أمام الاشتراكيين فقد كانت بحمدون التي يتحقق باحتلالها عزل الجيب المسيحي الكبير في قلب الشوف وفك الطوق عن عاليه المحاصرة. في هذه المرحلة هب غالبية الدروز

لتحرير مناطقهم ووضع أبناء التوحيد قوتهم بتصرف الإشتراكيين فخيضت المعركة بشبه إجماع شعبي وقيادة اشتراكية.

الخطة الانعزالية/

كانت الخطة الانعزالية ترتكز على عمل مشترك بين القوات اللبنانية والجيش وتقوم على ما يأتي:

* هجوم للقوات اللبنانية المتمركزة في بحمدون باتجاه عاليه.
* هجوم للقوات اللبنانية والجيش من كفرمتى (الشحار) باتجاه قبر شمول ثم طريق الكرامة بحمدون.
* هجوم يقوم به الجيش باتجاه عاليه من سوق الغرب والكحالة للاتصال ببحمدون وقد وزع الجيش قواته على الشكل الآتي:
  - اللواء الرابع المعزز ما بين خلدة والشحار.
  - اللواء الثامن على جبهة عاليه سوق الغرب.
  - اللواء الثالث احتياط في منطقة جسر الدامور.
* بالإضافة إلى ذلك ضبطت خطة انعزالية مساعدة تقضي بالقيام بأعمال تحضيرية ترتكز على ما يأتي:
  - تنفيذ غارة خاطفة على المختارة.
  - تنفيذ غارة خاطفة على بعذران (مقر شيخ العقل).
  - تدمير بعقلين بالقصف المدفعي لأن اقتحامها صعب كونها بلدة كبيرة.
  - فتح طريق دير القمر الدامور بهجوم خاطف على كفرحيم بالقوة أو بالحليلة.

الخطة الإشتراكية/

كانت الخطة تقضي بالقيام بالنشاطات التالية:

* الصمود في منطقتي الشحار وعاليه بقتال دفاعي يحافظ على الأرض والوجود.

★ القيام بهجوم رئيسي وجبهوي من صوفر باتجاه بحمدون لكسر الطوق عن عاليه وتطويق الجيب المسيحي في الشوف.

★ القيام بهجوم مساعد على محور المريجات الجعايل لتحقيق الاغراض الآتية:

– مساعدة الهجوم الرئيسي.

– اشغال القوات اللبنانية ومنعها من امداد قواتها في بحمدون أو انجادها.

– محاولة تطويق بحمدون لقطع طريق الإنسحاب أمام المتواجدين فيها. وتهديد مؤخرتهم.

★ القيام بتصفية الجيب الداخلي في الشوف ومنع الإسناد المتبادل بينه وبين جبهة بحمدون وذلك بالقيام بهجات محلية متعددة.

كيف سارت المعركة/؟

خلال الاسبوعين الاخيرين قبل الانسحاب بدأ تحضير الرأي العام الدرزي نفسيا للمعركة ووضعه في جو ما سيتم وما هو مطلوب منه فقام رياض تقي الدين وتوفيق بركات بجولة تعبئة في الشوف تحت خطر إمكانية الاعتقال الاسرائيلي شرحا فيها الوضع واستنهضا الهمم وكانت نتائجها رائعة.

مساء ١٩٨٣/٩/٢ حضرت القوات الاسرائيلية نفسها للانسحاب وسلمت القوات اللبنانية والجيش منطقة جران الكي في مطير عبيه فوق الخزانات كما سلمت القوات اللبنانية مراكزها حول بحمدون وفي التلال المشرفة على بتاتر بينما منعت أي تحرك عسكري اشتراكي تحت طائلة التهديد بالضرب. بدأ الانسحاب في صباح ٨٣/٩/٣ باكرا وانطلق معه هجومان للكتائب واحد على كفرمتى وآخر على بتاتر تحت أنظار القوات الاسرائيلية ولم يسمح للاشتراكيين بالتحرك. بعد ظهر ٨٣/٩/٣ كان الاسرائيليون قد أتموا انسحابهم من منطقة الشوف وتحرر الاشتراكيون من القيود فانطلقت العمليات على الشكل التالي:

★ **القيادة/** كانت قيادة القوات اللبنانية في الشحار لفؤاد أبي ناظر وفي بحمدون وبقية الجبل لسمير جعجع الذي اتخذ من دير عين تراز مركزا أساسيا. أما قيادة القوات الاشتراكية فقد توزعت على الشكل الآتي:

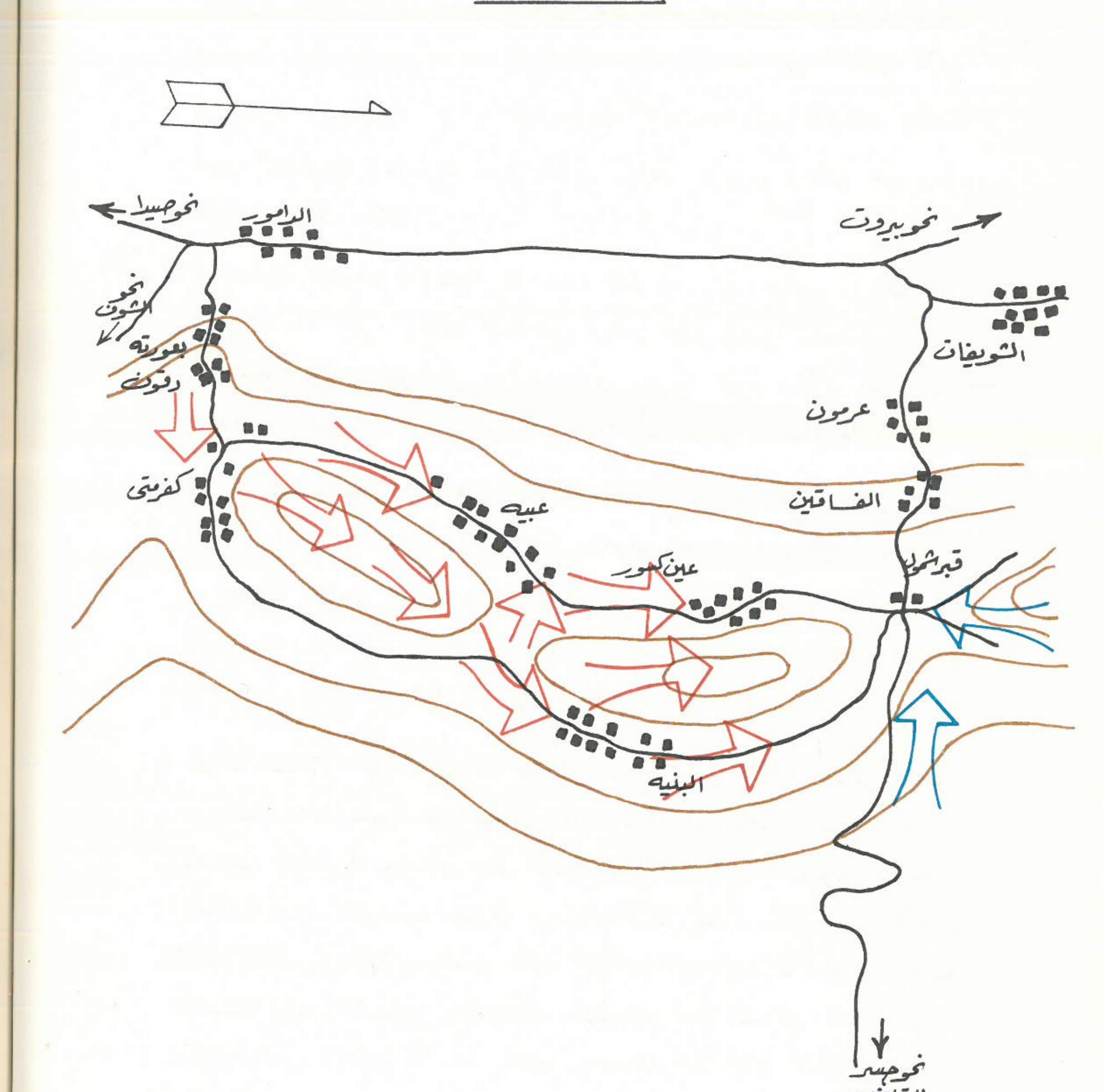
– **في معركة بحمدون/** أشرف على المعركة الأساسية وليد جنبلاط وقادها أنور الفطايري وعصمت سري الدين وفادي غريزي وجمال حمد وغانم طربيه ومالك هلال.

– **في معارك الشوف والاقليم/** قاد هذه المعارك شريف فياض ورياض تقي الدين وزياد العرم وخالد البتديني ورامز نصر ومنير القعساني وأديب أبو شقرا ونديم حرفوش ووليد صافي وفريد محمود وعلاء الدين ترو وعدنان حسين وحسان الحسنية وجهاد أبو هدير وعصام باز.

– **في معركة عاليه/** قاد هذه المعركة عصام الصايغ وهشام نصر الدين وغسان أبي حمزة وخالد أبي حمزة ورمزي أبو فراج وأكرم شهيب.

– **في معركة الشحار/** قاد هذه المعركة تحت ظروف صعبة وواجه بعدد قليل جدا قوات كبيرة الشهيد البطل بهجت الحكيم ولم تتمكن القيادة العليا من تقديم الاستناد له في المراحل الاولى من المعركة.

★ **معركة الشحار/** بدأت معركة الشحار صباح ١٩٨٣/٩/٣ م باكرا بهجوم من القوات اللبنانية على كفرمتى قاده فؤاد أبو ناظر وساعده الياس ناصيف (جعفر) بعد أن سلم الاسرائيليون المراكز التعبوية والنقاط الحاكمة لهذه القوات. تصدى بهجت الحكيم بعدد قليل من الاهالي للهجوم الشرس وبقي معه في أخذ ورد وواجهه بهجات معاكسة محلية أخذت طابع الاندفاع والتضحية الفرديين ولم تتمكن قيادتا عاليه والشوف من انجاده الا بعد الظهر. عندما جلا الاسرائيليون أخذت قيادة الشوف تسانده بواسطة الراجمات فتمكن من الصمود حتى صباح ١٩٨٣/٩/٤ ولكنه اضطر الى التراجع نحو البنيه ثم استشهد فتضعضعت الجبهة. بتاريخ ٨٣/٩/٤ تمكنت القوات اللبنانية من

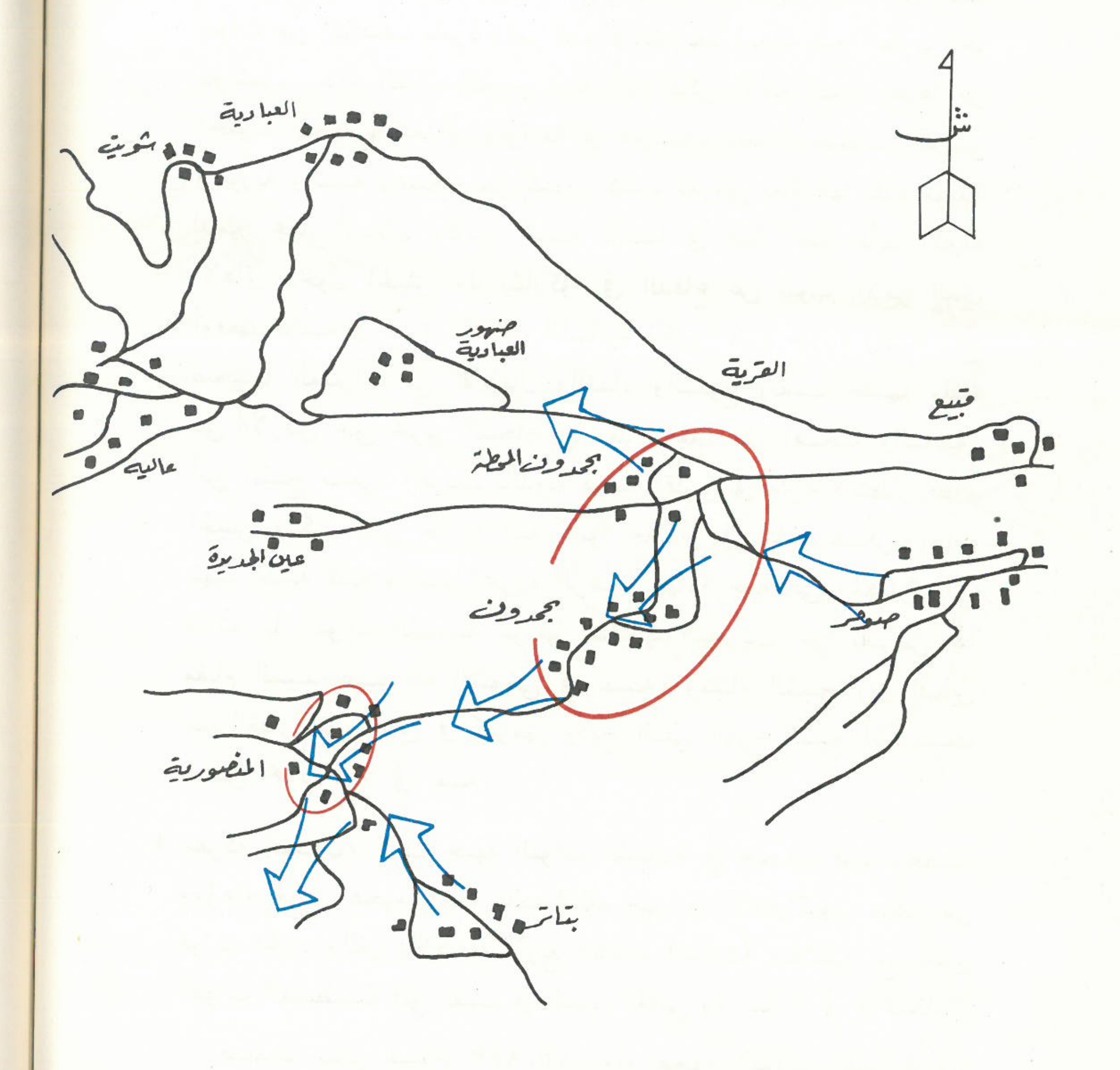


احتلال باب الرجم والبنيه وقاتلت بشراسة خلال يومي ٥ و٨٣/٩/٦ حتى تمكنت من احتلال عبيه أما تلة البنيه فقد صمدت حتى ٨٣/٩/٩ الامر الذي ساعد قيادة الشوف على تعزيز موقع قبرشمون بسريتين مقاتلتين بامرة جمال حمد واحدة من المتن واخرى من الشوف، كما أسند بقوات من المناصف بامرة رامز نصر وذلك بعد انتهاء فتح الطريق نحو قبرشمون. دام القتال الشرس ستة أيام تمكن الاشتراكيون بعدها من احتواء الهجوم الانعزالي وتوقيفه في قبرشمول بعد أن سقطت كفرمتى وبعورته والبنيه وعبيه وعين كسور. كانت كفرمتي بغالبيتها بلدة مؤيدة للامير مجيد أرسلان وكانت البنيه تماشيها في هذا الخط فأيد أكثرية الاهالي دخول الجيش ولم يشاركوا في الدفاع عن بيوتهم الامر الذي أوقعهم فريسة في أيدي القوات اللبنانية فكانوا هدفا لمجزرة رهيبة راح ضحيتها العشرات من الاطفال والنساء والشيوخ وبقيت جثثهم ملقاة على الارض حتى تحرير الشحار فيما بعد شاهدا على الهمجية والسادية. آمن الشيخ مسعود الغريب بالدولة فجمع اقاربه في منزله لانتظار قدوم الجيش ولكن الذين جاءوا اليه كانوا جلادين في ثياب عسكرية فمات شهيد طيبة قلبه وكانت المجزرة الرهيبة شهادة حية على الحضارة التي نادت بها القوات اللبنانية عززتها عمليات التخريب التي تعرّض لها مقام السيد عبد الله التنوخي في عبيه، ومقام الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين في كفرمتى وذبح التقي الورع الشيخ أبو عفيف حسين محمود فرج في عبيه.

★ **معركة بحمدون/** كانت جبهة القوات اللبنانية في بحمدون قوية ومحصنة ومؤهلة لخوض هجوم باتجاه عاليه لذلك جهز لها الاشتراكيون حشدا من قوات الجرد والمتن بالاضافة لأربع دبابات (ت٥٥) وملالتين مع بعض القوات الفلسطينية التي بقيت في النسق الخلفي ولم تشارك في الاقتحام.

صمدت بتاتر صباح ٨٣/٩/٣ أمام هجوم القوات اللبنانية ولما انتهى انسحاب الاسرائيليين باشر الاشتراكيون بالهجوم الجبهي بعد ظهر

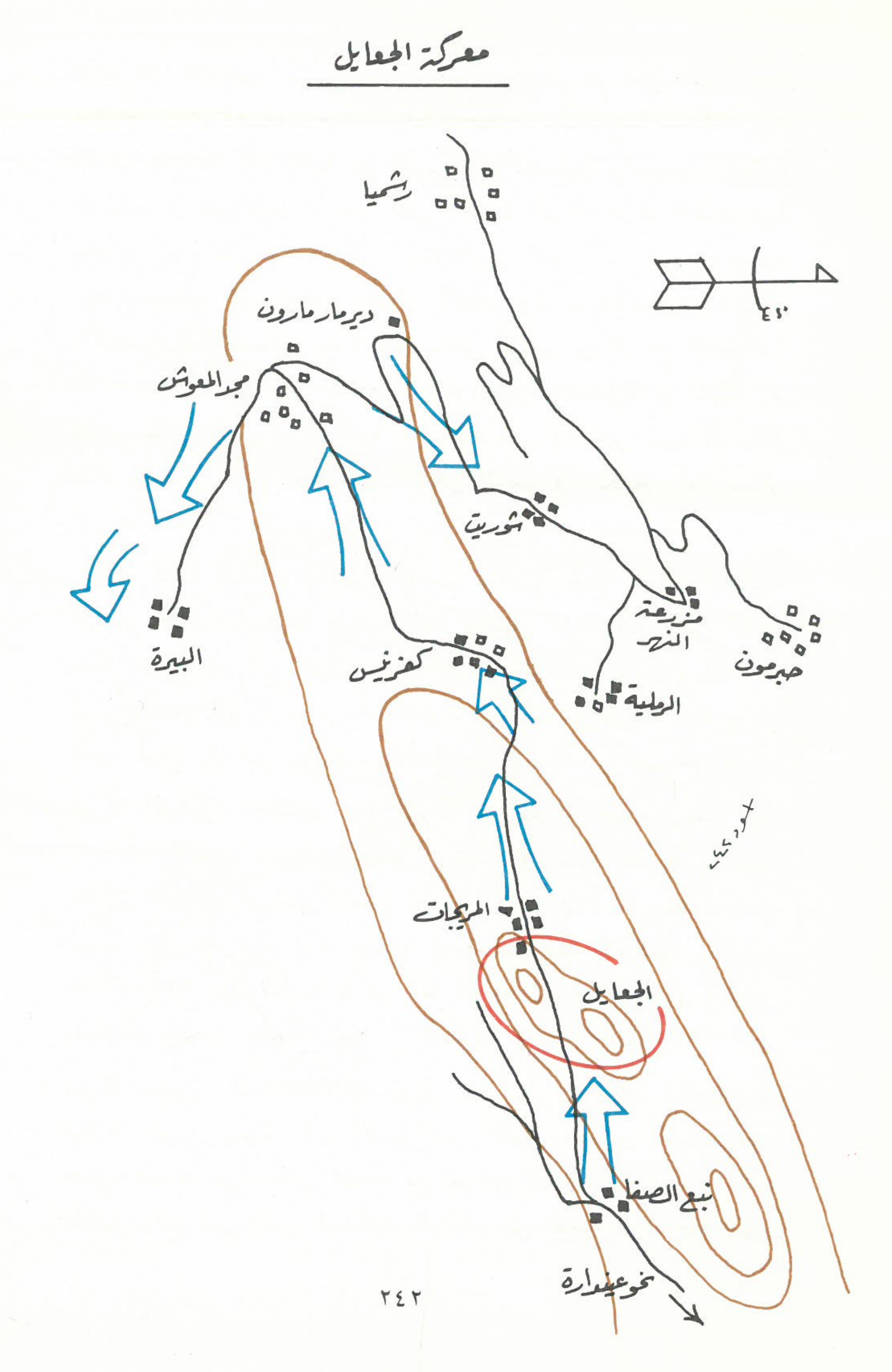
معركة بحمدون "١٩٨٣"



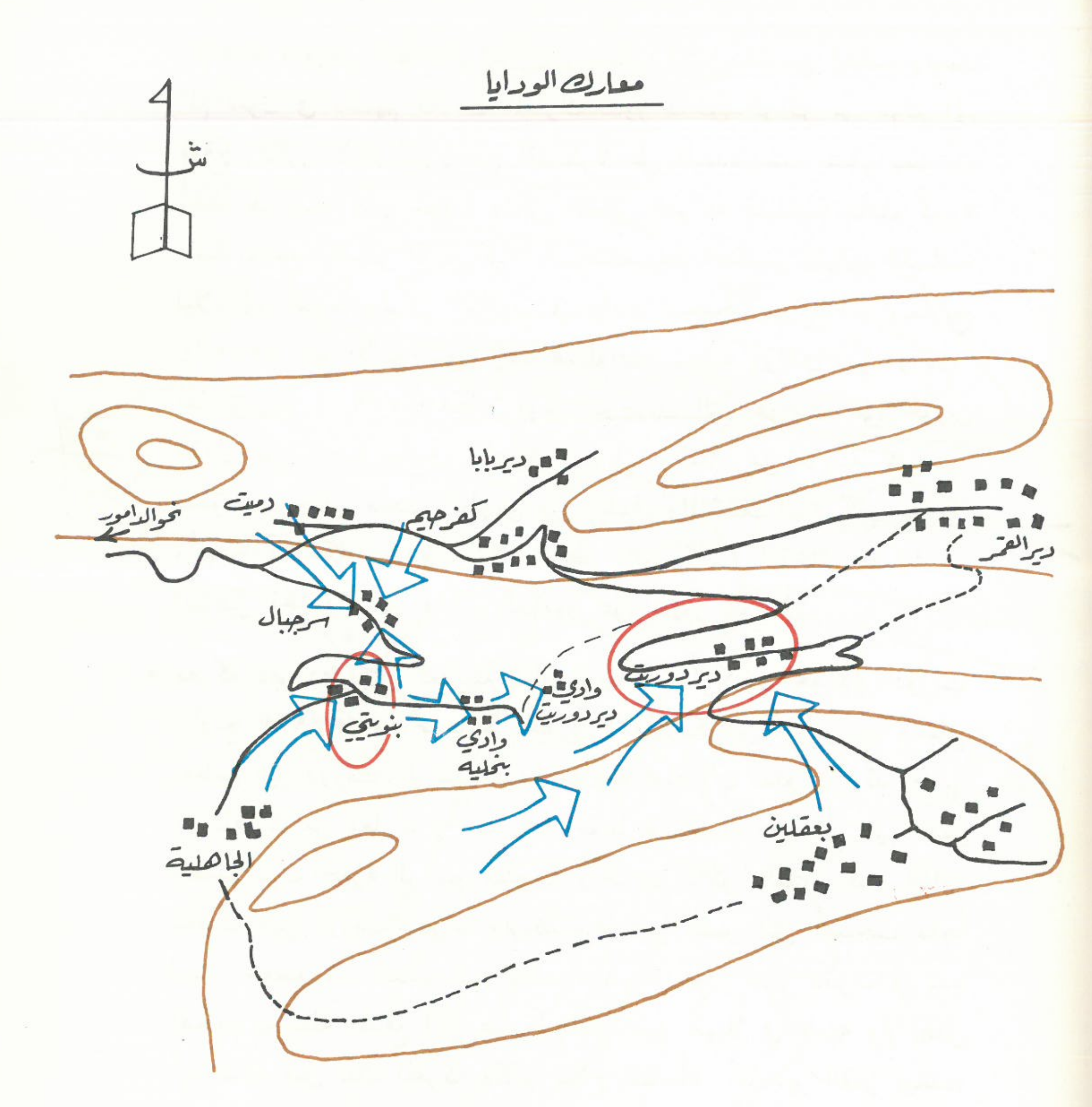
٨٣/٩/٣ فتمكنوا من احتلال رويسات صوفر في نفس اليوم. أما بتاريخ ٨٣/٩/٤ فقد حررت محطة بحمدون وبتاريخ (٥ و٦)/٩/٨٣ تمكنت القوات الاشتراكية من تحرير بقية بحمدون وانسحبت القوات اللبنانية في هلع كامل الى دير القمر. كانت المعركة شرسة دافعت فيها القوات اللبنانية بعناد ولكن الاشتراكيين كانوا أشد عزيمة وأصلب عودا فتمكنوا من اجتياز حقول الالغام فوق عارضات من الاشجار واقتحموا المواقع بعنف مع اسناد مدفعي كثيف من المدافع الاشتراكية المنصوبة في المتن ومن مدافع القوات السورية المنصوبة في المغيثة. لم تكن خسائر الاشتراكيين كثيرة اذ بلغت خمس وأربعين شهيدا واصابة ملالة وتعطيل مدفع دبابة بسبب نقص الزيت في الكابح. أما خسائر القوات اللبنانية فكانت جسيمة جدا وقد صعب احصاؤها.

لقد كانت بحمدون المفصل والعصب الرئيسي لجهاز القوات اللبنانية الدفاعي فانهار بانهيارها الموقف العام وسيطر الاشتراكيون على الجبل بشكل متين بعد أن ساندت معارك الشوف موقعة بحمدون وسهلت لها طريق النصر على الرغم من أن المعارك من الشوف خيضت في جو من الفقر المدقع بالذخيرة والبطء الواضح في الامداد بها من الخارج.

* **معركة الجعايل/** انطلقت هذه المعركة مع معركة بحمدون بعد ظهر ٨٣/٩/٣ كهجوم مساند فاحتلت المريجات في نفس التاريخ وسقطت الجعايل المحصنة وكفرنيس والبيرة بتاريخ ١٩٨٣/٩/٤ كما سقطت وادي الست ودفون وجميع قرى وادي الصفا بما فيها كفرقطرا ما بين ٥ و٨٣/٩/٦ دون مقاومة تذكر. أما الموقعة القوية فوقعت في الجعايل وبسقوطها تحولت المعركة لنوع من المطاردة واستثمار النجاح.
* **معركة بنويتي/** ابتدأت معركة بنويتي بعد ظهر ٨٣/٩/٤ وكانت رغم صغرها أشرس معركة لأن الاشتراكيين كانوا مضطرين للقيام بهجوم جبهي لمجموعة من الدشم المحصنة مع تعرضهم لنيران غزيرة من الخلف تطلقها مواقع عين الحور المتحكمة بالوادي. شن الهجوم من ناحية ضهور



معركة الجعايل
رشميا
ديرمار مارون
مجدالمعوش
شوريت
مزرعة الزهر
حبرمون
الوطية
كفرنيس
البيرة
المريجات
الجعايل
نبع الصفا
نحوعينوارة

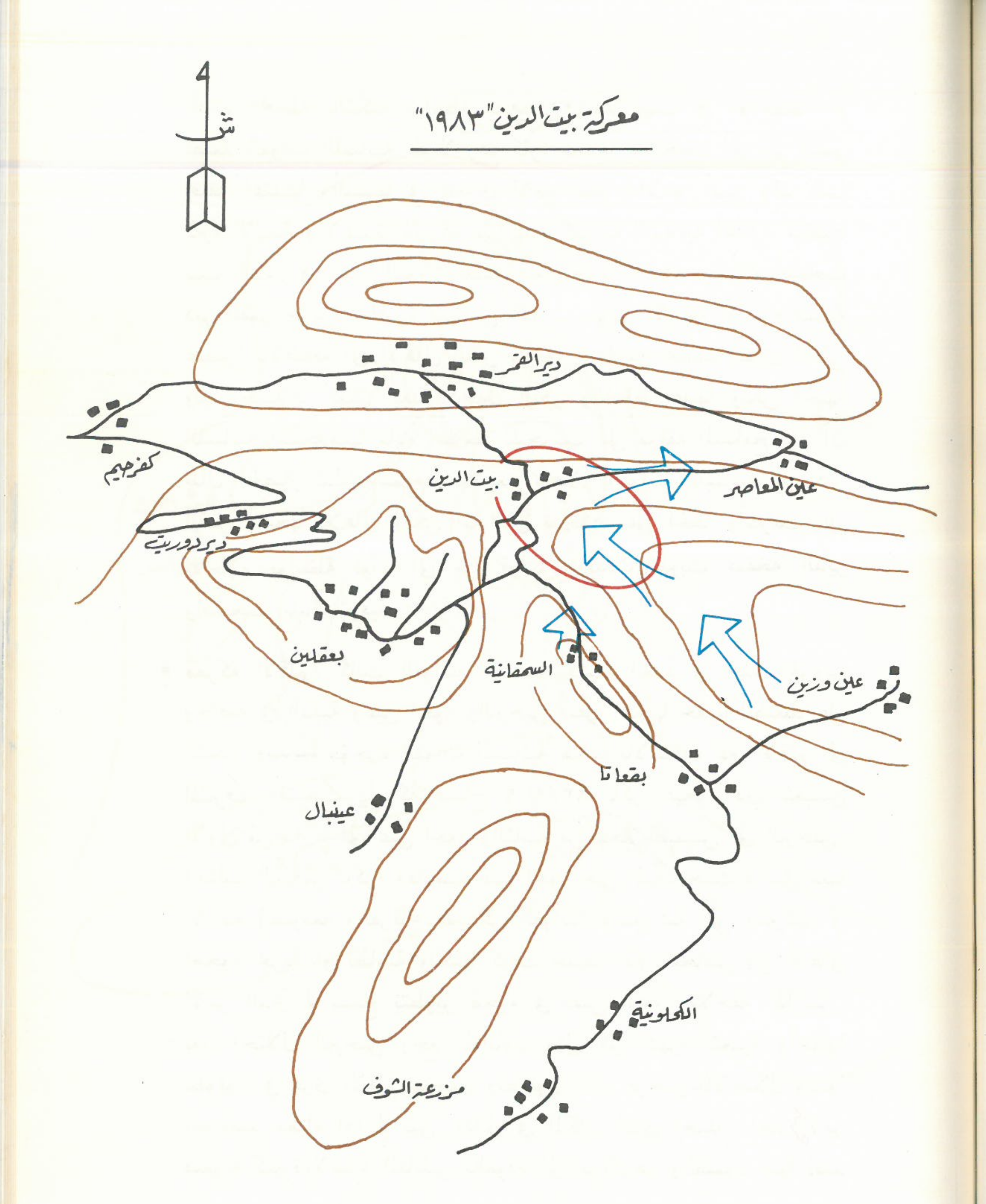


معارك الودايا
ش
ديربابا
كفرحيم
دميت
نحو الدامور
سرجبال
بنويتي
وادي بنخليه
وادي ديردوريت
ديردوريت
دير القمر
بعقلين
الجاهلية

الجاهلية وتعرض المهاجمون لنيران رشاشات (الـ ٨٠٠) من الخلف وصمد المدافعون في دشمهم فكانت المعارك تدور داخل المراكز من موقع الى موقع. تمكن الاشتراكيون من السيطرة على البلدة عند المساء بعد أن سقط لهم ستة عشر شهيدا ولكن خسائر القوات اللبنانية كانت كبيرة بالمقارنة مع الخسائر الاشتراكية. انسحبت بعض عناصر القوات اللبنانية ليلا الى الدبية وتمركز الباقون في وادي بنحلية وسرجبال. وبتاريخ ٨٣/٩/٥ تابع الاشتراكيون احتلالهم لوادي بنحلية ووادي دير دوريت. أما بتاريخ ٨٣/٩/٦ فكان موعد سرجبال التي هوجمت على محورين الاول من ناحية وادي بنحلية وبنويتي والثاني من ناحية كفرحيم. بسقوط سرجبال فتحت الطريق بين الشوف والمناصف الذي كان معزولا وأصبح بالامكان نجدة معركة الشحار التي كانت الذخائر تصلها من المناطق المحاصرة عبر وادي الدامور على ظهور الرجال.

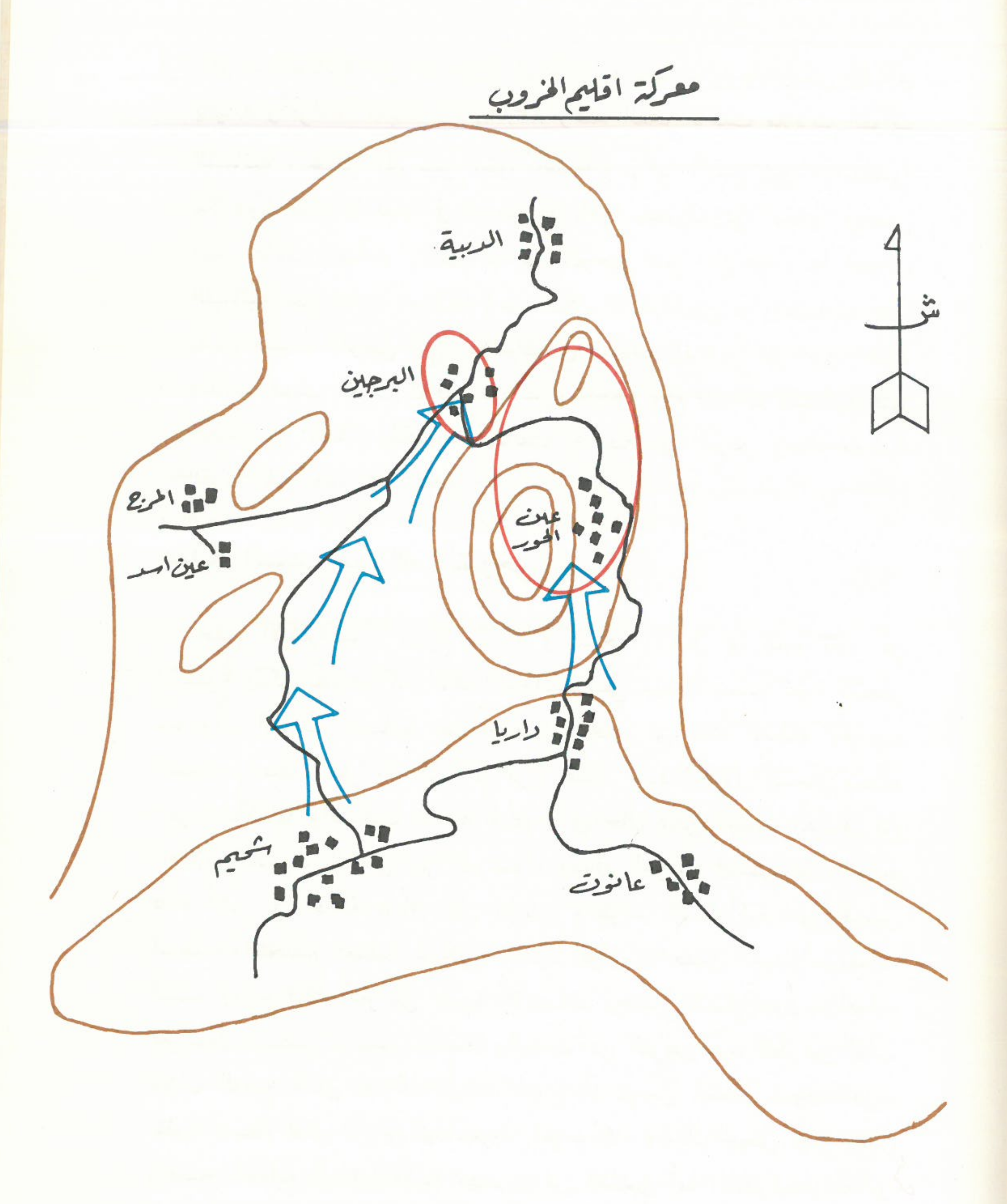
* **معركة دير دوريت/** بعد سرجبال توجه الاشتراكيون نحو دير دوريت بتاريخ ٨٣/٩/٧ وهاجموها من محورين الاول بكرزين ديردوريت والثاني بعقلين دير دوريت. لم تبد البلدة مقاومة قوية لان الهلع كان قد أصابها مما شاهدت من معارك وانتصارات حولها فانسحب أهلها الى دير القمر بعضهم ترك أجهزة الراديو مفتوحة وآخرون تركوا القدور فوق النار. سقطت دير دوريت بسرعة ولم تساندها دير القمر التي أصبحت ملجأ لسمير جعجع لان الدشم التي كانت منصوبة حول الدير دمرت في بدء الهجوم بواسطة المدفع (أبو صابر) الذي صبر طويلا في مخبئه ولم يطلق أية طلقة قبل تلك المعركة فكان سلاح المفاجأة. أما دير القمر فبقيت محيدة لان اسرائيل تدخلت بوضوح على شبكات الراديو وهددت بضرب الاشتراكيين اذا هاجموها كونها قد ضمنت أمنها لكميل شمعون قبل الانسحاب.

* **معركة بيت الدين/** بعد ظهر ٨٣/٩/٧ انطلق الهجوم على بيت الدين مستهدفا الثكنة أولا عبر المرتفعات الممتدة من بقعاتا وقد دمرت جميع



الدشم المحيطة بالشكنة بواسطة مدفع ١٢٢ ملم نصب في مواجهتها. لم تصمد القوات اللبنانية طويلا رغم كثرة عددها فانسحبت الى دير القمر. مخلفة اعتدتها وألبستها في قصري الامير بشير والامير أمين وقد دلت كثرة الالبسة والاعتدة المتروكة على عدد القوات اللبنانية الهائل. سقطت بيت الدين في نفس اليوم ونظفت بتاريخ ٨٣/٩/٨ وبذلك أصبحت دير القمر جزيرة محاصرة فيها من القوات حوالي الاربعة الاف وخمسماية عنصرا بالاضافة الى الاهالي الذين نزحوا اليها من مختلف القرى أعطى وليد جنبلاط كلمته بعدم دخول الدير والحفاظ عليها ولكن الجبهة اللبنانية استخدمتها مادة اعلامية للتخريب على موقفه المتسامح بعد أن طال الحصار لذلك سمح فيما بعد باجلاء القوات اللبنانية عن دير القمر وفتحها للاهالي ولكن اسرائيل تدخلت على الخط وأشرفت على الاجلاء بواسطة لواء آلي من قواتها، وبذلك طويت صفحة الدير وأصبحت بلدة شوفية عادية.

★ **معركة الاقليم/** كانت القوات اللبنانية كثيفة العدد في اقليم الخروب وخاصة في الدبية وعين الحور والبرجين فتقرر ضربها تخفيفا للضغط على الشحار وتهديد مؤخرة القوات اللبنانية هناك بالالتفاف عبر الاقليم الى المشرف. افتتحت المعركة صباح ٨٣/٩/٩ باكرا بهجوم ذي شعبتين الاولى من داريا الى عين الحور والثانية من شحيم الشميس الى البرجين. احتلت البرجين باكرا وقاومت عين الحور حتى المساء حيث لم يبق منها الا تلة الصومعة والقرقاع. لم تكن القوات الاشتراكية التي اشتركت في الهجوم مجربة أو نظامية ولكنها كانت خليطا غير متجانس من الاهالي الامر الذي لم يسمح بتطوير الهجوم في نفس اليوم وملاحقة الهاربين. بعد احتلال البرجين رجع المقاتلون مثل كل جمهرة شعبية وأخذوا يطوفون في قرى الاقليم يهزجون ويطلقون النار فرحين بالاحتلال ونسوا انه يفقد معناه اذا لم يبق المقاتل في المكان الذي احتله. أخذ الامر صعوبة كثيرة لاقناع المقاتلين بالعودة الى مراكزهم والصمود فيها لصد



القوات اللبنانية التي قد تحاول استعادة مواقعها يؤازرها الجيش اللبناني بالياته وأفراده. صباح ٨٣/٩/١٠ وعند الفجر دخلت ملالات القوات اللبنانية والجيش الى عين الحور بعد أن تركها الاشتراكيون وانسحبوا ليلا دون قتال كما فعلوا في البرجين واعادوا سيطرتهم على البلدة. في نفس اليوم عادت العناصر الاشتراكية من البرجين دون أمر مما ساعد القوات اللبنانية على اعادة احتلالها وعدم تمكن الاشتراكيين من استعادتها عند المساء بسبب الفوضى التي استشرت في صفوف المقاتلين غير ذوي الخبرة وبذلك تحولت معركة الاقليم الى غارة ناجحة وقع للقوات اللبنانية فيها الكثير من الخسائر ولكنها استطاعت المحافظة على الأرض وحماية مؤخرة القوى المتواجدة في الشحار.

عملية السيد عبد الله التنوخي/

حقق الاشتراكيون نصرا مؤزرا واكتسحوا الجبل في فترة تقل عن الاسبوع ولكن نصرهم كان ناقصا وجانبهم بقي مهددا بسبب ثغرة الشحار سيما وأن القوات اللبنانية قد ارتكبت المجازر في تلك المنطقة وهدمت البيوت واعتدت على المقدسات في قرية عبيه. هدد احتلال الشحار منطقة الغرب بأكملها وأصبحت عرضة للسقوط في حال تمكن الجيش اللبناني من احتلال الشريط الضيق بين قبرشمول وسوق الغرب. استمر هذا الوضع عدة أشهر في محاولة سباق بين الجيش والقوات الاشتراكية على تحصين المنطقة والتحضير لعملية عسكرية تقلب الموازين. حصن الجيش مرتفعات البنيه ووزع فيها أكثر من عشرة آلاف لغم وحصن الاشتراكيون مرتفعات قبرشمول وبيصور واستمر السباق والبحث عن الفرص عند الطرفين لقلب ميزان الوضع القلق لصالحه. أراد الجيش أن يوصل الشحار بسوق الغرب بقفزة بسيطة يحقق من ورائها سقوط الغرب كله وبذلك يجهض نصر الجبل وتصبح العملية بجملها قضية مهجرين من الفئتين أما الاشتركيون فكانوا يجهدون في تحصين مواقعهم الدفاعية لافشال هذا المخطط والتحضير

لاستعادة الشحار وتحريره حتى يستقر النصر وترتاح منطقة الغرب بصورة نهائية.

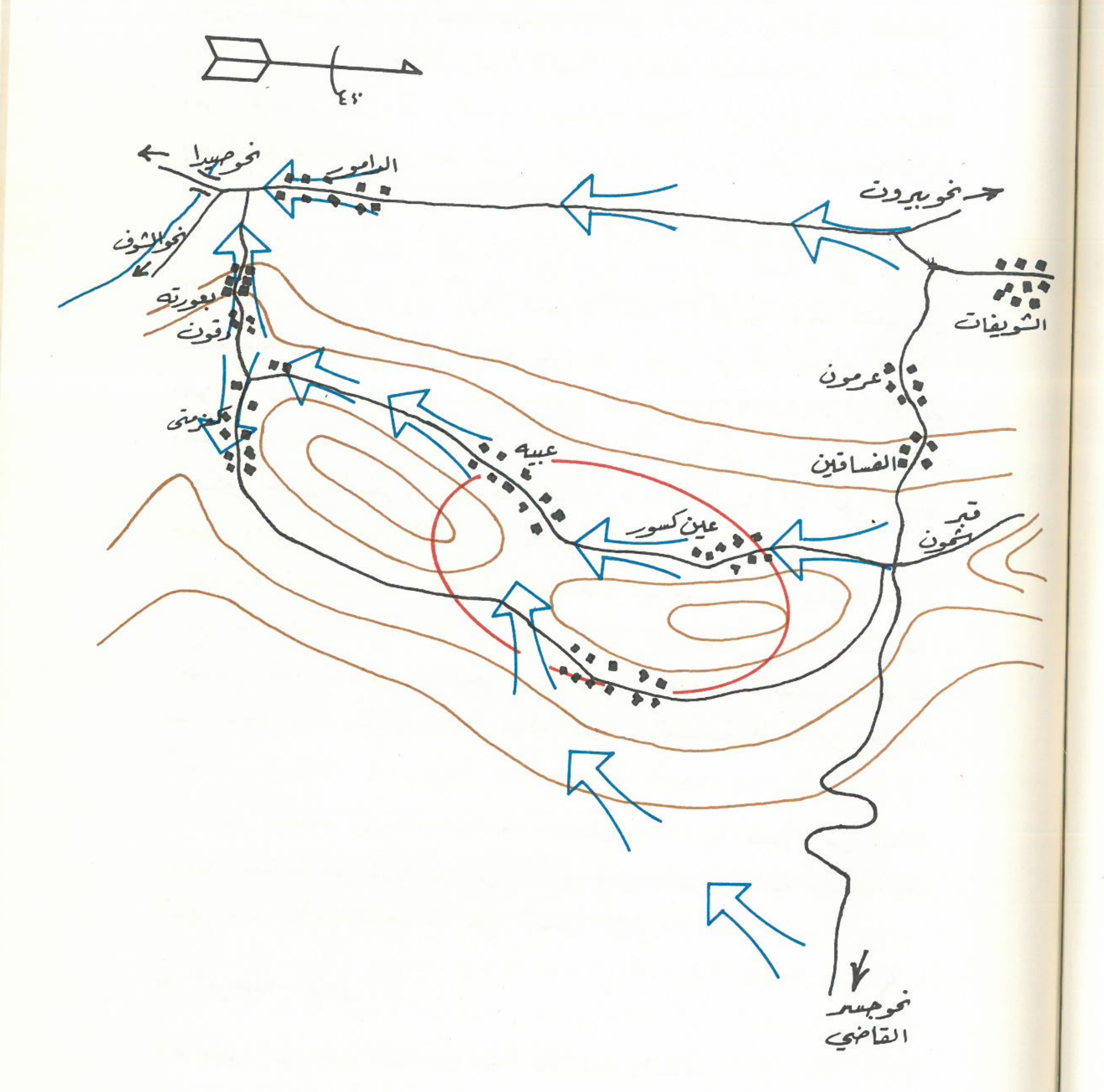
في مطلع عام ١٩٨٤م نشط ابراهيم طنوس للتحضير لعملية وصل البنيه بسوق الغرب وأخذ يعقد الاجتماعات لتعبئة الضباط والعسكريين معنويا كما استطلع المنطقة مستشارون عسكريون اميركيون. كانت الاخبار تصل الى وليد جنبلاط تباعا عن هذا النشاط وكان يتخوف من المبادأة بالهجوم نظرا لكثافة القوات الحكومية التي تحتل الشحار والتي بلغ عيدها اللواء المعزز بالمدرعات والمغاوير والمدفعية. لكن الضابط الوطني النقيب وليد سكرية الذي كان يقود احدى كتائب اللواء وفر الحافز للحزب التقدمي الاشتراكي ودفعه للقيام بعملية استباق حققت المراد واتمت النصر الذي كان يبحث عنه. ان الخدمة التي قدمها وليد سكرية يمكن حصرها في الآتي:

* التنبيه لنوايا ابراهيم طنوس وتصميمه على الهجوم الوشيك.
* توضيح مواقع الجهاز الدفاعي وتوزيع القوى الامر الذي أسهم في اعداد الخطة الناجحة.
* تأمين موطىء قدم للتقدميين دون قتال في باب الرحيم.
* اغراء وليد جنبلاط وتحضيره نفسيا لاتخاذ قرار تنفيذ العملية وهذا هو أهم دور لعبه موقف وليد سكرية بالقضاء على التردد في القرار الاشتراكي. أما لجهة عدم قتال بعض العسكريين فلم يكن الامر بالمهم لأن الذين كان يسيطر عليهم النقيب سكرية لم يصل عددهم الى السرية داخل كتيبته وهذا العدد ليس بالكبير اذا ما قورن بعديد قوات اللواء المعزز كلها.

انطلقت العملية اذن في سباق مع الزمن صباح ٨٤/٢/١٤ الباكر تحت ستار من السرية التامة، فاندفع الاشتراكيون باتجاهين الاول بالمدرعات والمشاة على محور قبرشمول عين كسور عبيه والثاني بتسلل المشاة من جسر القاضي الى البنيه فباب الرجم. لم تكن العملية سهلة ففور انطلاقها تنبهت

القوات المدافعة ووقعت معركة شرسة طوال النهار تدخل فيها طيران الدولة واستعملت المدفعية بكثافة وتعرقل الهجوم سحابة النهار وأخذت الافكار في القيادة الاشتراكية تتجه الى تحويل العملية الى اغارة كبيرة في جو من الغموض ولكن صمود المقاتلين وصبرهم هو الذي حسم الموقف فبدأ تراجع الجيش عند العصر وأخذت بوادر الهزيمة تظهر عليه فلم يضع الاشتراكيون الوقت واندفعت قواتهم من باب الرجم وعين كسور نحو عبيه ثم كفرمتى فبعورته والدامور ولاقاها هجوم آخر سهل انطلق من الشويفات على طريق الساحل نحو الدامور بقيادة زاهي الغصيني وهيثم الجردي في عملية ملاحقة ليلية رائعة. أوقف الاشتراكيون قواتهم عند جسر الدامور ولم يتابعوا مطاردة المنهزمين نحو الجية لانها كانت تحت نفوذ القوات الاسرائيلية التي هبت مع القوات اللبنانية لملاقاة الجيش المنسحب وأمنت له الانتقال الى جونيه بحرا بعد أن تسلمت القوات اللبنانية القسم الاكبر من عتاده وعززت مواقعها في اقليم الخروب.

أسفرت هذه العملية عن ثأر للغدر الذي لحق بالشحار وأسر ما يقارب السرية من الجيش مع عدة ضباط عوملوا معاملة حسنة وأعطوا ما يقارب السبعين ألف ليرة لبنانية تعويضا عن رواتبهم التي صرحوا بأنهم تركوها في ساحة المعركة وأوصلوا الى عيالهم في اليوم الثالث للعملية أما مباشرة أو بتسليمهم الى قيادة الجيش. بذلك زال الخطر عن الغرب واكتمل بدر سعد النصر المؤزر. لقد اشترك في هذه العملية كثيرون ولكن عديدهم لم يزد في أية حال عن الكتيبة المخفضة وهذا عدد قليل جدا اذا ما قورن باعداد الجيش الكثيفة. إن القادة الاشتراكيون الذين أسهموا في هذه العملية هم/ شريف فياض وأمين القاضي وأمين أبو عاصي ورجا حرب وحسان البعيني ورامز نصر وجمال حمد وغسان العياص وبسام أبو الحسن وغانم حسن وخالد البتديني وياسر ذبيان وناظم أبو كروم أما الدعم المدفعي فقد اداره مالك هلال وحسان الحسنية وجهاد أبو هدير ونسق النيرانأنور البعيني وشوقي المصري وسهيل حماد ورياض شيا.



تحرير إقليم الخروب:

بقيت القوات اللبنانية في إقليم الخروب بعد اجلائها من الشحار وعززت تحصيناتها ومراكزها بالمدرعات التي أخذتها من الجيش المنسحب واتخذت من مرفأ الجية مركـزا للاتصال بالمنطقة الشرقية عبر خط بحري وفر الإمداد بالرجال والعتاد وتبديل القوى وكل ذلك تحت مظلة إسرائيلية قابعة خلف خط القوات اللبنانية تؤمن لها طرق مواصلاتها مع الشريط الحدودي وتضفي عليها الهيبة والحماية.

بعد تحرير الشحار أخذ الاشتراكيون يضيقون الحصار على القوات اللبنانية في إقليم الخروب ولكن الخطوط الحمر الإقليمية كانت تمنعهم من القيام بأي هجوم فاستمر الوضع بين مد وجزر إلى أن نفذت انتفاضة القوات اللبنانية على يد سمير جعجع بتاريخ ٨٥/٣/١٢ فزار الإقليم وتفقد دفاعاته وعززه بالعتاد والرجال الأمر الذي دفع الاشتراكيين للتفكير الجدي بالتحرير سيما بعدما لسموا ضخامة التعزيزات التي أرسلها جعجع والتي قد تحول الاقليم إلى قاعدة انطلاق لإعادة غزو الشوف. مع وجود قوة مؤللة من الجيش في المنطقة وضعت فيها تحت ستار تحييدها وأخذت تنسق مع القوات اللبنانية. لم يطل تردد التقدميين كثيرا تحت هذا التهديد الطارىء فقرروا الهجوم مهما كانت العواقب الإقليمية لإجهاض هذه التحضيرات الجدية ونزع شوكة القوات اللبنانية المؤلة من خاصرة الشوف.

بوشر الهجوم ليل (٢٧ - ٢٨) نيسان ١٩٨٥م اعتبارا من الساعة الرابعة صباحا على ثلاثة مراحل: الأولى قبل الظهر والثانية والثالثة بعد الظهر وقد تتالت الأحداث على الشكل التالي:

★ المرحلة الأولى:

★★ هجوم على محور الدامور الجية بالآليات والمشاة.

★★ هجوم مساند بالمشاة على محور البقيعة ضهر العقلين بعد أن تم نزع

الألغام في اليوم السابق تحت ستار من السرية.

★★ هجوم على محور داريا عين الحور.

★★ هجوم على محور برجا الفتيحات الجية تسانده عملية على حارة بعاصير لتأمين موطىء قدم.

★★ هجوم على محور الشميس البرجين.

★★ هجوم على محور برجا جدرا.

★ المرحلة الثانية:

بعد نجاح المرحلة الأولى انطلقت المرحلة الثانية عند الساعة (١٥,٠٠) على المحاور التالية/

★★ هجوم على محور الجية - الرميلة - علمان.

★★ هجوم على محور سبلين - الرميلة - علمان.

★★ هجوم على محور كترمايا - علمان.

★ المرحلة الثالثة:

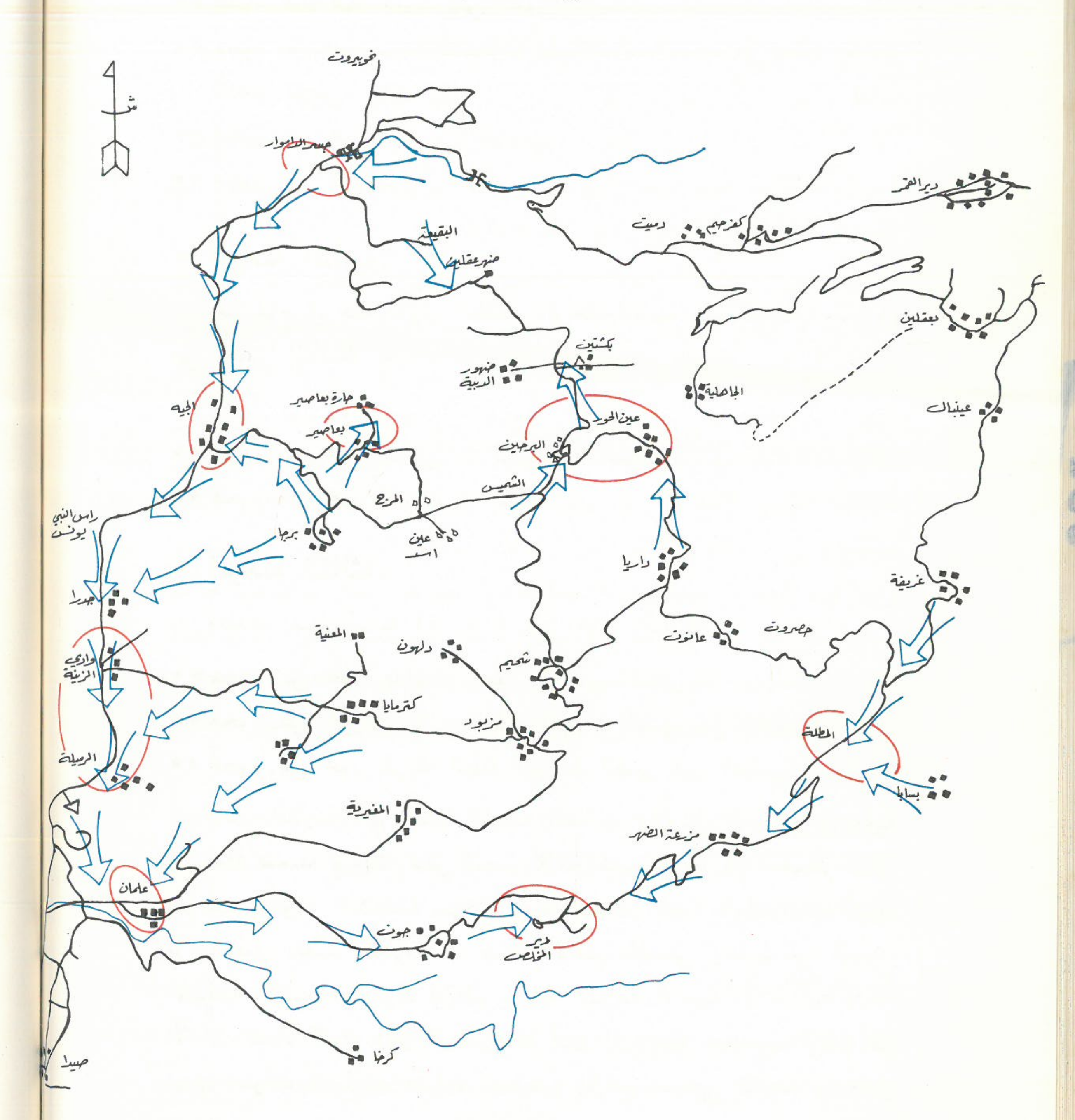
ونفذت عند الساعة (١٧,٠٠) على المحاور التالية/

★★ هجوم على محور علمان - جون - دير المخلص.

★★ هجوم على محور بسابا - المطلة (مزرعة الضهر دير المخلص)

★★ هجوم على محور غريفة المطلة (مزرعة الضهر دير المخلص).

كانت المقاومة التي أبدتها القوات اللبنانية والجيش المتمركز في الجية والرميلة ضعيفة وبذلك تحقق النصر للإشتراكيين سريعا دون خسائر تذكر ونزعت الشوكة الكتائبية من خاصرة الشوف. لقد حاول الاشتراكيون مرارا قبل تنفيذ الهجوم حل مسألة الإقليم بالحسنى وطلب من القوات اللبنانية الإنسحاب وترك الإقليم برعاية الشرطة الأمنية الاشتراكية ولكن الآذان الصماء كانت دائما المنتصرة مما أدى إلى تهجير مسيحيي الإقليم على أيدي القوات اللبنانية فتساوى مسيحيو الإقليم بمسيحيي الشوف في فضل



القوات عليهم ولم يأت تهجيرهم إلا نتيجة حتمية لتورطهم مع القوات في مشاريعها الانعزالية وأحلامها الشوفينية. هجر اقليم القوات اللبنانية وأمن انتقال المقاتلين والأهالي إلى جونية بحرا عبر صيدا والشريط الحدودي بمساعدة إسرائيلية. دخلت القوات اللبنانية إلى الشوف خلف الزحف الإسرائيلي وخرجت منه بعد انحسار هذا الزحف دخلت بالطريقة السهلة وخرجت بالطريقة الصعبة بعد أن هدمت بيوت المسيحيين وشردتهم وقضت على التعايش الإسلامي المسيحي.

لقد كانت عملية إقليم الخروب آخر العمليات الكبيرة التي خاضها الحزب التقدمي الاشتراكي ضد القوات اللبنانية والجيش وقد أسهم بقيادتها كل من شريف فياض ورجا حرب وعلاء الدين ترو وعدنان حسين ووليد صافي ورامز نصر وفريد محمود وياسر ذبيان وزياد علامة. لكن المعارك لم تنته ولا تزال الحرب مفتوحة والقضية مشرعة الأبواب والمستقبل هو الذي يحدد مسار أحداث التاريخ سيما وأن الجبهات لا تزال قائمة من المتن حتى الشويفات وبيروت مرورا بعاليه وسوق الغرب وعيتات التي تسطر أروع الصفحات في تاريخ الصمود الجبار أمام شراسة الهجمات العاتية.

التسليح الاشتراكي:

مر التسليح الاشتراكي في عدة مراحل قبل أن يصل إلى مستواه الحالي ففي عام ١٩٧٥م كانت الرؤية تتجه إلى التسليح الخفيف لجميع افراد الشعب كنوع من الحماية والاستقطاب السياسي باعتبار أن العمل العسكري كان معتبرا من اختصاص المقاومة الفلسطينية بحيث يقدم الشعب اللبناني الوطني الدرع السياسية وتقدم المقاومة الفلسطينية الذراع العسكرية. انطلق التسليح من مفهوم التعبئة الشعبية فصنف السلاح في فئتين: سلاح سياسي وسلاح تعبوي. كان مصدر تمويل السلاح السياسي الشعب الذي دفع ثمن سلاحه وذخيرته اما مصدر تمويل السلاح التعبوي فكان الحزب والوفر الزهيد المقتطع من مدفوعات السلاح السياسي. كانت الأسلحة ترد عن

طريق سوريا في دفعات قليلة وفي ظل صعوبات تحكمها الظروف السياسية وتطور الأمر بعد ذلك ليستقدم السلاح عن طريق منظمة فتح التي كانت تستأجر البواخر الكاملة. لم يكن نقل السلاح عن طريق فتح بالأمر اليسير لأنه كان يتعرض لمزاجية سياسة هذه المنظمة وللضريبة العينية التي كانت تفرضها على كل شيء ينقل بوسائلها لدرجة أنها كانت تتصرف بسلاح الأحزاب فتعطي حصة هذا الحزب للحزب الآخر وهذا ما حدث للحزب التقدمي الاشتراكي فأعطت أسلحته في إحدى المرات لحركة رواد الإصلاح كما خربت قطع إحدى الصفقات بنزع أربعين منتاشا من الرشاشات.

انتهت المرحلة الأولى من الحرب عام ١٩٧٦م ودخلت قوات الردع العربية ولم يمتلك الحزب الاشتراكي أي سلاح ثقيل حتى ذلك الحين إلا ما أهداه انور السادات لكمال جنبلاط من الهواوين (١٢٠) عندما زار مصر قبيل مؤتمر الرياض. نقلت فتح هذه الأسلحة في باخرتها وحاولت أن تستولي عليها ولكن كمال جنبلاط هدد أبا عمّار بإعلام انور السادات فأفرج عن نصف الصفقة التي بلغت ستة عشر هاونا واحتفظت فتح بالباقي.

بعد دخول قوات الردع العربية وإنشاء قوات التحرير الشعبية دخل التسليح في فترة ركود سيما عندما بدأت قوات الردع بجمع السلاح ولكن أبواب التسليح عبر سوريا والمقاومة الفلسطينية فتحت من جديد على أثر بروز التناقضات الحادة بين الجبهة اللبنانية والقيادة السورية ووقوع المواجهة العسكرية بين الجيش اللبناني وقوات الردع السورية التي تطورت إلى صدام كبير بين السوريين والقوات اللبنانية في الاشرفية. فتحت أبواب التسليح من جديد ولكن النقلة النوعية جاءت عام ١٩٨٠م باستلام الحزب الاشتراكي للمدفعية الثقيلة عن طريق ليبيا وبفتح مخازن الذخيرة السوفياتية حيث تحول التذخير من عملية ظرفية إلى عملية دورية مستمرة فأنشئت المخازن ووزعت الذخائر على المناطق حسب نظام مدروس وأصبح الإمداد عملية عسكرية سليمة كان لسوريا فيها الدور الهام في النقل

والخزن والتسليف وتغطية النقص. أما النقلة النوعية الثانية فجاءت بعد ايلول ١٩٨٣م إثر الإنتصار في حرب الجبل حيث رفع الاتحاد السوفياتي درجة تسليح الحزب التقدمي الاشتراكي لينتقل إلى مرحلة القوات المدرعة المزودة بالدبابات (ت ٥٥) والملالات الحديثة (BTR) و(PMP) وبالاسلحة المضادة للدروع كالمالوتكا وبمدافع الشيلكا المضادة للطائرات مع صواريخ السام (٧). بعد حرب الجبل أصبح جيش التحرير الشعبي جيشا نظاميا وارتفع مستوى تسليحه مع ارتفاع مستوى التنظيم والتدريب ومع ازدياد الخبرة القتالية على الجبهة المفتوحة وبذلك دخل الحزب الاشتراكي مرحلة النظامية الكاملة وأصبحت خبرة قواته العسكرية على قدم المساواة مع أي جيش نظامي في المنطقة.

الطبابة:

تطورت عملية التطبيب الإشتراكي مع تطور الحرب فمرت في البداية بمرحلة المستوصفات المحلية كمركز تجميع أولي للمصابين حيث ينقلون بعدها إلى مستشفى فتح الميداني أو إلى المستشفيات المدنية في بيروت وصيدا والبقاع وهملين في المتن. وتغير الجهاز الطبي تدريجيا فيما بعد فحسنت المستوصفات، وانشىء مستشفى الإيمان في عاليه ومركز العرفان الطبي في السمقانية والمركز الطبي في بعقلين، ثم اضيف إلى ذلك مركز كمال جنبلاط الطبي في بعقلين ومستشفى الجبل في المتن والمستشفى الوطني في بحمدون.

تقدم العمل الطبي كثيرا خلال الأحداث وأصبحت المستشفيات المحلية قادرة على مواجهة أكثرية الحالات كما تطور جهاز الإخلاء الميداني بإلحاق الأطباء والممرضين بالجبهة. أما الحالات الصعبة فبقيت ترسل إلى المستشفيات المدنية في بيروت وصيدا كما استفاد الحزب من الخدمات الطبية في مستشفيات دمشق أثناء معارك تحرير الجبل عام ١٩٨٣م.

اللباس والهندام:

انطلق اللباس في بداية أحداث ١٩٧٥م في الحزب التقدمي الاشتراكي من التنوع وعدم الوحدة، ففي بيروت لم يكن هناك في البداية أية إشارات أو ألبسة توحد بين المقاتلين وتميزهم عن غيرهم أما في الجبل فقد كانت الكوفية الشعار الموحد الذي جمع الجميع. بعد هذه الانطلاقة أخذت قوات بيروت تحاول استنباط شارات مميزة فعمت ظاهرة القمصان التي تحمل شعار الحزب أو صور كمال جنبلاط وتبعتها ظاهرة العصبات والساعدات التي تحمل اسم الحزب أو إشارات المغاوير والعظام الجماجم. أما في الجبل فقد بدأ التفكير بتوحيد اللباس في قيادة عاليه اعتبارا من شهر نيسان ١٩٧٦م وأخذت الألبسة العسكرية الموحدة توزع على المقاتلين شبه النظاميين وتطور الأمر عند إنشاء السرايا المتفرغة ومن ثم قوات التحرير الشعبية فحدد ملف اللباس العسكري وتوحدت الطاقية والحذاء والبزة والحزام والمطرة وحددت أنواع الجعب فيما بعد فاستقام الأمر خاصة بعد تقرير اشكال الاعلام والرايات والشارات التي تطورت واستقر أمرها حسب الصور المرفقة في نهاية هذا الكتاب. لقد اسهم توحيد اللباس والشارات والرايات في تحويل جيش التحرير الشعبي إلى قوات نظامية حرية بحمل هذا الاسم طالما أصبحت مميزة بلباسها وقيافتها وشاراتها واعلامها وهذا ما اسهم إلى حد كبير في رفع مستوى الوعي العسكري والانضباط الذي ثبت أقدامه بالنظام المرصوص والأنظمة المستحدثة التي رعت شؤون العسكريين واعطت وضعهم الاستقرار الاحترافي المطلوب.

نظرة إلى المستقبل:

مرت على بداية الأحداث اللبنانية عشرة سنين ونيف ولم تزل المشكلة قائمة تدور حول الخوف والغبن. لقد تحول الخوف إلى انعزال وتقوقع واستئثار،وانقلب الغبن إلى رفض للعودة إلى الماضي وإلحاف في طلب العدالة والمساواة. إن لبنان الماضي قد مات وولد مكانه لبنان المشتت والمقاتل والضائع الذي تنتهي آفاق حدوده عند حدود تأثير بندقيته. هذا

اللبنان الحالي يحتضر في طريق الفناء ولا تزال روحه تناضل في سبيل ايجاد مخرج لمأزقه. لقد حاولت سوريا عبر مؤتمر سويسرا واجتماعات دمشق إخراجه من هذه الدوامة وعقدت الإتفاق الثلاثي بين نبيه بري ووليد جنبلاط وإيلي حبيقة في خريف ١٩٨٥م هذا الاتفاق الذي اعتبره البعض كوة النور الوحيدة للخلاص وسجل وليد جنبلاط تحفظاته عليه للتاريخ في بيان اعلنه على الملأ ووقع لكي لا يقال أنه كان حجر عثرة في سبيل انقاذ لبنان آملا أن يكون اعتقاده مخطئا وتحفظاته في غير محلها. ولكن انتفاضة سمير جعجع في ٨٦/١/١٥ بالإضافة إلى موقف الرئيس أمين الجميل خنقت الاتفاق في مهده وشرعت أبواب الأزمة على المجهول وأثبتت صحة رؤية وليد جنبلاط فاختلط التعريب بالتدويل وتداخلت الإقليمية بالدولية وتفلتت النزعات المحلية والمذهبية السلفية الأصولية من عقالها لتهدد الوحدة الوطنية بأخطر العواقب المميتة وأصبح المجهول هو الحاكم والحق للبندقية. أن لبنان الآن على مفترق فإما أن يزول وإما أن تستدركه العناية الإلّهية فتنقذه في الرمق الأخير. وهذا الواقع فرض على الجميع خيار السلاح الذي أصبح شبه وحيد في الساحة بعد مكابرة المارونية السياسية واتجه الكل نحو نقطة الذروة في الإفناء المتبادل فعسى أن تتمكن الإرادات الخيرة من استدراك الأمر وإيجاد المخرج التوفيقي من خلال الخطط الأمنية المتدرجة والتي تجرب حاليا وإلا ضاع الجميع.

الخاتمة

إن تاريخ التجربة العسكرية الدرزية في إطارها التقدمي هي قدر محارب وثورة بركان دورية تحكم أبعادها ظروف وقواعد المكان والزمان وهي في عنفها وضراوتها انتفاضة اعصار يعيد التاريخ فيه نفسه بحلل مستحدثة ولكن بمضمون تراثي مستقر تحكمه قيم الدفاع والعدالة والاستقلال والحق والمساواة.

إن القيم العسكرية التي تميز المقاتل التقدمي الآن هي مزيج تراكمي عميق الجذور فيه من العصبية العربية واستعلائها شيء ومن القيم الإسلامية أشياء تطعمها قواعد المذهب التوحيدي الدرزي وتضيف إليها جغرافيا الأرض والتفاعلات الاجتماعية والفكرية لمسات. أما العوامل التي كان لها الحكم والسيطرة بالإضافة إلى القيم الدرزية فهي أفكار كمال جنبلاط الإنسانية المنفتحة على الفلسفة المسيحية الحقيقية المبنية على المحبة والتكور الإجتماعي والفلسفة الهندية التوحيدية المتناغمة مع الفلسفة الدرزية، في بناء منسجم التقاسيم يطاول صرحه حدي الازل والابد. إن فكرة التطور الدائم النازع نحو الحقيقة الأبدية وفكرة التسوية تحول الإنسان إلى ديناميكية متغيرة باستمرار دأبها إيجاد الحل للموقف الحاضر وتأمين قاعدة الانطلاق للمستقبل. لقد تفاعلت هذه الأفكار التقدمية في الحزب الاشتراكي الذي توسعت قاعدته لتضم بالإضافة إلى الدرزي السني والشيعي والمسيحي والكردي فتأصل بذلك الفكر الإسلامي الإصلاحي في الأذهان وأعطته الشهادة والتضحية من عاشوراء عمقها وصبغته المسيحية بمحبتها الإنسانية وأعطاه العنفوان الكردي من روحه. بهذه القيم تمكن كمال

جنبلاط من السمو بالدروز إلى مرتبة الطليعة النضالية التي تغرف من كل معين عرفاني روحي في نهج بعيد عن التعصب والفئوية وأصبحت القطب والمحور في بناء النخبة التقدمية اللبنانية. بهذه القيم الغنية صقلت شخصية المقاتل التقدمي الحديث خلال سنوات الحرب العشرة وتميز ليخوض حربا شعبية بارزة ومعارك اسطورية في مواجهة قوات نظامية محترفة. إن تفاعل هذه القيم اعطت المقاتل التقدمي صفة التفوّق فأبدع في بيروت في انتفاضة ٦ شباط عام ١٩٨٤م وتعملق في حرب الجبل وصمد بعدها لاعتى هجمات التصفية فتطابقت الأسطورة الدرزية في ذلك مع الحقيقة الموضوعية وأبقت خيط التراث الذي اطلقه الجدود الأوائل متواصلا سليم البنية واضح المعالم متناسقا متكاملا فاستحق التقدميون بذلك بأن يكونوا احفاد المقتنى بهاء الدين ورافع بن أبي الليل وفخر الدين المعني.

إن التعقيدات اللبنانية وكثرة اللاعبين على الساحة أغنت بتفاعلها الإيجابي التجربة الفكرية والسياسية والعسكرية التقدمية، ولكنها في نفس الوقت أدخلت إليها قيما سلبية علقت بها من مخلفات الغير ومن ادران الأمراض الاجتماعية الإقليمية والعالمية الأمر الذي وضع كمال جنبلاط ومن بعده وليد جنبلاط أمام تحدي المواجهة. لم يمهل القدر كمال جنبلاط للقضاء على الشوائب بأسلوبه الاجتماعي الفلسفي الخاص ونظرياته الإنسانية ولكن وليد جنبلاط تصدى لهذه المعضلة بعزيمة صادقة وحزم في إطار معالجة قيصرية وصلت إلى حد اعدام المخالف فحصر بإجراءاته ظاهرة الإنفلات من عقال القيم الأخلاقية وأصبحت منطقة الشوف في مجال المقارنة النسبية المنطقة الأكثر أمنا واستقرارا في لبنان. غير أن المرض الذي بدأ يسري الآن هوالبورجوازية الحديثةالنهمة، التي انفلتت منعقال شهواتهامانعة التوجه العام من السير نحو الاشتراكية العادلة. لقد وعى وليد جنبلاط هذه الظاهرة المرضية وهو من حرب معها وعلى نجاحه أو فشله تترتب نتائج ستطبع التاريخ التقدمي المعاصر بطابعها وستؤثر على المستقبل العام للبلد.

إن محاولة استرجاع الماضي واستقراء التاريخ العسكري الدرزي في

إطاره التقدمي تظهر حقيقة واضحة ألا وهي أن التجربة العسكرية جاءت دائما في خدمة غاية أو دور وليست بالتالي عملا بعيدا عن الالتزام. فالدور العسكري أيام انطلاقة الدعوة كان يهدف لحماية الموحدين وتحصينهم ضد التصفية لذلك انتهج خط التكيف والموالاة وأخذ التقية شعارا. وجاء عهد الإمارة التنوخية فتحول الهدف العسكري إلى واجب خدمة الدولة الأم وحماية الثغور الإسلامية ضد التعديات الغريبة. أما في عهد الإمارة المعنية فانقلب الدور من واجب دفاعي وحدوي المنحى إلى مهمة استقلالية انفصالية الأبعاد تحولت مع الحكم الشهابي إلى بعد انشقاقي داخلي ناضل في سبيل الخروج من الوصاية وتأمين الحماية الذاتية، سيما بعد ولادة المسألة الشرقية وبعد هيمنة إبراهيم باشا على بلاد الشام. امتزجت الاستقلالية في هذه الفترة مع الانعزالية والحفاظ على الذات وازدهرت العصبية الضيقة ولكن المنحى الدرزي التقدمي بقي في خندق الدفاع ورد التعديات ولم ينتقل إلى موقع المبادأة والاعتداء. وبعد انهيار الحكم التركي وانتقال البلاد من يد الاستعمار إلى يد استعمار آخر تعاظمت الهجمة الشرسة على الاستقلاليين والعروبيين من فرنسا وعملائها في المنطقة فكان للخط الدرزي التقدمي شرف المواجهة للاستعمار في مسار الانضمام للثورة العربية الكبرى وفي إطار انتفاضة سلطان الأطرش ضد تقسيم البلاد إلى دويلات هزلية وذلك في منحى توحيدي تقدمي منفتح. وتابع التاريخ مساره فولد استقلال لبنان وكان للخط الدرزي الوطني شرف رعاية التحرك الاستقلالي في بشامون ولكن الصيغة اللبنانية كانت طائفية ولم تتسع رحابها لولوج الدروز إليها فحملت في رحمها سبب انهيارها وجاء كمال جنبلاط بنقلة نوعية في فكرة التقدمي يقدم معادلة انقاذية جديدة ولكن التحجر والتعصب واجها هذه المعادلة في ثورة ١٩٥٨م وفي أحداث ١٩٧٥م التي تطورت إلى حرب مدمرة لا تبقي ولا تذر وهي لا تزال مفتوحة على شتى الاحتمالات لقد أجبر المقاتل التقدمي على أن يكون على مستوى الأحداث ويسطر ببطولاته أروع ملاحم النضال الوطني بعيدا عن

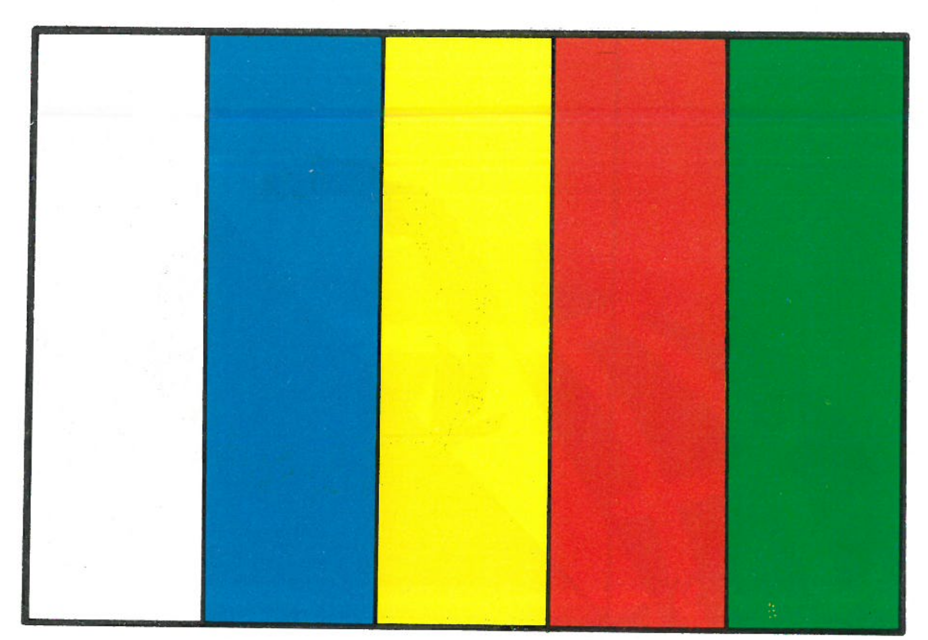
روح التعصب المذهبية والفئوية التي تسيطر على الساحة وهو بذلك يناضل في اتجاهين: اتجاه عسكري يهدف إلى كسر الآلة العسكرية للمارونية السياسية واتجاه فكري وسياسي اجتماعي يحاول الخروج من مستنقع الطائفية والفئوية البغيضة.

لقد تمكن هذا المقاتل أن يحقق النصر للقلة على الكثرة في ظل شروط عمل أساسية طبعت فكره وتراثه ألا وهي:

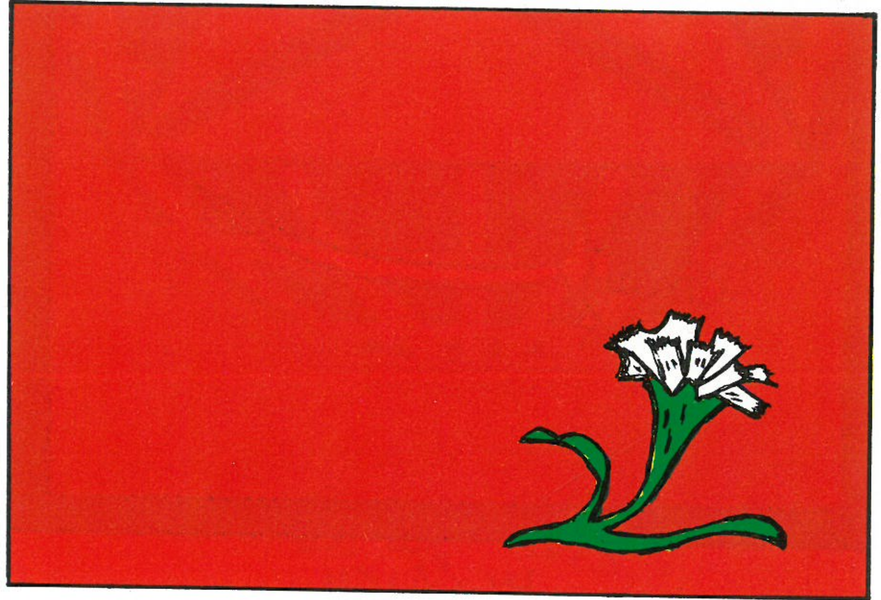
* الارتباط بالأرض.
* الإيمان بقضية عادلة.
* سلوك المنهج الدفاعي عن النفس والأرض والقيم.
* الصبر على المحن والرضى والتسليم بما قدر الله.
* عدم الوقوع في وهم الخوف من الخصم «لأن من خاف من بشر مثله سلط عليه».
* تبني الروح الهجومية في احلك الظروف واحرجها.
* الأتكال على النفس وعدم الوقوع في خطأ الاعتماد على الغير.

لم يزل الخطر بعد ولكن وليد جنبلاط وعى حجم هذا الخطر المحدق وأبعاده الفكرية والعسكرية، فعالج المشكلة من منطلقين: الأول سياسي اجتماعي يركّز على القيم التقدمية والمبادىء الحضارية الإنسانية التي يعتنقها الحزب، والثاني سياسي عسكري بتحالفه مع الاتحاد السوفياتي على قاعدة النضال والتحرر ورفع الجاهزية القتالية لآلة الحزب العسكرية. لقد نجحت هذه التجربة حتى الآن وعسى أن توفق في متابعة طريقها لتحقيق خلاص لبنان وإلا ضاع الوطن وخابت آمال بنيه ودخل متاهات الشرذمة العصبية.

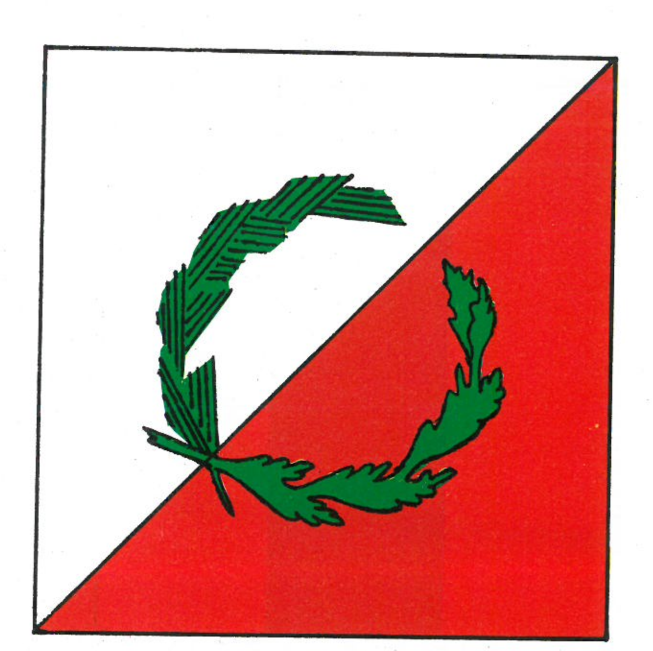
الملاحق



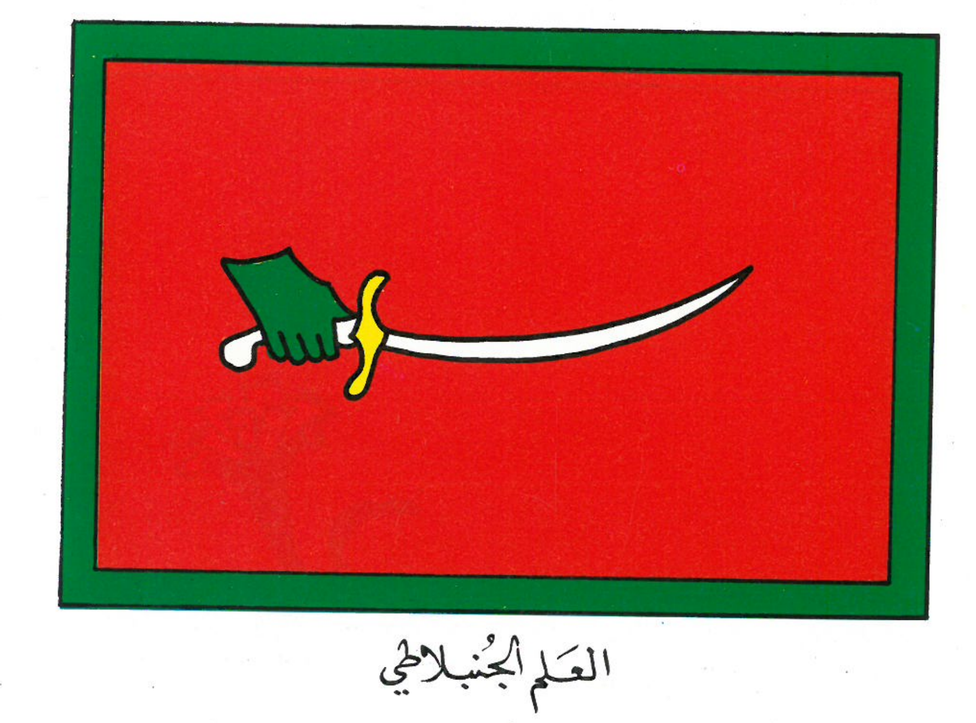
العَلم التنوخي



العَلم القَيسي



العلم المعنيّ



العلم الجُنبلاطي



علم الحزب التقدمي الاشتراكي



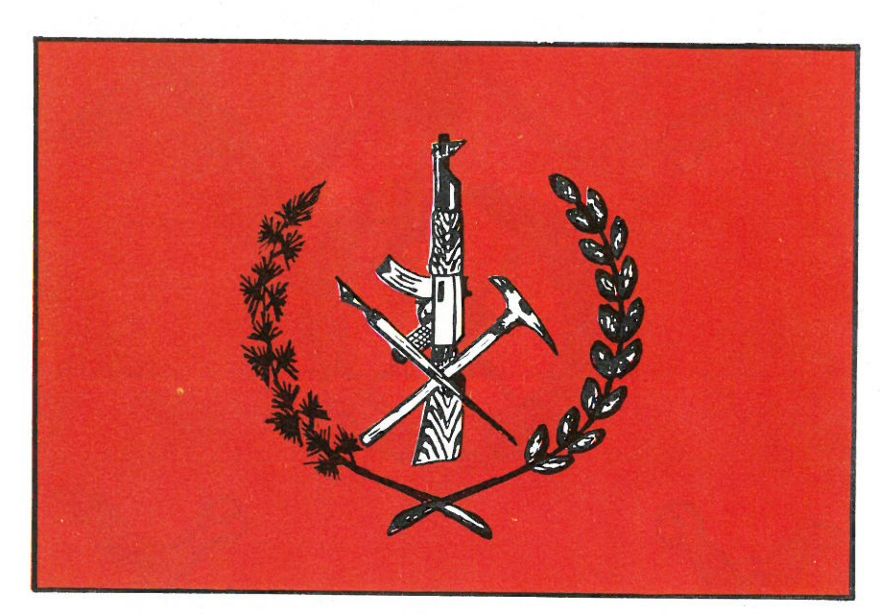
١٩٧٦



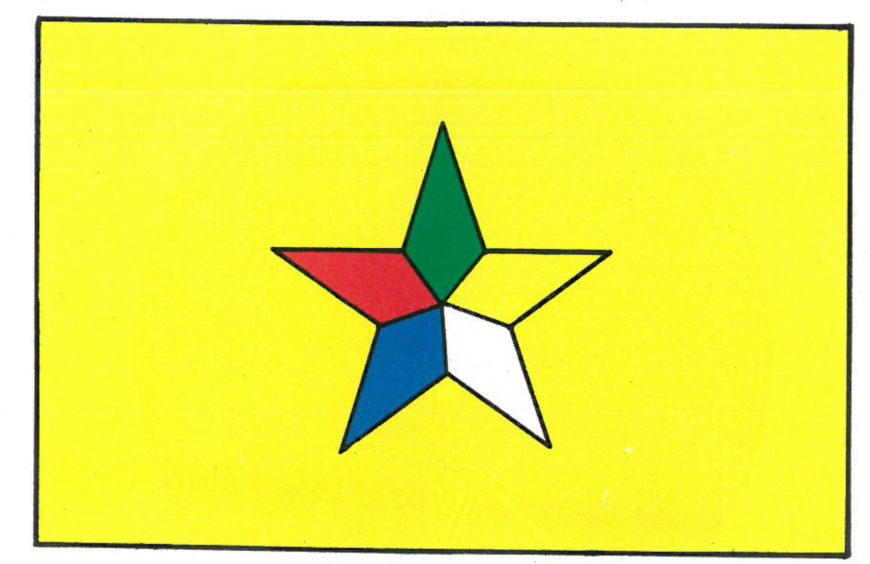
١٩٧٦



١٩٧٦



علم جيش التحرير الشعبي - ١٩٧٨



علم ابناء التوحيد ١٩٨٣



علم قائد الجيش الشعبي



علم الجيش الشعبي ـ ١٩٨٤

علم سلاح المشاة

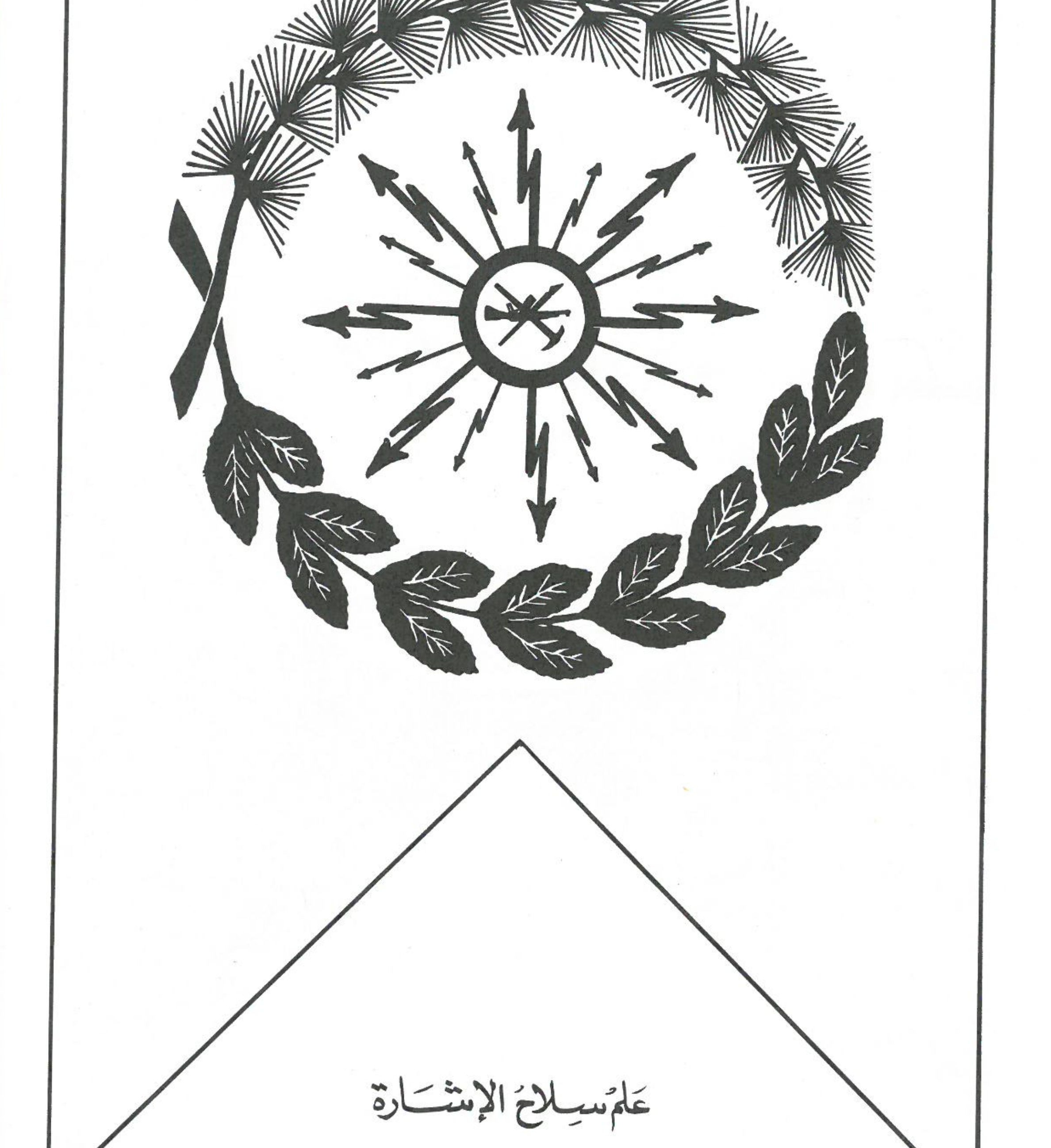


علم سلاح الدبابات

علم سلاح المدفعية



علم سلاح الدفاع الجوي

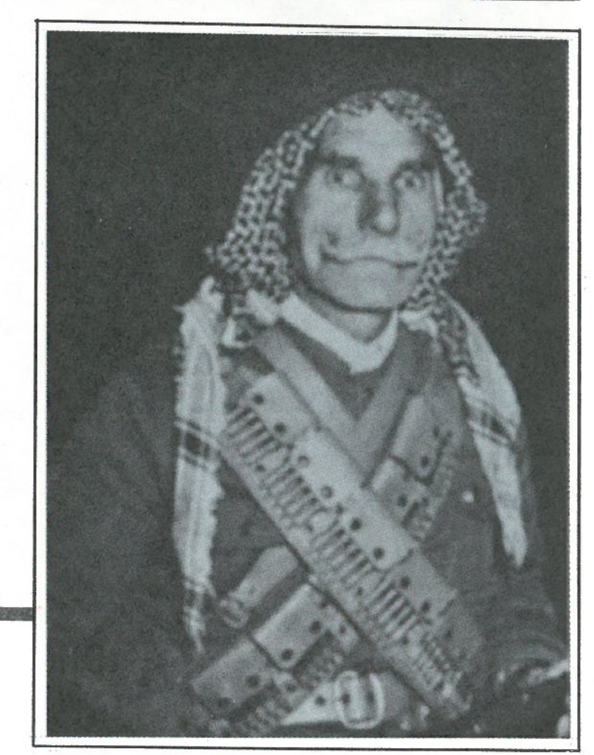


علمُ سلاحِ الإشارة

علمُ سِلاحِ النقلُ

عَلَمُ الشُّرطةِ الأمنيَّة





بعضُ ثوار
١٩٥٨









خزانة البحث

اسم المرجع	اسم المؤلف
القرآن الكريم	–
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار	المقريزي
عمدة العارفين	الأشرفاني
تاريخ الأمير حيدر الشهابي	الأمير حيدر الشهابي
التاريخ السياسي للإمارة الشهابية	الدكتور عباس أبو صالح
منطلق تاريخ لبنان	كمال الصليبي
لبنان ماذا دهاك	منير تقي الدين
الحركات في لبنان	يوسف خطار أبو شقرا
جبل العرب	حسن البعيني
سلطان باشا الأطرش	حسن البعيني
مذكرات سلطان الأطرش	سلطان الأطرش
تاريخ الأمراء الشهابيين بقلم أحد أمرائهم	تحقيق الدكتور سليم الهشي
يوميات لبناني في أيام المتصرفية	تحقيق الدكتور سليم الهشي
حقيقة الثورة اللبنانية	كمال جنبلاط
ثورة في عالم الإنسان	كمال جنبلاط

اضواء على حقيقة القضية القومية	كمال جنبلاط
في الممارسة السياسية	كمال جنبلاط
لبنان وحرب التسوية	كمال جنبلاط
هذه وصيتي	كمال جنبلاط
تاريخ الموحدين الدروز السياسي	الدكتور عباس أبو صالح
- -	والدكتور سامي مكارم
المسألة الطائفية في لبنان	سليمان تقي الدين
تاريخ لبنان	الدكتور فيليب حتي
تاريخ الشيعة في لبنان	علي الزين
تاريخ جبل عامل	محمد جابر آل صفا
الكيان المسيحي اللبناني	مائير زامير
(وجهة نظر صهيونية في نشوء لبنان الحديث)	(ترجمة سليم فارس)
لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الأدنى	المطران مبارك
النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث	هاني فارس
ازمة في لبنان	كميل شمعون
ميثاق ١٩٤٣	باسم الجسر
مقابلات شخصية مع المشتركين في الأحداث	-

الفهرس

الموضوع — **الصفحة**

شركة مطابع الجبل الأخضر - كفرنبرخ
بيروت تلفون: ٣٥٣٩٦٣ - ٣٥٣٩٦٤

هذا الكتاب هو الاول من نوعه، يبحث المؤلف فيه التجربة العسكرية الدرزية عبر العصور إبتداءً من انطلاق الدعوة التوحيدية حتى يومنا هذا، مظهراً الدور الاسلامي والقومي والوطني الطليعي لهذه الأقلية المؤثرة التي قادت نضالها القاسي الفاعل المستمر في هذا الشرق باندفاع وتضحية وانفتاح في مسار تقدمي استقلالي سخي العطاء غني العبر وحدوي المنطلق عروبي المرتجى.

وهو بحث رصين في القيم العسكرية الدرزية التقدمية وتطورها التراكمي بمنظار وطني، مع التوقف عند المحطات النضالية المهمة والمعارك المصيرية التي طبعت هذا المسار بنتائجها. هو تأريخ لزاوية مهمة من نضال المقتني بهاء الدين ورافع أبي الليل والتنوخيين العظام وفخر الدين المعني الثاني وسلطان الأطرش وكمال جنبلاط ووليد جنبلاط.

انه صورة جلية متناسقة المعاني والمعالم لفئة عربية أصيلة أخذت التضحية شعاراً والإيثار مسلكا والإباء حياة، لذلك يجدر بكل حصيف وطالب معرفة في تاريخ أمته أن يقتنيه.

شركة مطابع الجبل الأخضر - تلفون - ٢٥٢٩٦٣/٤